مجلة المؤرخين والآثاريين العرب

(العدد الاول)

٢٠٢٤

مجلة المؤرخين والآثاريين العرب

مجلة علمية محكمة

تصدر عن هيئة المؤرخين والآثاريين العرب

إدارة المجلة

رئيس التحرير

أ. د. محمد مظفر الأدهمي

مدير التحرير

د. زكريا هاشم أحمد الخضر

المدير الفني

د. ايمن عبد الكريم محمود

هيئة التحرير

١. أ. د. محمد رزوق/ المغرب الاسلامي ، المغرب

٢. أ. د. سامي شرف الشهاب/ اليمن آثار وعمارة ، اليمن

٣. أ. د. فاطمة حباش/ الجزائر الحديث والمعاصر ، الجزائر

٤. أ. د. عامر عبدالله الجميلي/ قديم بلاد الرافدين ، العراق

٥. أ. د. أحمد الجاسم/ الحضارة الاسلامية ، سوريا

٦. أ. د. اسامة محمد فهمي صديق/ المشرق الاسلامي ، مصر

٧. أ. د. عبدالستار درويش/ المشرق الاسلامي ، العراق

٨. أ. م. د. حسنة شويل الغامدي/ العرب حديث ومعاصر ، السعودية

٩. أ. م. د. خالد عبدالملك النوري/ الشرق الأدنى القديم ، الكويت

١٠. أ. د ايمن فؤاد سيد/ مصر الاسلامي ، مصر

١١. أ. د غسان متعب الهيتي/ العراق حديث ومعاصر ، العراق

١٢. أ. د. مؤيد محمود المشهداني/ الجزيرة والخليج العربي المعاصر ، العراق

١٣. أ. د. علي عبد الكريم بركات/ اليمن الاسلامي ، اليمن

١٤. أ. د. طه خلف محمد/ العراق وبلاد الشام حديث ومعاصر ، العراق

١٥. أ. د. طعمة وهيب الدوري/ التاريخ القديم ، العراق

الهيئة الاستشارية

١. أ. د. نزار عبداللطيف الحديثي/ اليمن الاسلامي ، العراق

٢. أ. د. ابراهيم عبدالقادر بوتشيش/ المغرب الاسلامي ، المغرب

٣. أ. د. سحر السيد عبدالعزيز سالم/ المغرب والاندلس الاسلامي ، مصر

٤. أ. د. غيلان غيلان/ الآثار الاسلامية ، اليمن

٥. أ. د. يوسف كنجو/ الآثار القديمة ، سوريا

٦. أ. د. عارف محمد الرعوي/ العرب الحديث والمعاصر، اليمن

٧. أ. د. افتخار عبدالحكيم العكيدي/ المشرق الاسلامي ، العراق

٨. أ. د. عبد القادر بوباية/ المغرب والاندلس الاسلامي، الجزائر

٩. أ. م د. ابتسام ديوب/ آثار مصر ، سوريا

١٠. أ. م. نورة بنت ابراهيم الظويهر/ إسلامي ، السعودية

١١. أ. د. عبدالمجيد كامل التكريتي/ الفكر السياسي في العراق الحديث، العراق

١٢. أ. د. مؤيد محمد سليمان / آثار الرافدين، العراق

١٣. أ. د. اسامة سيد علي احمد / الحضارة الاسلامية ، مصر

١٤. أ. د. عادل محمد العليان / العراق الحديث والمعاصر ، العراق

١٥. أ. د. بديع محمد الكربولي / المغرب والاندلس الاسلامي ، العراق

تعليمات النشر في المجلة:

ترحب مجلة (المؤرخين والآثاريين العرب) العلمية بإسهامات الباحثين في الوطن العربي للارتقاء بمستوى البحث الأكاديمي، وفيما يلي ضوابط النشر فيها:

الأسس الفنية والتنظيمية:

- ❖ تستقبل المجلة البحوث العلمية في مجالات التاريخ والآثار.
- ❖ تُقيّم البحوث من قبل خبراء مشهود لهم بالكفاءة العلمية في اختصاصهم الدقيق.
- ❖ ترفض المجلة نشر البحوث التي لا تطابق مناهج البحث العلمي المعروفة.
- ❖ يلتزم الباحث بالأخذ بملحوظات الخبراء المقومين.
- ❖ أن لا يكون البحث مقدماً إلى مجلة أخرى، ولم ينشر سابقاً، وعلى الباحث أن يتعهد خطياً بذلك.
- ❖ يثبت على الصفحة الأولى ما يأتي: (عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، ومكان عمله، وبريده الإلكتروني، ورقم هاتفه، وكلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنكليزية)، وفي حالة وجود أكثر من باحث تذكر أسماؤهم وعناوينهم، لتسهيل عملية الاتصال بهم.
- ❖ يرفق مع البحث ملخصاً باللغتين العربية، والإنكليزية أو الفرنسية على أن لا تزيد عدد الكلمات عن ٢٥٠ كلمة.
- ❖ على الباحث اعتماد الأصول العلمية والقواعد المنهجية في إعداد البحث العلمي.
- ❖ يُعلم الباحث أو الباحثين بقبول النشر من عدمه بعد مدة لا تزيد عن أسبوعين من تاريخ تسليم البحث.

الأسس الطباعية للبحث:

- ❖ يطبع البحث على الآلة الحاسبة، وعلى ورق بحجم (A4) وبوجه واحد.
- ❖ تكون الطباعة بحرف (Simplified Arabic) وبحجم (١٤).
- ❖ يقسم البحث إلى مقدمة وعناوين مناسبة تدل عليه.
- ❖ تعنون المراسلات باسم (رئيس التحرير) أو مدير التحرير.
- ❖ إذا كان البحث يحتوي على آيات قرآنية، يكون نمط الآيات وفق برنامج مصحف المدينة.

كلمة العدد

يمثل اصدار العدد الأول من مجلة هيئة المؤرخين والآثاريين العرب ، مرحلة مهمة على طريق السعي لاستكمال مقومات هذه الهيئة التي تأسست في ٢٠٢٢/٢/٢ ، فقد شهدت السنتين الماضيتين نشاطاً ملحوظاً من قبل الزميلات والزملاء الأعضاء في مناقشة النظام الأساسي للهيئة واقراره، و القاء المحاضرات الشهرية وحضورها ، والمساهمة في الحوارات العلمية في التاريخ والآثار على الصفحة الرسمية للهيئة .

لقد بلغ عدد أعضاء الهيئة لحد الآن ١١٦ من المتخصصين بالتاريخ والآثار ومن معظم الاقطار العربية ، الذين وافقوا على الالتزام بأهداف الهيئة التي تنص على استقراء التاريخ العربي وآثاره بمنهج ينسجم مع تطور حركة الفكر المعاصر دون الانقطاع عن المباديء والقيم العربية الاسلامية التي قامت عليها حضارات الامة وعطاءاتها الفكرية ، واستحضار التاريخ المشرق لها ولأجيالها الصاعدة للنهوض بها من جديد. وضرورة الوصول الى مفاهيم مشتركة تقوم عليها المدرسة العربية وفق النظرة الافقية الشاملة لحركة التاريخ العربي من مشرقه الى مغربه ،مع الحفاظ على خصوصية كل قطر عربي ، على انه يشكل جزءً من كل ، وهذا الكل هو الامة العربية بجغرافيتها الطبيعية وغالبية سكانها العرب المسلمين والمكونات الاخرى .

إن هذا العدد من مجلة الهيئة ، وفي انطلاقته المباركة الأولى ، قد تضمن بحوثاً علمية رصينة تعكس أهداف الهيئة وتوجهاتها ،ونأمل ان يكون العدد القادم بذات المستوى . ومن الله التوفيق .

أ . د. محمد مظفر الادهمي

رئيس التحرير

رقم القبول	المحتويات	الصفحة
	القسم الأول: البحوث العلمية	
٠٠١	المستجدات الفكرية في كتابة التاريخ العربي واهمية النظرة الافقية الشاملة في تدوينه أ.د, محمد مظفر الادهمي	١ – ١٨
٠٠٢	إسهامات شكيب أرسلان في النضال المغاربي ضد الاستعمار الأوروبي أد. فاطمة حباش جامعة ابن خلدون _تيارت_ الجزائر	١٩–٤٧
٠٠٣	الحبُّ العُذري عند أبن حَزمْ الأندلسي أ . د. برزان حامد الحميد جـــــامعة الموصل– العراق	٤٨–٧٣
٠٠٤	أدب الرحلة و دوره في ربط الصلات التاريخية و الفكرية بين المشرق والمغرب : رحلة محمد حجي بوشعرة نموذجاً د. كوثر أبو العيد جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس– المغرب	٧٤–٩١
٠٠٥	ذي جبلة حاضرة الدولة الصليحية في اليمن (النشأة والاختطاط) دراسة آثارية د. سامي شرف محمد غالب الشهاب الهيئة العامة للآثار والمتاحف – جامعة الملكة أروى– صنعاء – اليمن	٩٢–١١٦
٠٠٦	الإسناد الكويتي للبنان إبان الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥–١٩٨٩م. د. جمعان عبدالله مسفر الشهراني وزارة التعليم/ إدارة التعليم– محافظة بيشة – المملكة العربية السعودية	١١٧– ١٤٨
٠٠٧	طبيعة التجاوزات على المواقع الآثارية في مدينة سامراء العباسية (دراسة توثيقية) د. زكريا هاشم احمد الخضر جامعة سامراء – العراق أ . د. قاسم حسن عباس آل شامان السامرائي الباحث يحيى زكريا هاشم أحمد جامعة سامراء – العراق	١٤٩– ١٨٥

القسم الثاني: أوراق أكاديمية		
	ملخص أطروحة الدكتوراه العلاقات الفرنسية الإسبانية وتداعياتها على الأوضاع السياسية في المغرب ١٩١٢ – ١٩٥٨ د. حياة أجعير	١٨٥– ١٩١
	ملخص اطروحة الدكتوراه التاريخ الدولي للحماية الدستورية لحقوق الانسان والقانون الدولي واثره على التاريخ السياسي في الأردن د. يوسف فايز الدلابيح	١٩٢– ١٩٧
	ملخص اطروحة الدكتوراه الغرب الإسلامي والخلافة العباسية إلى نهاية القرن ٥هـ/ ١١م دراسة في العلاقات السياسية والتأثيرات الفكرية د. عبد السلام محمد الصباري جامعة إب – اليمن	١٩٨– ٢١١
القسم الثالث: نظام ونشاطات هيئة المؤرخين والآثاريين العرب		
	النظام الأساسي لهيئة المؤرخين والآثاريين العرب	٢١٢– ٢٢٥
	محضر الاجتماع الاول للجنة التأسيسية لهيئة المؤرخين والآثاريين العرب	٢٢٦– ٢٢٧
	جدول المحاضرات الشهرية التي أقامتها هيئة المؤرخين والآثاريين العرب للمدة (٢٠٢٢– ٢٠٢٤)	٢٢٨

القسم الأول

البحوث العلمية

يعنى هذا القسم من المجلة بنشر البحوث والمقالات العلمية

بمختلف مجالات التاريخ العام والآثار

المستجدات الفكرية في كتابة التاريخ العربي

واهمية النظرة الافقية الشاملة في تدوينه

أ . د. محمد مظفر الادهمي

الاستلام: ١/ ٣/ ٢٠٢٤

قبول النشر: ١٥/ ٣/ ٢٠٢٤

الايميل:
Mohammedih45@yahoo.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف إلى المدارس الفكرية التي اهتمت بالمنهج العلمي في كتابة التاريخ العربي ومدى تطابقها مع أحداثه ووقائعه، وإبراز أهمية النظرة الأفقية الشاملة لحركة التاريخ العربي مع مراعاة الخصوصية الوطنية، ذلك فإن التاريخ الوطني يتطلب النظر إليه من زاويتين، الأولى هي أن هذا التاريخ هو جزء من كل، أي جزء من تاريخ أمة هي الأمة العربية، وهو يمتلك في الوقت نفسه البعد الإنساني ضمن إطار الوحدة الوطنية، والتي هي جزء من المواطنة العربية، وعليه فإن تاريخ الغالبية المطلقة للعرب المسلمين في الوطن العربي لا يلغي تاريخ القوميات والاديان والثقافات المتعايشة معها والتي تشكل جزءً من سكان الوطن العربي بحكم المبادئ الإنسانية التي بشر بها العرب من خلال رسالة الإسلام كمبادئ وقيم وحضارة انسانية، وهو ما يجب أن نؤكد عليه عند استحضار التاريخ المشرق في كتابة التاريخ العربي ومدرسته في التجديد،

وقد توصل البحث إلى أن استحضار التاريخ المشرق وعطاءاته الحضارية بنظرة أفقية شاملة للوطن العربي مع مراعاة الخصوصية الوطنية هي التي تجعل من كتابة التاريخ العربي الأقرب إلى المنهجية الاكاديمية التي تعتمد الحقائق والوقائع الموثقة التي تنسجم مع هذا المنهج، وتؤدي بالنتيجة إلى مدرسة عربية في فهم التاريخ وكتابته تتجاوز المظاهر الاجتماعية والسياسية التي تسعى إلى تمزيق لحمته، وتعزز قناعة الجيل الجديد بأهمية تاريخه وحضارته على طريق النهوض بالأمة العربية من جديد لبناء مستقبل حضاري إنساني يتفاعل مع العالم في نهضة الأمة العربية وتقدمها.

الكلمات المفتاحية:

منهج البحث التاريخي، المدارس الفكرية، الحقب التاريخية، فلسفة التاريخ، مفهوم الأمة، عبد العزيز الدوري

Title :

The New Thoughts on the Arab History Writing and the Importance of the Comprehensive Horizonal View

Received: 1/ 3/ 2024

Accepted: 15/ 3/ 2024

Email:
Mohammedih45@yahoo.com

Abstract

This research aims to identify the schools of thought that were concerned with the scientific method in writing Arab history and the extent of its compatibility with its events and facts, and to highlight the importance of the comprehensive horizontal view of the movement of Arab history, taking into account national specificity, because national history requires looking at it from two angles, the first is that this history It is part of a whole, that is, part of the history of a nation that is the Arab nation, and at the same time it possesses a human dimension within the framework of national unity, which is part of Arab citizenship. Accordingly, the history of the absolute majority of Muslim Arabs in the Arab world does not negate the history of the nationalities, religions and cultures that coexist with them and which form part of the population of the Arab world by virtue of the humanitarian principles that the Arabs preached through the message of Islam as human principles, values and civilization. This is what we must emphasize when invoking the bright history in writing Arab history and its school of renewal. The research concluded that evoking the bright history and its cultural contributions with a comprehensive horizontal view of the Arab world, taking into account national specificity, is what makes the writing of Arab history the closest to an academic methodology that relies on documented facts and facts that are consistent with this approach, and leads as a result to an Arab school in understanding and writing history. It goes beyond the social and political manifestations that seek to tear apart its unity, and strengthens the new generation's conviction of the importance of its history and civilization on the path to the advancement of the Arab nation again to build a civilized, humane future that interacts with the world in the renaissance and progress of the Arab nation.

Keywords:

Historical research method, Schools of Thought, Historical eras, Philosophy of history, Concept of the nation, Abdul Aziz Al-Duri

أولاً – أساسيات البحث:

بدأ الاهتمام الواضح لإعادة كتابة التاريخ العربي منذ أواسط الستينات من القرن العشرين، حين انبرت مجموعة من المفكرين والمؤرخين السوريين إلى مناقشة هذا الموضوع الذي نشرته مجلة المعرفة على مدى أربعة أعداد للفترة من تموز إلى تشرين الأول ١٩٦٥، حين وجهت سؤالاً مركزياً ذو تفرعات (كيف نعيد كتابة تاريخنا القومي، ولماذا ؟) وقد تطرقنا إلى الآراء والأفكار التي طرحت إجابة لهذا السؤال في بحثنا الموسوم (مبادئ ومنطلقات لبناء مدرسة عربية في فهم تأريخنا وكتابته) المنشور في المجلة الرقمية المحكمة للمعهد العالمي للتجديد العربي[١]، وتوالت المؤتمرات والحوارات والمؤلفات بهذا الخصوص، وكان أحدث الإصدارات الكتاب الذي أصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بعنوان (التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب – الإجابات الممكنة) عام ٢٠١٧ وشارك فيه ٣٤ مؤرخاً ببحوث رصينة ومهمة تناولت موضوع (الأمة) وإشكالية التحقيب الزمني للتاريخ العربي ومناهج البحث المختلفة في التاريخ واقترحوا حقول جديدة ومناهج جديدة في الكتابة التاريخية وازمة العلاقة بين تاريخ الأمة وتواريخ الأقطار العربية، وتساءلوا هل تأريخنا تاريخ عربي أم إسلامي أم عربي إسلامي أم إقليمي أم تاريخ عالمي مقارن، وهل هو تاريخ أمة عربية أم أمة إسلامية؟[٢].

يضاف إلى هذا أن عدداً من المؤرخين قد تبنوا مناهج البحث في التاريخ العربي، وخصوصاً الذين درسوا في جامعات غربية واطلعوا على مناهج البحث فيها، فأتقنوا أدوات النقد والتحقيق، وانتجوا معرفة تاريخية مرموقة في النصف الثاني من القرن العشرين، أمثال عبد العزيز الدوري، وجواد علي، وصالح أحمد العلي، وأحمد عبد الكريم عزت، وأبو القاسم سعد الله، والبرت حوراني، وحنا بطاطو، وعبد الله العروي، وغيرهم من المغرب والمشرق العربيين، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل سيكمل الباحثون الجدد في التاريخ تلك المسيرة في المعرفة التاريخية؟ وما هي الأسس التي يمكن أن يعتمدوها في كتابة التاريخ العربي، لاسيما وأن المعرفة التاريخية التي انتجت في القرن العشرين قد اتبعت مناهج مختلفة في البحث والرؤى، مثل المنهج القومي، والمنهج الإسلامي، والمنهج الماركسي، والمنهج القطري، والمنهج الاقليمي الذي قسم الوطن العربي جغرافياً وليس حولياً إلى تاريخ بلاد الشام، والجزيرة العربية، ووادي النيل، ووادي الرافدين، والمغرب العربي الكبير.

الاشكالية الثانية التي ظهرت لدى المؤرخين والباحثين في التاريخ هي الاختلاف في تقسيم التاريخ إلى حقب ومراحل، مثل التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر الذي يجده البعض لم يعد ملائماً ومجدياً في البحث التاريخي ودعوا إلى إعادة النظر فيه عالمياً وليس محلياً فقط.

أما الاشكالية الثالثة التي يواجهونها فهي في مفهوم (الأمة) أمام تاريخ الدولة الوطنية العربية التي تواجه مشكلة الهوية الثقافية والاثنية والدينية وعلاقتها بالهوية العربية الجامعة، لاسيما وان المظاهر المذهبية والاثنية اليوم قد تجاوزت الخصوصية الوطنية باستخدامها سياسياً مما أدى إلى تفكك اللحمة الوطنية في العديد من البلدان العربية، ولذلك فهي تشكل أزمة في الدولة الوطنية الحديثة تتمثل بمخاطر التفكك بما لا يخدم الامة العربية.

وإذا ما تناولنا الأفكار والفرضيات التي جاءت في بحوث (كتاب التاريخ العربي كيف كتب وكيف يكتب) فنجد أن خالد زيادة في بحثه عن الوثائق في كتابة التاريخ العربي يرى ضرورة أن ننتقل من اعتبار التاريخ قائماً بذاته إلى التاريخ المنفتح على العلوم الإنسانية والاجتماعية من أجل تأسيس مدرسة تاريخية جديدة[٣]، في حين يتسائل أحمد الشبول في بحثه: (نحو مقاربة منهجية لدراسة التاريخ العربي من منظور التاريخ العالمي في مسالة النظر إلى الثقافات الأخرى) فيقول: "أليست إحدى مهمات المؤرخ العربي الجاد أن يكون اليوم قبل كل شيء ابن عصره كمفكر فاعل بالمعنى الايجابي حتى ولو كان يؤرخ لعصور سابقة ؟ أليس من مهماته أن يكون انسانياً في توجهاته في الوقت الذي يسعى لتوصيل ملامح الهوية الوطنية والقومية؟ ألا يحسن بالمؤرخ العربي المعاصر أن يتجاوز دائرة التخصص الضيقة ويستفيد من مناهج المتخصصين في العلوم الاجتماعية والنقد الأدبي والنقد المقارن، تماماً كما يستفيد الناقد الادبي من التاريخ والعلوم الاجتماعية؟"[٤] ثم يسأل: "كيف يمكننا أن ننتج معرفة بتاريخ الماضي من منطلق عربي ذو منظور انساني عالمي، بينما نواجه عالمياً هيمنة الامبريالية الجديدة والهيمنة والاستراتيجية الاقتصادية والثقافية المتمثلة في أسوأ تداعيات العولمة والنظام العالمي الجديد، كيف ينظر المؤرخ العربي إلى جدلية العلاقة بين هذه القوى وانتاج المعرفة التاريخية ؟ كيف يكتب التاريخ من منظور عربي أو عالمي في ظل واقع الضعف والعجز والتأخر والتمزق العربي الراهن ؟هل يمكن ان يكتب تاريخ دول مجتمعنا العربي اليوم من منظور عربي شامل واسع الافق منفتح على التنوع والتعددية ضمن الدولة الواحدة وبمناهج نقدية كاملة تستعين

بأدوات سائر العلوم الاجتماعية ؟"، وأنا أجيب على هذا السؤال الأخير بنعم، عندما تكون كتابة التاريخ العربي وفق النظرة الافقية الشاملة لحركته سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

ثانياً – إشكالية التحقيب:

التحقيب أو تقسيم التاريخ إلى مراحل هو تأطير حوادث الماضي وتصنيفها وفق حقب تاريخية ذات سمات مشتركة، تتميز كل حقبة عن الأخرى بواقعة لفهم معاني الوقائع التاريخية في سياقاتها العامة، إلا أن هذه العملية ترتبط في جوهرها بمنطلقات فكرية مثل التحقيب الأوربي للتاريخ: قديم وسيط حديث، أو التحقيب الماركسي وفقاً لقوى الانتاج، أو التحقيب الديني منذ آدم وحواء.

يقول عبد الله العروي: "أن علم التاريخ بدأ في صورة تحقيب لأن التاريخ المكتوب هو في الأصل تقويم وتحقيب والتجزئة حسب السنين والعقود تمت في مراحل لاحقة، وأن التحقيب الأوربي الثلاثي طبق على تاريخ الشعوب غير الأوربية بعد توسع الأوربيين في القرن التاسع عشر، لكن هذا التحقيب الغربي في نظر عدد من المؤرخين العرب لم يساعد في توضيح التاريخ العربي غير الغربي[٥].

إن مؤرخي عصر النهضة الاوربية رفضوا التحقيب الديني للكنيسة، ولذلك قسموا مراحل التاريخ إلى ثلاث حقب هي الحقبة أو التاريخ القديم الذي تجسد في الحضارة الاغريقية والرومانية، والتاريخ الوسيط الذي تميز بالتراجع الفكري والحضاري والانحطاط الديني في عصر الاقطاع وهيمنة الكنيسة، ثم الحقبة الحديثة القائمة على أدبيات عصر النهضة الأوربية وعطاءاتها الفكرية، وحددوا سقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ م كفاصل بين القديم والوسيط وفقاً لرؤية المؤرخ الالماني كريستوفر كيلر (١٦٤٤–١٧٠٧) ، واعتبروا سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ فاصلاً بين العصر الوسيط والعصر الحديث، هذا التقسيم أو التحقيب أستند إلى وقائع التاريخ الأوربي وليس تاريخ العالم، وعندما ظهر التحقيب الماركسي القائم على جدلية العلاقة بين وسائل الانتاج وقواه، فهو الآخر منبثق من واقع تاريخي أوربي محلي، وإن بدت الماركسية وكأنها عالمية النظرة، فقد حاولت الرؤية الماركسية تجاوز قيود التحقيب الثلاثي الأوربي من خلال تحقيب جديد يقوم على ثنائية الانتاج والعمل، ولكنها انطلقت في الوقت نفسه من واقع تاريخي محلي يحمل بصمات القرن التاسع عشر الاوربي، فأصبحت مساهمتها غير شاملة وغير موضوعية لأنها ارتبطت بالواقع الأوربي الاقتصادي.

ثالثاً – التحقيب الإسلامي:

ارتبط التحقيب الإسلامي عند المؤرخين المسلمين الاوائل بفكرة الاله الواحد ووحدة الخلق ووحدة الكون. ومن الاوائل الذين سعوا إلى التحقيب حسب الرؤية التوحيدية هو المؤرخ محمد جرير الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك الذي قسم التاريخ إلى ما قبل البعثة النبوية وما بعدها ،الاولى بدء الخليقة والانبياء والرسل والثانية فترة النبوة المحمدية ، ثم قسم المراحل اللاحقة الى راشدين واموبين وعباسيين.

المستشرقون مثل جيمس ديورانت في كتابه تاريخ الحضارة الانسانية منذ نشاتها ، وضع الحضارة الاسلامية ضمن واحدة من خمسة اقسام من حضارات العالم ، بينما قسم مستشرقون اخرون حقب الاسلام على اساس الحقبة الكلاسيكية وحقبة التوسع الاسلامي.

لكن المؤرخين المختصين بالتاريخ الإسلامي المعاصرين مثل عبد العزيز الدوري يرى إننا لم نصل إلى أسس عامة لتحديد فترات التاريخ العربي، فالحوادث السياسية أو توالي الأسر الحاكمة لا تفي بالغرض، إذ أن تاريخ العرب هو تاريخ أمة لا تاريخ أسر، كما أن التحقيب الغربي لفترات التاريخ من وجهة نظر غربية لا يصدق على التاريخ العربي؛ لأن فترات وحقب تاريخ الغرب تنطلق من طبيعة تاريخهم وتطوره[٦] وهو لا يراع خصوصيات تواريخ الشعوب الأخرى بدليل إنه يضع العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية والحضارة البيزنطي والانجازات الحضارية لسلالة تانك الصينية داخل عباءة العصور الأوربية المظلمة، وعليه فإن تحديد فترات التاريخ العربي يتطلب اعتماد أسس تنطلق من طبيعة هذا التاريخ وتطوره.

إلا أننا بالمقابل لم نجد تحقيباً واقعياً من قبل المؤرخين الإسلاميين الذين رفضوا المنهج الغربي المادي العلماني، على أساس أنه يقصي عناصر ومعارف الوحي باعتماده على التجربة والعقل في تحليل السلوك الإنساني ضمن حركة التاريخ، بينما اعتبره إسلاميون آخرون انعزالياً لأنه فصل تاريخ المسلمين عن المجرى الرئيس لتاريخ العالم، وعليه فإن أي تفسير لتاريخ الأمة الإسلامية يقصي البعد الديني يعد تفسيراً قاصراً ويمثل اخفاقاً ذريعاً لأنه لا يستند إلى النص القرآني الذي يمثل أقوى العوامل الحاسمة في صياغة تاريخ الأمة الإسلامية حسب رأيهم، إلا أن الذين دعوا إلى أسلمة التاريخ لم يفلحوا في الوصول الى تحقيب ينطبق على الواقع، فمحمد قطب[٧] مثلاً، في تفسيره للتاريخ الإسلامي يقسم تاريخ العالم إلى قسمين: تاريخ الأمم المؤمنة وعلى رأسها أمة محمد ، وتاريخ الأمم غير المسلمة أو (تاريخ الجاهليات). ودعا آخرون إلى تحقيب

يجمع بين دفتيه تاريخ الشعوب المسلمة وغير المسلمة استناداً إلى النظرة القرآنية الشاملة لتاريخ الانسانية والتي يمكن من خلالها ايجاد تحقيب إسلامي[٨].

ومع ذلك فإن أفضل من وضع أسساً للتحقيب الإسلامي هو عماد الدين خليل الذي انتقد التحقيب الإسلامي على أساس التبدل الفوقي في الأسر والنظم والحكام، وقدم بديلاً يقوم على أساس رؤية جامعة للحوادث التاريخية، فهو يقترح أربع مساحات أساسية للتحقيب يطلق عليها (الهندسة المنهجية) لدراسة التاريخ الاسلامي (الدولة والسلطة والقيادة) (الدعوة والانتشار والتعامل مع الآخر) (التحديات والهجمات المضادة) (الحياة الاجتماعية)[٩]، وبهذا فإن عماد الدين خليل لم يقدم تحقيباً للتاريخ الإسلامي وإنما مال إلى التصنيف النوعي للحوادث التاريخية بدلاً من تصنيف الحقب وفقاً للتبدلات السياسية الفوقية لحركة المجتمع، لكنه يُعرّض الحوادث التاريخية للتشتت حسب رأي أحمد أبو شوك في بحثه عن مشكلة التحقيب في التاريخ العربي الاسلامي[١٠].

أما المفكر الجزائري الأصل محمد أركون في كتابه معارك من أجل الانسنة في السياقات الإسلامية، فقد انسجم مع التحقيب الأوربي الغربي في مجال تقسيم حقب الفكر العربي الإسلامي إلى حقبتين رئيستين تمتد الأولى من الربع الأخير من القرن السابع للميلاد (الأول للهجرة) إلى نهاية القرن الثاني عشر (السادس للهجرة) ويصفها بحقبة (الإسلام الكلاسيكي)، وتبدأ الثانية من بداية القرن الثاني عشر للميلاد وتستمر إلى الزمن الحاضر ومن سماتها التكرار والاجترار وغياب الرؤية الفكرية المبدعة حسب رأيه[١١].

ويتفق المفكر السوري هاشم صالح مع توصيف الحقبة الأولى (الإسلام الكلاسيكي) لكنه يختلف مع أركون في الحقبة الثانية من حيث المدة والفترة الزمنية، حيث أطلق على الحقبة الواقعة بين القرن الثالث عشر والثامن عشر (الحقبة المتوسطة)، وأطلق على الحقبة الواقعة بين القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين (عصر النهضة العربية) الذي تليه حقبة القوميات، وأطلق على الحقبة المعاصرة مصطلح (الاصوليات الاسلامية) التي ظهرت في سبعينات القرن العشرين وساهمت في توجيه الفكر الاسلامي الى الوقت الحاضر[١٢].

وفي ضوء هذه الحقب التاريخية الفكرية يتساءل هاشم صالح لماذا العودة الارتدادية من النهضة العربية إلى الاصول الإسلامية ؟ ويجيب على السؤال قائلاً: لعل اخفاق عصر النهضة

العربي وما تلاه يعود إلى إننا لم نستطع أن نصفي حساباتنا التاريخية مع تراثنا مثلما صفاها الأوربيون مع تراثهم(١٣).

وبهذا الطرح يقارن بين ازمة الوعي التي يعانيها العالم العربي الاسلامي في ظل الصراع الدائر حالياً بين الحدثيين والأصوليين الإسلاميين.

يعتقد دعاة التحقيب الفكري الإسلامي أن العودة إلى إحياء التراث الإغريقي القديم كان يشكل القاعدة التي ارتكزت عليها حركة التجديد الأوربية في ممارساتها الفكرية الديمقراطية، فاستطاعت أن تحدث قطيعة مع تراث العصور الوسطى اللاهوتي، بينما عجز الواقع العربي المعاصر عن التواصل مع عصور الإسلام الأولى (الكلاسيكي) القائمة على احترام التعددية كما جاء في وثيقة المدينة التي وضعها الرسول محمد والممارسات السياسية اللاحقة لها المتسمة بالشورى وحرية التفكير والتي أدت إلى نهضة عربية إسلامية حضارية متعددة العطاءات، ولهذا يرون أن الواقع العربي الإسلامي المعاصر هو شبيه بالعصور الوسطى في أوربا مما يدعو إلى قيام نهضة تنويرية تمهد الطريق للحداثة التي يمكن أن تستمد في صحوتها من تراث العصور الإسلامية الأولى.

وهكذا نجد أن المؤرخين تناولوا التحقيب من عدة أوجه، فتنوعت تقسيمات الحقب التاريخية على اسس متعددة مثل البعد الحضاري المرتبط بنشوء الحضارات وسقوطها أو الحوادث الفاصلة في المسار التاريخي أو الانتماء القومي للشعوب، ولذلك وكما يقول عبد الله العروي فإن الحقب التاريخية تختلف باختلاف المؤرخين وتعدد مناهجهم ومشاربهم الفكرية ومدارسهم التاريخية.

رابعاً – الأمة:

من الاشكاليات المطروحة على نقاش البحث في عصرنا الحاضر، وفي ضوء سيادة الاتجاه السياسي الإسلامي، هو السؤال الذي يقول: هل نحن أمة عربية أم أمة إسلامية ؟ ولكي تكون الصورة واضحة ومقنعة لأي من الاتجاهين لابد لنا أن نحدد مفهوم ومقومات الأمة، هذا المصطلح الذي ظهر في تاريخ أوربا الحديث قبل وبعد تفكك الامبراطوريات في العالم إلى أمم بعد أن كانت تجمعها تلك الامبراطوريات تحت غطاء ديني يعطي الامبراطور سلطة الحكم المطلق على تلك الأمم بصفته يمثل سلطة الله على الأرض، مثل الامبراطورية الفرنسية، والامبراطورية النمساوية، والامبراطورية الروسية، والامبراطورية العثمانية، فجاء الفكر القومي ليقسم هذه الامبراطوريات إلى دول تقوم على أساس القومية وليس الدين، فظهرت الأمة الفرنسية،

والأمة الالمانية وغيرها، ومن المفكرين الفرنسيين الذين كانت افكارهم أحد عوامل قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م ضد النظام الامبراطوري هو الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو الذي قال في كتابه العقد الاجتماعي: "أن ترابط الأفراد في مجتمع ما يخلق فيما بينهم شعوراً عاماً مشتركاً يجعل منهم أمة، وأن الدولة هي الكيان السياسي للأمة بحدودها الطبيعية، وأن يكون هدف التشريع هو إعطاء الشعب سيماه القومية واحيائها بواسطة التربية وتقاليد الوطن وأخلاقه وطباعه"[١٤]، وعندما قامت الثورة الفرنسية وضعت فلسفة روسو وتلاميذه في القومية موضع التطبيق، وأظهر إعلان حقوق الإنسان للثورة فكرتين أساسيتين وهما: "أن القانون هو تعبير عن إرادة الأمة وأن الدولة يجب أن تقوم برضى المحكومين وليس بحق الفتح والاحتلال، وللأمم المقهورة والمغلوبة على امرها حق الانفصال عن الامبراطويات والحكام الأجانب[١٥].

أما في المانيا فقد كان التركيز على اللغة، فاعتبرت القومية كائناً عضوياً ظاهرته الأساسية اللغة، وقد عبّر الفيلسوف الالماني هردر عن هذه الفلسفة بالعودة إلى الماضي وأصالة الشعب وأدبه، والذي تعبر عن عبقريته هي اللغة لأنها روح الشعب، واصبحت أفكار غوته، وشيلر، وكنت، وهردر أساساً لاندفاع الشعب الالماني الذي حقق وحدته القومية عام ١٨٧١، مثلما حققها الايطاليون عام ١٨٧٠، ولم يكد ينتهي القرن التاسع عشر ويطل القرن العشرين إلا وحققت القوميات الأوربية وحداتها القومية، وبهذا فقد كانت القومية في أوربا قوة تَجمُّع لكل أمة، وقوة تشتت للإمبراطوريات[١٦].

وهكذا نجد أن القومية فرضت نفسها في إعطاء مفهوم للأمة بحدودها الطبيعية ولغتها وتاريخها، علما أن الفلسفة القومية للأمة كانت قد ظهرت قبل قيام الثورة الفرنسية، فقد ظهرت بوادرها مع محاولات المجتمع الأوربي التخلص من قيود النظام الاقطاعي والكنيسة وظهور حركة الانبعاث والإحياء التي أُطلق عليها عصر النهضة الأوربية.

وبقدر تعلق الأمر بالعرب الذين كانوا جزءً من الامبراطورية العثمانية، فقد ظهر الشعور القومي عندهم منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتنامى في مطلع القرن العشرين بشكل جمعيات أدبية وسياسية سرية وعلنية داخل اطار الدولة العثمانية، دعت إلى الحكم الذاتي للعرب مثل الجمعية القحطانية وجمعية اللامركزية، بينما دعت جمعية العربية الفتاة إلى استقلال العرب عن الدولة العثمانية، لا سيما بعد أن اتبعت جمعية الاتحاد والترقي سياسة التتريك العنصري التي استلمت السلطة في الدولة العثمانية بانقلاب عسكري عام ١٩٠٨.

وبعد إعدام الأتراك العثمانيين لقادة الحركة العربية في سوريا ولبنان خلال الحرب العالمية الأولى تحالفت القوى القومية مع البريطانيين اعداء العثمانيين من خلال الشريف حسين، على أساس التعهد بتحقيق المطالب بقيام دولة عربية تضم الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق باستثناء عدن وفقاً لمراسلات (حسين – ماكماهون) بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، لكن البريطانيين نكثوا العهود بالاتفاق مع الفرنسيين واسقطوا نواة دولة الوحدة القومية وهي الحكومة العربية التي اقيمت في سوريا ومقرها دمشق بعد انتصار الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٨[١٧]، وهكذا تم تقسيم هذه المنطقة الموعودة إلى دول تحت الانتداب البريطاني والفرنسي بما فيها فلسطين، وبدلاً من أن تظهر إلى الوجود الدولة العربية القومية في المشرق العربي فقد تم إجهاض مشروعها وتجزءتها بعد أن كانت موحدة زمن العثمانيين لا تفصل بينها سوى حدود ادارية، وبدأ العرب يطالبون بالوحدة بعد أن كانوا موحدين، ففقدوا دولتهم الحلم واصبحوا مجزأين.

أما في الجانب الفكري فقد اختلف الفكر القومي العربي عن الفكر القومي الأوربي رغم تأثره به، ذلك أن الفكر القومي الأوربي قد اصطدم بالكنيسة وابتعد عن الدين وعن حركة الإصلاح الديني بقيام الدولة القومية التي دعا مفكروها إلى إحياء التراث اليوناني والروماني الوثني القديم مع رفضهم للتراجع الفكري والحضاري والانحطاط الديني في العصور الوسطى، عصر الاقطاع وهيمنة الكنيسة، لكن إحياء التراث في الفكر القومي العربي ارتبط بالعطاءات الحضارية للدولة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، فهو عكس الفكر القومي الأوربي تماماً لا يرفض الدين وإنما يعتبره حافزاً حضارياً للإحياء ونهوض الأمة العربية، فارتبط الإسلام بالعروبة عند أغلب المفكرين القوميين العرب، واعتبروه اطاراً لها بإبعاده الإنسانية ورفضه للعنصرية التي تميزت بها القومية الأوربية في العديد من أفكارها وتطبيقاتها وابرزها الأفكار القومية العنصرية النازية والفاشية.

لقد تراجع الفكر القومي العربي بجميع أشكاله في مطلع القرن الواحد والعشرين أمام التيار الإسلامي وأحزابه السياسية، وظهر بشكل واضح مصطلح (الأمة الإسلامية) بدلا من (الأمة العربية)، وهذا يعني العودة إلى عهد الإمبراطورية التي تضم عدة أمم وشعوب بإطار إسلامي، وكان أول ظهوره مع قيام الثورة الإسلامية في إيران التي دعت إلى تصدير الثورة إلى البلدان الإسلامية وفي مقدمتها البلدان العربية، لكن هذه الدعوة اتخذت إطاراً مذهبياً أشعل الصراعات

المذهبية، فلم تعد العروبة أساساً ومقياساً فكرياً وإنما المذهبية والطائفية والعرقية، مما أدى الى تجزأة مجتمع الدولة القطرية الواحدة مذهبياً وعرقياً ودينياً، ولم يعد في هذه الحالة موطئ قدم لشعار الأمة الإسلامية ودعوتها التي تقول أنها أوسع في وحدتها من الأمة القومية، وبالتالي فقد واجهت الأمة العربية مشكلة جديدة هي غير القطرية وإنما تجزئة الجزء بعد أن كان التيار القومي يسعى لوحدة الأجزاء، فساد الفكر المذهبي المتخلف والعرقي المتعصب والديني المنغلق وتراجعت الأمة خطوات جديدة إلى الوراء.

خامساً – الأمة العربية:

أمام هذه الموجة الخطيرة التي يواجهها الفكر العروبي، لابد من أن نصل إلى منهج يتماشى مع روح العصر ولا يفرط بالماضي المشرق، وللوصول إلى هذا الهدف فإن علينا تجديد بناء القناعات بأن الأمة العربية هي أمة واحدة وأن أرضها بحدودها الطبيعية واحدة وإنْ تعددت دولها وتنوعت فيها الاعراق والطوائف والمذاهب والاديان، التي هي سمة طبيعية لكل مجتمع قومي تشكل فيه قومية ما الاغلبية، فكيف بنا والأمة العربية التي يشكل فيها العرب كقومية والمسلمون كدين اغلبيتها الساحقة ضمن الحدود الطبيعية للوطن العربي؟

إن بناء الإيمان والقناعة يتطلب العودة إلى الجذور وتطورها، فأول ذكر لمصطلح أرض العرب في المصادر القديمة ورد في كتابات الاشوريين ويرد في المصادر المسمارية ومنها رقم بابلية متأخرة، حيث عاش العرب في مناطق ممتدة من تخوم بلاد النهرين الى شرق النيل في مص، كما ورد مصطلح عرب في حوليات الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٣ ق.م) عام ٨٥٣، وقد اظهرت المسلات الاشورية العرب وهم يقاتلون على جمالهم عندما شارك الحاكم العربي في بلاد الشام في معركة ضد الاشوريين الموجودين غرب الفرات وأشار إليهم بكلمة عرب، وتظهر المصادر البابلية والاشورية في كتاباتها المسمارية إلى مجموعة واحدة أو مجموعات بشرية عدة تقطن الجزيرة العربية وبادية الشام وتخوم بلاد النهرين والمناطق الداخلية لبلاد الشام[١٨].

أما بالنسبة للأوربيين فقد ورد أول ذكر لأرض العرب لدى اليونان، إذ اطلقوا وصف عرب على كل من سكن الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها، وهذا ما يقوله هيرودوتس في تعداده للشعوب والبلدان في الشرق، فذكر أن العرب سكنوا شرق مصر وسيناء وبادية الشام[١٩]، وفي

القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد) وصف الهمداني أرض العرب بأنها الأرض التي تشمل بلاد الشام وغرب الفرات إلى بلاد اليمن وأقاليم الجزيرة الأخرى[٢٠].

وذكر المسعودي: "أن أمة واحدة سكنت العراق وبلاد الشام والجزيرة الفراتية والجزيرة العربية وهم العرب"[٢١]، وهو بهذا يتفق مع المؤرخ اليوناني هيرودوتس أن بلاد العرب هي الجزيرة العربية وسوريا وسيناء وصحراء مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، وعليه فإن الجزيرة العربية كانت مهداً لمجموعة بشرية من الأقوام نشأت في بيئة طبيعية واحدة وخرجت بأصول لغوية واحدة كانت تشكل لهجات متعددة، وكان العرب يستخدمون الخط المسند والآرامي في الكتابة إلى أن ظهر الخط العربي في القرن السادس الميلادي.

إن هذا التحديد الجغرافي يشمل المشرق العربي دون مغربه، فهل اقتصر على ذلك لدى الباحثين والمؤرخين أم إنه شمل الوطن العربي كله، وللإجابة على هذا السؤال كتب لنا د. سامي شرف استاذ الآثار اليمنية القديمة حول الوجود العربي في مغرب الوطن العربي قبل الاسلام فقال: "الثابت علمياً أن تحركات ديمغرافية كبيرة حدثت في الجزيرة العربية منذ عصور بعيدة ترقى إلى عصر البرونز، في الألف الثالثة ق. م، والألف الثانية وربما أبعد من ذلك، وكان لتلك الهجرات أسباب عدة، إذ لم يكن الجفاف كما يدعي البعض هو الدافع الوحيد، فعلاوة على الجفاف الذي ضرب العالم منذ أواخر الدهر الرباعي بمتوالية عددية أي فترات جافة تعقبها رطبة والعكس، كانت هناك دوافع أخرى أغلبها ذات طابع اقتصادي، فالفينيقيون مثلاً عندما خرجوا من جنوب شرق الجزيرة (عُمان ربما) واستقر بهم المقام في بلاد الشام مثل صور في لبنان، لم يقفوا عند هذا الحد بل إن شغفهم وولعهم ومهارتهم قد دفعهم إلى ركوب البحر والذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، فوصلوا تونس ومؤخراً هناك من يقول بأنهم ركبوا الأطلسي ووصلوا إلى شواطئ أمريكا قبل كولومبوس بآلاف السنين"، ويضيف د. سامي شرف: "حقيقة نحن بحاجة ماسة لدراسة التشابه اللغوي وخاصة في رسم الحروف، إذ يوجد تشابه في رسم بعضها مع حروف المسند، علاوة على اللغة المحلية المغربية التي تتشابه فيها الكثير من الألفاظ، لذا وجود هجرات عربية جنوبية إلى المغرب العربي والمغرب الأقصى بتصوري حقيقة ثابتة، ولا تقتصر على جنوب الجزيرة بل أيضاً شمالها وشرقها ناهيك عن بلاد النيل والشام، ولا نستبعد أن المهاجرين اليمنيين الذي وصلوا إلى جزر ديليوس قد وصلوا إلى المغرب في عصور مبكرة قبل الإسلام، كما أن من استقر بهم المقام، استقر منهم في شرق افريقيا قد وصلوا عبر النيل ثم المتوسط إلى

بلاد المغرب، نحن بحاجة إلى دراسات مقارنة وخاصة للرسوم الصخرية وتقنية صناعة الأدوات الحجرية فضلاً عن الدراسة الفنولوجية اللغوية والدراسات الانثروبولوجية"[٢٢].

ويتفق غابريل كامب مع د. سامي شرف في هذا الاستنتاج فيقول في كتابه البربر ذاكرة وهوية: "أن الحضارات القديمة الممتدة من المشرق العربي إلى بلاد المغرب تشكل وحدة لغوية ثقافية واحدة ابتداءً من الألف السابع قبل الميلاد على أقل تقدير"[٢٣]، كما يؤكد محمد مرقطن "أن تشكل الحضارات القديمة في البلدان العربية المكون الأساس للثقافة العربية، فهي الجذور الأولى للثقافة العربية فمنها تعلم العرب وتعلم العالم فقسموا الأسبوع إلى سبعة أيام وعرف العرب منها تقسيم السنة إلى إثني عشر شهراً وما زالوا يستخدمون أسماء الشهور البابلية (نيسان وايار ...الخ)، العرب هم الورثة الشرعيون لحضارة الشرق القديم، وابتداء من القرن السابع للميلاد مع ظهور الإسلام قاموا بتغيير صورة الشرق القديم، فذابت اللغات والثقافات والشعوب في الحضارة العربية الإسلامية، ولذلك فإن من أهم سمات هوية العرب الثقافية هي التعددية الثقافية"[٢٤].

لقد جاء الإسلام فأحدث تحولاً شاملاً في حياة العرب، فكانوا أداته وحملة رسالته الأولين، وواضعي أسس فكره وحضارته، التي تحمل الروح العربية السمحاء التي احتوت وتآلفت مع الشعوب والأمم الأخرى.

ويمكن القول بعد هذا كله أن الأمة العربية تكونت تاريخياً بعد تطور اجتماعي وفكري طويل، ولذلك فإن شعورها بهويتها ووعيها لذاتها يرتبط بصورة وثيقة بهذا التكوين، وعليه فإن الوعي العربي الحديث لم يكن تقليداً لقومية أخرى بل هو امتداد للوعي العربي في التاريخ، وإن هذه الأمة واحدة سواء أكان لها كيان سياسي واحد أم عدة كيانات.

ويضيف عبد العزيز الدوري: "إنه حين ينظر إلى تكوين الأمة العربية في التاريخ فإن جلَّ الأقوام التي كانت تتكلم (لغة سامية) قد تعربت ودخلت في تكوين الأمة العربية وبنيتها بصورة طبيعية ونشأت في بيئة طبيعية واحدة وأصول لغوية واحدة، ودخل معها تراثها الحضاري في تكوين الحضارة العربية[٢٥].

إن مصطلح الحضارة العربية الإسلامية أكثر واقعية من غيره لأنه يحل اشكالية طالما وجدت في كثير من الكتابات التاريخية حول العروبة والإسلام ودور الإسلام في التاريخ والحضارة العربية، فهناك من يركز على العروبة ويجعل الإسلام جزءً من سياقها التاريخي ويفسر حوادث التاريخ تفسيراً قومياً عربياً مع هضم دور الإسلام، وهناك من يركز على الإسلام فقط،

والحقيقة من الصعب بل من المستحيل الفصل بينهما لهذا يعتبر استخدام مصطلح الحضارة العربية الإسلامية أكثر واقعية من غيره.

أما عن التاريخ العربي الحديث فإن فشل معظم المؤرخين في تناوله بمجموع أحداثه وتشابهها وتناغمها من المشرق العربي إلى المغرب العربي، قد أدى إلى هذه الفجوة التي نجدها في كتابة تاريخ الأمة العربية الحديث، عندما تجاوزوا وغضوا النظر عن العوامل المشتركة التي تربط المشرق بالمغرب، والقطر العربي ببقية الوطن العربي، متمسكين بالمنهج القطري أو الإقليمي الذي اوجدته التجزئة السياسية التي خلقت الإحساس غير الواقعي في قراءة تاريخ الأمة وتدوينه بعيداً عن النظرة الأفقية الشاملة لحركته.

سادساً – الخاتمة:

أخلص إلى القول أن المطلوب هو إبراز عناصر الحركة والتواصل في التاريخ العربي واستمراريته من القديم إلى الحديث، وإن حضارات الوطن العربي تشكل جزءً من هويته الثقافية، وأن هويته التاريخية واللغوية هي مكونات أساسية في شخصية الأمة، وإن هوية الأمة ليس لها معنى من دون الجذور التاريخية للهوية الثقافية التي تشكلت عبر آلاف السنين بعيداً عن منهجية الدولة القطرية التي تتعامل مع تاريخها القديم على إنها استمراراً له، وبالتالي لا يمكن أن نفهم الشخصية العربية إلا بمفهوم الأبعاد التاريخية للثقافة العربية وجذورها التاريخية التي تشكلت وتطورت خلال مراحل تاريخية طويلة وضمن حضارات العرب الأولى وما تلاها، إن البيئة الثقافية تتجاوز الواقع السياسي حسب عبد العزيز الدوري في كتابه التكوين التاريخي للأمة العربية مؤكداً على أن الثقافة واللغة هي الأساس في تكوبن الأمة التي انتجت العلوم في حقول الفلسفة والطب والهندسة والفلك وغيرها.

إن بناء التاريخ الوطني للدول العربية بأهداف تربوية يتطلب النظر إليه من زاويتين، الأولى هي أن هذا التاريخ هو جزء من كل، أي جزء من تاريخ أمة هي الأمة العربية، وهو يمتلك في الوقت نفسه خصوصية ترتب على التاريخ الوطني التزامات تجاه الهويات الاثنية والدينية والثقافية ضمن إطار الوحدة الوطنية، والتي هي جزء من المواطنة العربية، وعليه فإن تاريخ الغالبية المطلقة للعرب المسلمين في الوطن العربي لن يلغ تاريخ تلك الإثنيات والأديان والثقافات بحكم المبادئ الإنسانية التي بشر بها العرب من خلال رسالة الإسلام كمبادئ وقيم

وحضارة إنسانية، وهو ما يجب أن نؤكد عليه عند استحضار التاريخ المشرق في كتابة التاريخ العربي ومدرسته في التجديد.

إن استحضار التاريخ المشرق وعطاءاته الحضارية بنظرة افقية شاملة للوطن العربي مع مراعاة الخصوصية الوطنية هي التي تجعل من كتابة التاريخ العربي الأقرب إلى المنهجية الأكاديمية التي تعتمد الحقائق والوقائع الموثقة التي تنسجم مع هذا المنهج، وتؤدي بالنتيجة إلى مدرسة عربية في فهم التاريخ وكتابته تتجاوز المظاهر الاجتماعية والسياسية التي تسعى إلى تمزيق لحمته، وتعزز قناعة الجيل الجديد بأهمية تاريخه وحضارته على طريق النهوض بالأمة العربية من جديد لبناء مستقبل حضاري إنساني يتفاعل مع العالم في نهضة الامة العربية وتقدمها.

الهوامش:

(١) مجلة التجديد العربي، دولية نصف سنوية رقمية محكمة، العدد (١)، يناير ٢٠٢١.

(٢) مجموعة مؤلفين، التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب، الاجابات الممكنة، بيروت، ٢٠١٧.

(٣) مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٥) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص ص٢٧٢-٢٧٤.

(٦) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م.

(٧) محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(٨) خالد بلانكنشب، الإسلام والتاريخ العالمي- نحو تفسير جديد للعصور التاريخية، ترجمة: جميل حمادة، إسلامية المعرفة ، العدد (١)، ١٩٩٥.

(٩) عماد الدين خليل، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، منشورات الجامعة العالمية الإسلامية، كوالالامبور، ٢٠٠١

(١٠) مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ص ٩٥-٩٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٢) هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص٥.

(١٣) المصدر والصفحة نفسها.

(١٤) محمد مظفر الأدهمي، أوربا في القرن التاسع عشر- دراسة في التاريخ والفلسفة، الرباط، ١٩٨٥، ص ص ١٦٦-١٦٧.

(١٥) محمد مظفر الادهمي، دراسات في تاريخ أوربا الحديث، الرباط، ١٩٨٤، الفصل الثالث.

(١٦) محمد مظفر الادهمي، أوربا في القرن التاسع عشر، ص ص ١٦٦-١٧٥ .

(١٧) جورج انطونيوس، يقضة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، بيروت ١٩٧٨، ص ص ١٧٥-٢٥٠؛ محمد عزت دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت، ص ص ٣٥٠-٥١٠؛ محمد مظفر الادهمي، تاريخ الوطن العربي الحديث، المنهج والوقائع، عمان، ٢٠١٠، ص ص ٢١١-٢٤٧ .

(١٨) محمد مرقطن، الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسالة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب، مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص١٧٠.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٧٢.

(٢٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، ١٩٩٠، ص ص ٨٢-٩٠.

(٢١) المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق: دي غويه، بيروت، ١٩٦٥، ص ص ٧٥-٧٦.

(٢٢) سامي شرف الشهاب، أستاذ الاثار والعمارة القديمة المساعد في اليمن، مراسلة خاصة معه عبر الوتس آب.

(٢٣) غابرل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء، ٢٠١٤ .

(٢٤) محمد مرقطن، المصدر السابق، ص ص ١٨٠- ١٨١ .

(٢٥) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية – دراسة في الهوية والوعي، بيروت، ١٩٨٦، ص١٧، ٢٠.

قائمة المصادر:

١. جورج انطونيوس، يقضة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، بيروت ١٩٧٨.

٢. خالد بلانكنشب، الإسلام والتاريخ العالمي، نحو تفسير جديد للعصور التاريخية، ترجمة: جميل حمادة، إسلامية المعرفة، العدد (١).

٣. الدوري، عبدالعزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، بيروت ١٩٨٦.

٤. سامي شرف الشهاب، استاذ الاثار والعمارة القديمة المساعد في اليمن، مراسلة خاصة معه عبر الوتس أب– .

٥. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

٦. عزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.

٧. عماد الدين خليل، مدخل إلى التاريخ والحضارة الاسلامية، منشورات الجامعة العالمية الاسلامية، كوالالامبور، ٢٠٠١.

٨. غابرل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء، ٢٠١٤.

٩. مجلة التجديد العربي، دولية نصف سنوية رقمية محكمة، العدد الاول، يناير ٢٠٢١.

١٠. مجموعة مؤلفين، التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب الاجابات الممكنة، بيروت، ٢٠١٧.

١١. محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، القاهرة، ٢٠٠٨.

١٢. محمد مرقطن، الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسالة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب.

١٣. محمد مظفر الادهمي، أوربا في القرن التاسع عشر – دراسة في التاريخ والفلسفة، الرباط، ١٩٨٥.

١٤. محمد عزت دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت.

١٥. محمد مظفر الادهمي، تاريخ الوطن العربي الحديث، المنهج والوقائع، عمان، ٢٠١٠.

١٦. محمد مظفر الادهمي، دراسات في تاريخ أوربا الحديث، الرباط، ١٩٨٤.

١٧. المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق: دي غويه، بيروت، ١٩٦٥.

١٨. هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوربي، بيروت، ٢٠٠٥.

١٩. الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع الحوالي، صنعاء، ١٩٩٠.

إسهامات شكيب أرسلان في النضال المغاربي ضد الاستعمار الأوروبي

أد. فاطمة حباش

جامعة ابن خلدون – تيارت – الجزائر

الاستلام: ١٥/ ٣/ ٢٠٢٤

قبول النشر: ١٢/ ٤/ ٢٠٢٤

الايميل:
fatima.habache@univtiaret.dz

الملخص

من بين أعلام القومية العربية والإسلامية بالعالم العربي والإسلامي نجد شكيب أرسلان الأمير الدرزي، الذي سخر قلمه وفكره لنصرة قضايا المسلمين بكل حماس من قلب أوروبا، حيث كان من بين ألمع السياسيين الذين احتضنتهم جنيف للدفاع عن الإنسانية ومناهضة الاستعمار. ولعل من بين القضايا التي ارتبط بها اسمه وبشكل قوي تلك التي تعلقت بمسألة نضال الأقطار المغاربية ضد الاستعمار، حيث شغلت حيزا هاما، ونسجل لها حضورا نوعيا وكميا في مسيرته النضالية، فقد سعى إلى مناهضة الاستعمار الأوروبي في كل من الجزائر، وتونس، وليبيا، والمغرب، وفضحه دوليا عبر الصحافة، والرسائل الاحتجاجية كاشفا معاناة شعوب المغرب العربي من السياسة الاستعمارية وانتهاكاتها ضد الهوية والانتماء العربي والإسلامي. إذن سنحاول في هذا البحث عرض إحدى مظاهر التواصل بين المشرق العربي والمعرب من خلال اسهامات الأمير شكيب أرسلان في النضال المغاربي.

الكلمات المفتاحية:

الاستعمار الأوروبي، النضال الوطني، الحركة الوطنية المغاربية، القضية الجزائرية، القضية المغربية، القضية التونسية، القضية الطرابلسية، شكيب أرسلان،

Title:

Shakib Arslan's contributions to the Maghreb struggle against European colonialism

Received: 15/ 3/ 2024

Accepted: 12/ 4/ 2024

Email:
fatima.habache@univtiaret.dz

Abstract:

Among the prominent figures of Arab and Islamic nationalism in the Arab and Islamic world, we find Shakib Arslan, the Druze prince, who dedicated his pen and thoughts to championing Muslim causes with great enthusiasm from the heart of Europe. He was one of the most brilliant politicians whom Geneva hosted to defend humanity and oppose colonialism. One of the most notable causes strongly associated with his name was the struggle of the Maghreb countries against colonialism. This issue occupied a significant place in his militant journey, as he sought to oppose European colonialism in Algeria, Tunisia, Libya, and Morocco. He exposed it internationally through the press and protest letters, revealing the suffering of the Maghreb peoples from colonial policies and their violations against Arab and Islamic identity and belonging. Therefore, this research will attempt to present one of the aspects of communication between the Arab East and the Maghreb through the contributions of Prince Shakib Arslan in the Maghreb struggle.

Keywords:

European colonialism, national struggle, the Maghreb national movement, the Algerian cause, the Moroccan cause, the Tunisian cause, the Tripolitanian cause, Shakib Arslan, the press, petitions.

تمهيد:

عند الخوض في نمط العلاقة بين المشرق والمغرب العربيين، والبحث في سياقاتها وخصوصياتها نجد أنها علاقة ذات خصوصية، ميزتها تلك القنوات المتعددة التي تثبتها وتؤكدها، فمن الناحية التاريخية هي علاقة قائمة عبر التاريخ أكدها ذلك الاتصال المرتبط من جهة بالجانب الروحي المتمثل في العلاقة الدينية والاشتراك في الانتماء الديني للإسلام، لنجده مرة أخرى يظهر ويتوطد أكثر تحت تأثير الايديولوجية الاستعمارية التي غزت الفكر الأوربي وجعله يسعى ويطمح أكثر لإثبات ذاته خارج مجال القارة الأوروبية خاصة بعد الانجازات المحققة على خلفية الثورة الصناعية، وهوما أدى إلى حدوث حالة من التنافس الأوروبي الاستعماري، وكان من ضحايا هذا الطموح العالم العربي والإسلامي، وعلى فترات متوالية ما بين القرن ١٩ والقرن ٢٠.

لقي هذا الاندفاع الأوروبي باستهدافه للشعوب الضعيفة بالحركة الاستعمارية ردا قويا من العالم العربي والاسلامي، جسده ذلك المبدأ المشترك بين كل الشعوب " مبدأ الرفض"، محاولين التعبير عنه، وعلى فترات متوالية وبأساليب مختلفة تبعا لظروف كل فترة، مجسدين بذلك مبدأ النضال والمقاومة لهذه السلطة الأجنبية الغير شرعية، وهنا نجد مرة أخرى ذلك الالتقاء بين المشرق والمغرب العربيين من زاوية النضال، ووجوب التصدي لهذا الخطر الأجنبي الذي بات يهدد الهوية والانتماء العربي الإسلامي، من هنا يمكن القول وفي إطار التصدي للخطر الأجنبي نلمس عملية تأثير وتأثر الطرفين لبعضهما البعض ومن عدة قنوات منها ما تعلق بجانب الاعتقاد والايمان الفكري بالنضال، ومن جهة أخرى المصير المشترك وتقاسم المعاناة، وكذا الاتحاد والتعاون المتبادل للتصدي لهذا الخطر، الذي أخذ أشكالا مختلفة سواء هجوما عسكريا، أو فرض الحماية أو الانتداب.

نلمس حضور المشرق العربي وبدور ريادي في المسألة النضالية للأقطار المغاربية، ميزه ذلك التنوع بين التبني والدعم والمساندة المباشرة، وغير المباشرة من خلال تبني الأفكار المشرقية، أو احتواء النضال جغرافيا، أو اسهامات بعض الشخصيات المشرقية في النضال المغاربي في مختلف الفترات ولعل من أهم هذه الشخصيات التي تميزت بحضورها المتنوع والمتكرر لصالح النضال المغاربي ضد الاستعمار الأوروبي نجد السياسي والمفكر شكيب أرسلان الذي عرف بمواقفه المختلفة وحضوره النوعي الى جانب الحركات التحريرية المغاربية،

وحول هذا الموضوع يمكن طرح اشكالية علمية تمكننا من الوقوف على هذا الدور وهي كالآتي: " **إلى أي مدى كان لحضور ودور شكيب أرسلان مع زعماء الحركات التحريرية المغاربية تأثير في النضال الوطني ضد الاستعمار، ماهي مظاهر هذا الحضور النضالي؟، ماهي أهم خصائصه ومميزاته، والتي منها يمكن استقراء الأبعاد النضالية للفكر القومي والدفاع المشترك لنصرة الأمة العربية والاسلامية؟**"

للإجابة على هذه الاستفهامات اعتمدنا المنهج التاريخي التحليلي وخطة علمية من أجل الوصول إلى عوامل التواصل بين شكيب أرسلان والحركات التحررية المغاربية، وتحديد مظاهر مساهمة الأمير شكيب أرسلان في النضال الوطني المغاربي، نهيك عن استخلاص أهم النتائج والقراءات حول هذا الدور.

١- نبذة عن حياة الأمير شكيب أرسلان:

قبل أن نستعرض المواقف القوية للأمير شكيب أرسلان من النضال المغاربي وابراز دوره النوعي على فترات متوالية، وضمن إطار جغرافي متباين من شمال إفريقيا و أوروبا، لابد من الوقوف عند سيرته الشخصية حتى نفهم تلك العوامل التي ساهمت في تنشئته الفكرية والسياسية ومكنته من الانفراد بإيديولوجية سياسية ذات بعد قومي تدعو إلى الهوية الاسلامية والعروبة .

وللعلم الخوض في سيرته ومساره العلمي والعملي كان اعتمادا على مصادر متنوعة انطلاقا من كتاباته التي أورد فيها الحديث عن عائلته ومكانتها السياسية والفكرية بلبنان بين العشائر والعائلات النافذة، نهيك عن العديد من الدراسات التي تناولته من جوانب عديدة وفي سياق قضايا مختلفة اقترنت في أغلبها بمسألة النضال في الوطن العربي، وهنا بالطبع نجد دراسات مغاربية لباحثين من ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب.

هو الأمير حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين بن حيدر بن سليمان ابن فخر الدين ابن يحي ابن جمال الدين أحمد ابن بهاء الدين ابن صلاح الدين المفرج ابن سيف الدين أبي المكارم يحي ابن نور الدين أبي السعدات صالح ابن يوسف الدين المفرج ابن بدر الدين يوسف ابن أبي جيش زين الدين صالح ابن عرف الدولة قوام الدين علي الملقب بأرسلان ابن ناهض الدين أبي العشائر بحر بن عضد الدولة علي ابن شجاع الدولة أبي غرات عمر أبي حامد ابن مسعود ابن الأمير أرسلان ابن بركات ابن منذر "، أمه شركسية تدعى جليلة[١].

ولد في ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩ الموافق لأول رمضان ١٢٨٦ بحارة الأمراء، بحي أرسلان بقرية الشويفات جنوب بيروت[٢]، وهو الابن الثاني بين إخوته الثلاثة نسيب، حسن، عادل، نشأ وتربى في وسط عائلة تميزت بنفوذها وعراقتها في المنطقة[٣]، تنتسب إلى الطائفة الدرزية احدى أهم الطوائف بلبنان إلى جانب السنة والشيعة والحوارنة وغيرهم، استقرت منذ القرن ١١[٤]. تميزوا بتوارث النفوذ والشرف كما حضوا باحترام عند السلطات العثمانية بلبنان، حيث اشتغل وتولى أفرادها على التوالي مناصب ووظائف سامية، فأبوه كان مدير مقاطعة أصفر، أما عمه مصطفى أرسلان كان قائم مقام دائرة الشوف، لقب أفراد العائلة بين الناس بالأمراء، وعموما اشتهرت العائلة الأرسلانية بشخصياتها التي برزت في مجال الأدب والفن والسياسة[٥].

إذن البيئة والعائلة تحديدا بمكانتها ساهمت في تنشئته وتكوينه على مستوى رفيع، فهو كان محظوظا رفقة اخوته بتلقيهم تعليما راقيا على يد مشايخ ومدرسين أكفاء، فمنذ بلوغه السن الخامسة تتلمذ وتلقى معارفه الأولى على يد الشيخ العربي شاهين سليمان من أوليات القراءة والكتابة، ليواصل تحصيله العلمي لاحقا بعين عنوب فحفظ القرآن على يد الشيخ أفندي فيصل، ثم التحق بالمدرسة الأمريكية بحارة العمروسة، فنال تكوين في مجال العلوم كالجغرافيا والحساب، واللغات تحديدا الانجليزية[٦].

لعل شغف والده بالعلم ورغبته الشديدة في بلوغ أبنائه تحصيل علمي على أعلى مستوى لم يكتف بتسخير شيوخ لتعليم أبنائه على مستوى محلي ببيروت ونواحيها بل تعدى تركيزه على تشجيع أبنائه على مواصلة طلب العلم، والدليل بعد بلوغ شكيب السن العاشرة من عمره وتحديدا في ١٨٧٩ ادخل مدرسة الحكمة ببيروت، والتي قضى فيها حوالي ثماني سنوات، أين تلقى دروسا نوعية في اللغة العربية على يد أشهر المشايخ منهم عبد الله البستاني، والمعلم شاكر عون في اللغة الفرنسية، و عبد السلام بك للغة التركية[٧].

إذن التكوين النوعي والجيد على يد أحسن المعلمين والشيوخ اتى بثماره وانعكس ايجابا على الأمير أرسلان في وقت مبكر حيث استطاع أن يكون له إلمام ثقافي وفصاحة في اللسان العربي، فأصبح ينظم الشعر ويحرر المقالات وهو لايزال في السن ١٤، كان محببا من قبل شيوخه خاصة البستاني الذي أثنى عليه كثيرا وعندما سئل في إحدى المرات عن أحب تلاميذته قال: " أحب التلاميذ إليه شكيب أرسلان"[٨]، كما أن المصلح محمد عبده عند زيارته لمدرسة الحكمة أعجب به كثيرا ، فأثنى على قدراته الأدبية والصحفيه وتنبأ له بمستقبل زاهر في

الشعر[٩]. وعموما واصل أرسلان تحصيله العلمي فالتحق لاحقا بالمدرسة السلطانية ١٨٨٧، وكان من بين معلميه الشيخ محمد عبده الذي درس على يده الفقه لمدة سنة، فكان من أشد المعجبين به وتوثقت الصلة بينهما أثناء اقامته في لبنان بعد نفيه من مصر[١٠].

مع التكوين الرفيع الذي تلقاه شكيب واخوته على يد شيوخ متميزين وبحرص ودعم عائلي حيث لم يتوان والده في تسخير كل الامكانيات المادية والمعنوية لبلوغ أكبر المراتب العلمية واكتساب المعارف المختلفة، وبالطبع كان لتلك الرعاية الفائقة انعكاس وأثر عميق على الأبناء في مقدمتهم الأمير أرسلان، فبفضل مطالعته الواسعة في ميدان الأدب والشعر والتاريخ كون رصيدا معرفياً وهو لايزال تلميذا بالمدرسة وتفجرت عنده العديد من المواهب منها الكتابة بأشكالها المختلفة كنظمه للعديد من القصائد الشعرية وهو بالسن ١٤سنة حيث كان ينشرها بالجرائد منها الجنة التي أشرف عليها الشيخ الدغستاني، وفي ١٨٨٧ استطاع نشر كتابه الأول المتضمن لديوان شعره بعنوان " باكورة" معلنا عن انطلاقته الفعلية في ميدان الأدب[١١]، بالإضافة للتأليف برع في الترجمة خاصة مع اتقانه اللغة التركية قام بترجمة بعضا من القصائد من التركية إلى العربية[١٢]، وأشاد بشعره الكثير بقصائده منهم المصلح محمد عبده الذي توسم له بمستقبل كبير في الشعر.

بفضل رصيده الفكري والمعرفي اشتغل مبكرا في ميدان السياسة والخوض في القضايا العربية والاسلامية من خلال تحريره العديد من المقالات الصحفية بمختلف الجرائد العربية في مقدمتها البيروتية ثم المصرية كالأهرام، تناول قضايا اجتماعية وثقافية وغيرها، فخاض في مسألة النمو والتطور والنشاط الإصلاحي الذي يشهده العالم العربي، وأصبح مراسلا لجريدة المؤيد، وذاع صيته وشهرته ليصبح من ألمع الصحافيين في الوطن العربي[١٣]. زاد بريقه الفكري والأدبي بطرح سياسي توجه وزاده نورا جعله أكثر شهرة خاصة بأعماله، وكذلك أهله لاحقا ليكون زعيما في ميدان الصحافة النضالية لصالح الأمة العربية والإسلامية طيلة مسار حياته، إضافة إلى رصيده في مجال التأليف الذي تعدى مجال تحرير المقالات إلى إصدار العديد من التآليف ذات أبعاد تاريخية وسياسية وحتى فكرية، تناول فيها مختلف القضايا التي ميزت العالم العربي والإسلامي على فترات مختلفة عاصرها كفرد ينتمي لهذه الأمة العربية، فهو كتب حول ظاهرة الاستعمار التنافس الأوروبي ضد العالم العربي، كما تناول مسألة ضعف وتراجع الأمة العربية ، ومن بين اهم كتابته نذكر: تأخر المسلمين وتقدم غيرهم، النهضة العربية في العصر الحاضر،

الوحدة العربية، السيد محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، رسالة عن ضرب الفرنسيين لدمشق، مقالات شكيب، نهيك عن كتب أخرى عبارة عن تعليق أو تحقيق منها: حاضر العالم الإسلامي علق على كتاب لوثروب ستودارد، تاريخ أبن خلدون تحقيق وتعليق، الدرة اليتيمة تحقيق وتعليق، ومن كتبه المترجمة نجد: رواية آخر بني سراج، أناتول فرانس في مباذلة....إلخ(١٤).

توقف مساره الفكري والعلمي والسياسي بوفاته يوم ١٩٤٦/١٢/٩ على إثر سكتة قلبية أصابته ببيروت بين أحضان عائلته(١٥)، رحل عن الحياة بعد عودته إلى وطنه بعد استقلاله في ٣٠ أكتوبر لينعم بحرية بلاده لأيام فقط تاركا إرثا فكريا وحضاريا للأجيال، حضرت جنازته شخصيات هامة كما رثاه العديد منهم زعماء النضال المغاربي(١٦).

٢- عوامل التواصل بين الأمير شكيب أرسلان والحركات التحررية المغاربية:

إن الحضور القوي لشخصية الأمير أرسلان في النضال العربي والإسلامي، نهيك عن حضوره بفكره السياسي القائم على الدفاع عن مسألة العروبة والإسلام جعل مساره النضالي يحظى بالدراسة والبحث على يد العديد من الباحثين والمؤرخين الأجانب والعرب مشارقة أو مغاربة، والطبيعي هذا الاهتمام بنشاطه السياسي ومسار حياته هو تأكيد على حضوره ودوره النضالي في مرحلة متميزة من تاريخ العالم الاسلامي والعربي خاصة منذ مطلع القرن العشرين إلى منتصفه تقريبا وتزامنا مع فترة الأربعينات من نفس القرن.

إذن الأحداث المتباينة والمتنوعة التي عاشتها الأقطار العربية في ظل التغيير الإيديولوجي الذي ظهر كانعكاس عن الثورة الصناعية، وظهور الأيديولوجية الاستعمارية كفكر سياسي طغى على العالم الأوروبي والغربي عموما، فوقع نوع من التنافس الاستعماري الأوروبي على حساب شعوب العالم التي كانت تعرف حالة من التدهور والتقهقر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، منها الأقطار العربية التي كانت عرضة وضحيه لهذه الايديولوجية الجديدة، وكان الرد عليها بموقف نضالي تمثل في المقاومة من مختلف الأقطار وبأشكال مختلفة(١٧)، ميزها حضور ودور العديد من الشخصيات النضالية التي برزت بمواقفها ذات البعد الوطني أو القومي عربي إسلامي ضد هذا الخطر، وتحت مظلة المصير المشترك والمعاناة الواحدة.

في هذا السياق نجد شكيب أرسلان برز بحضوره السياسي والفكري في العديد من الدراسات المغربية والجزائرية والتونسية والمشرقية وحتى الأجنبية أين تم استقراء في سيرته

النضالية مع تباين في الطرح والمعالجة بحيث نجد من العرب أثاروا سيرته من خلال اسهاماته في قضاياهم الوطنية بينما الأوروبيون حاولوا طرحها بصورة ذاتية وتفسير مواقفه من زاوية ضيقة بعيدا عن النضال.

لكن رغم هذا التباين في الطرح لم يلغ دوره النضالي الوطني للشعوب العربية بداية من سوريا وفلسطين ثم مع شعوب شمال إفريقيا أين أبدى دعما ومساندة معتبرة للحركات التحررية المغاربية بأشكال وطرق المختلفة، وبالطبع هذا الموقف للأمير أرسلان ساهمت فيه عدة عوامل ليكون له ذلك الدور النوعي في النضال المغاربي، بعضها ذاتي مرتبط بشخصه مباشره وبعضها الأخر اقترن بالظروف والأوضاع العامة للأقطار العربية والعالم عموما نسجل منها:

١- البيئة والتنشئة الفكرية والسياسية التي تربى بها فيها شكيب أرسلان، فهو ينتمي إلى إحدى البيوتات ذات النفوذ السياسي والمادي ببلاد الشام، والأكثر من ذلك تميزت بحضورها ودورها في التاريخ العربي والإسلامي على فترات متوالية، والدليل كانت من العائلات التي استعانت بها الخلافة العثمانية كوسيط بينها وبين العرب[١٨]، إذن مبادئ وقيم العائلة الأرسلانية وممارستها السياسية ترسمت في فكر أرسلان، القاضي بوجوب الوحدة والنهوض بالأمة الإسلامية وصيانة العروبة، يمكن القول أنه اعتمد خطا سياسيا يدعو فيه للوحدة العربية الشاملة، وضرورة الاتحاد في ظل الظروف التي تهدد كيانها، مضافا إليها قواسم أخرى مشتركة تسمح بوحدة الشعوب خاصة بين المشرق والمغرب العربيين كاللغة، والتاريخ المشترك، الحضارة .

٢ - المعاناة المشتركة التي تعيشها الشعوب مع تصاعد الايديولوجية الاستعمارية لدى العالم الغربي خاصة بعد الثورة الصناعية، نهيك عن حالة الضعف والتراجع الحضاري للخلافة العثمانية، فأصبحت أملاكها عرضة للاستهداف الاستعماري بمختلف المناطق منها ولاياتها بالعالم العربي التي كانت محل التنافس الاستعماري، فنالها التقسيم والانتهاك لحريتها واستقلالها، من هنا يمكن القول هذه المخاطر الأجنبية طالت كل الشعوب ولمس أفرادها خاصة النخبة ذلك العدو المشترك الذي يستلزم التخلص منه بوحدة وعمل مشترك كقوة واحدة وسلطة واحدة تضمن الصمود أمام الاستعمار الغربي. إذن من هنا نجد أن شكيب أرسلان وكسياسي لمس تلك المآسي التي طالت المشرق والمغرب العربي على حد سواء كلها أصبحت كلها تحت تهديد خطر مشترك يستوجب التصدي بالاتحاد والتعاون المتبادل وتقاسم المهام والأدوار لنصرة الأمة العربية والإسلامية بعيدا عن النعرات والعصبيات والصراعات القطرية[١٩].

٣ – حالة التوافق الفكر السياسي بين الأمير أرسلان وزعماء النضال بالأقطار المغاربية ضد الاستعمار من خلال تبنيهم للفكر الاصلاحي، وهو تحرك سياسي عرفه العالم العربي والإسلامي عموما مع أواخر القرن ١٩ ومطلع القرن العشرين، حيث كان ملاذا للعديد للتحرك سياسيا، ومن بين تلك الأفكار السياسية المنتشرة أنداك " فكرة الجامعة الاسلامية "، وضرورة احياء الخلافة الاسلامية من جديد بعد حالة الركود والتقهقر الشامل[٢٠]. من هنا نجد الحركة الاصلاحية كانت أحد الخيارات من أجل الاستنهاض بالأمة، وسلاحا للمسلمين، آمن بها أغلب الناشطين في ميدان السياسة للدفاع على الاسلام، فمثلا أرسلان كان على قناعة بالحركة الاصلاحية، متبني لكل أفكار جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ونفس الحال بشمال افريقيا كان التيار الإصلاحي شعبية عند النخب المغاربية[٢١] وكانت احدى قنوات عملهم السياسي.

٤ – ممارسة الصحافة كان من بين العوامل للحضور السياسي في القضية المغاربية ضد الاستعمار، فامتهان شكيب أرسلان للعمل الصحفي وفي وقت مبكر وهو لايزال تلميذا جعله يتمرس أكثر ويكتب بصحف إصلاحية مشرقية على غرار جريدة المؤيد، ثم أصبحت له صحافته الخاصة بالمنفى حيث أسس مجلته " الأمة العربية " سنة ١٩٣٠ بالتعاون مع إحسان الجابري، كانت تصدر باللغة الفرنسية حتى تكون أكثر انتشار واطلاع، تولى طبعها بدار فرنسية ببلدة آنماس Annemasse، وهي مجلة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية، لسان حال الوفد السوري الفلسطيني لدى عصبة الأمم المتحدة، من أهم أهدافها خدمة مصالح الشعوب العربية[٢٢]. في هذه الجرائد طرح فيها قضايا الشعوب العربية وفضح انتهاكات السياسة الاستعمارية، وفي هذا نرى أنه يتوافق مع زعماء النضال المغاربي الذين اعتمدوا كذلك الصحافة وسيلة من وسائل النضال بهدف الاستمرارية.

٥ – التأثر بالحركة الإصلاحية وخاصة بأفكار جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده بحيث مثلما تأثر شكيب أرسلان بأفكار المصلحين الداعية للوحدة المسلمين ولم شملهم للتصدي للمخاطر الخارجية كوسيلة أنسب وأكثر نجاعة للحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، نفس الرؤية كانت عند بعض النخب والمثقفين من الأقطار العربية الذين وجدوا في تلك الصحوة التي ميزت العالم الاسلامي والمشرق العربي خاصة منذ منتصف القرن ١٩، وبدأت معالم تأثير هذا التيار واضحة خاصة بشمال إفريقيا مع أواخر نفس القرن أين انتشرت مبادئه تدعو إلى ضرورة إرساء دعائم النهضة الاسلامية ووجوب إحياء الخلافة الاسلامية واعادة مجدها من جديد عن

طريق تبني تيار ومنهج إصلاحي شامل ومتكامل يقضي بالوقوف على عوامل انحطاط المسلمين داخليا وخارجيا[٢٣]، وتحديد مظاهرها من أجل استقراء أبعادها وفي نفس الوقت تحديد الترياق المناسب من أجل الصحوة الجديدة التي تضمن إعادة بعث النهضة الاسلامية من جديد.

إذن دعاة النهضة الاسلامية ومشرعها الحضاري لقى الاحتواء عند كل الناشطين السياسيين، وحاولوا السير على نهجه من باب التصدي للخطر الأجنبي، وعليه نقول شكيب أرسلان وغيره من دعاة النهضة في الأقطار المغاربية كانوا على توافق في الاعتقاد والتبني لمبادئ الحركة الإصلاحية، والعمل في سياقها كفرصة ضد المخاطر، وذلك بالعودة إلى تعاليم الشريعة كتابا وسنة في تسيير أمورهم في الوقت الراهن، وإعادة البعث لمستقبل قادم يضمن العودة من جديد بالمسلمين إلى الاشعاع الحضاري. ولعل خير دليل على تبنيهم جميعا لهذه الأفكار : كتاباتهم عبر صحفهم منها جريدة المنار، محاضراتهم الداعية لفكرهم الاصلاحي بين شعوبهم منها خطب محمد عبده بالجزائر في زيارته سنة ١٩٠٣[٢٤]، وعموما هذا التأثير لكلاهما بالحركة الاصلاحية يعد حلقة تواصل بينهما .

٦ – عنصر الهجرة وعامل النفي باتجاه أوربا كان أحد عوامل التواصل بينهم، فسياسة الابعاد عن الوطن كان لها انعكاس ايجابي للنضال مكنهم من الالتقاء والتدارس للقضايا المشتركة والتفكير في الحلول الممكنة والملموسة على أرض الواقع، وفي هذا كانت جنيف مركز الالتقاء والتواصل لكل النشطاء السياسيين والمدافعين على الانسانية[٢٥]، وهي سمحت بذلك للأمير أرسلان يتعاطى عن قرب مع القضايا المغاربية من خلال اتصالاته ولقاءته مع الزعماء المنفيين، وكان لذلك انعكاس نلمسه لاحقا في النتائج.

في النهاية نقول أن التوافق الفكر السياسي بين شكيب أرسلان وزعماء الحركات التحررية في إطار الحركة الاصلاحية إلى جانب المعاناة المشتركة وحالة الوعي بالانحطاط، مع القناعة المطلقة والثابتة لديهم جميعا ب:" مبدأ الرفض" للسيطرة الأجنبية كلها عوامل تؤكد تلك العلاقة لشكيب أرسلان مع الحركات التحررية المغاربية.

٣ – مظاهر مساهمة الأمير شكيب أرسلان في النضال المغاربي:

لعل القناعة الثابتة في الفكر السياسي لشكيب اقترنت بمبدأ النضال لنصرة الأمة العربية والإسلامية أمام خطر الحركة الاستعمارية الأوربية التي باتت تهددها في كل الفترات، وبكل الأشكال ماديا وعسكريا وفكريا، جعل من القضايا المغاربية ومسألة الاستعمار بها يحظى

بالاهتمام، ويأخذ حيزا مهما وبأنماط متباينة في النشاط السياسي لشكيب أرسلان كونها من القضايا العادلة التي تشكل جزء من اهتمامه في اطار النضال، وعليه نلمس دوره إلى جانب الحركات التحررية لسكان المغرب العربي منذ مطلع القرن العشرين ومن قنوات مختلفة متوازيا مع التنافس الأوروبي على شمال إفريقيا، وتحت تأثير ظروف آنية ومحليه ارتبطت بكل قطر على حدى، كلها تؤكد على حضوره في النضال الليبي والتونسي والجزائري، والمغربي.

٣-١- الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية:

سجلت القضية الجزائرية حضورا متميزا في المسيرة النضالية لأرسلان ضد الاستعمار عموما، ويمكن تحديد إطارها الزماني لهذا الاهتمام إلى فترة الحرب العالمية الأولى مع توفر العديد من عوامل التواصل، بداية معرفته لبعض الأعيان والشخصيات الجزائرية على غرار عائلة الأمير عبد القادر وأبنائه[٢٦]، كما أنه كان المطلعين على كتابات الجزائريين فترة النهضة مع مطلع القرن ٢٠ واستقراء أراءهم السياسية[٢٧]، وهي في الحقيقة أعمال تندرج ضمن حركة التأليف التي تعد أحد عوامل الاستنهاض ومواصلة النضال بأسلوب جديد بعد فشل المقاومة العسكرية خلال القرن ١٩، وهذا في حد ذاته يعد نوعا من التوافق في مجال الاهتمام بالقضايا السياسية المعاصرة.

كما لا يمكن استبعاد الرأي القائل باختلاط واحتكاك أرسلان بالجزائريين أثناء تواجده بطرابلس (ليبيا حاليا)، وهذا يؤكد المام أرسلان بمواقف الجزائريين ضد الاستعمار عموما، والفرنسي خاصة، وربما ما يؤكد ذلك الاطلاع على واقع الجزائر المرير على عهد الاستعمار الفرنسي استحضاره لتلك المواقف النضالية للجزائريين على فترات مختلفة مشيرا إلى نضال الأمير عبد القادر، ثم محاولة ابنه محي الدين تجديد النضال انطلاقا من الصحراء[٢٨]، كما أنه أشار وباختصار كشهادة عن دور حفيده الأمير خالد في النضال الوطني.

إذن هذه العلاقة الضمنية بين أرسلان والنضال الجزائري تطورت وأخذت أبعادا تجسدت في الحضور العملي للأمير أرسلان مع فترة العشرينات لتمتد وتظهر اثارها خلال فترة الثلاثينات، وهي الفترة التي تجسد مرحلة تبلور وتطور الحركة الوطنية بظهور وتشكل العديد من التيارات الوطنية، تأتي في مقدمتها ميلاد التيار الاستقلالي بقيادة حزب نجم شمال إفريقيا سنة ١٩٢٦، وتيار العلماء الذي ستمثله لاحقا مع ١٩٣١ جمعية العلماء المسلمين .

إذا حاولنا معرفة مظاهر وأشكال التواصل والتأثير في نفس الوقت للأمير أرسلان في النضال الوطني الجزائري نقول كان أولا من خلال التيارات الوطنية الاستقلالي ثم العلماء، مضافا إليهما علاقته بالطلبة بأوروبا من خلال جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا[٢٩]:

١ – اللقاءات التي وقعت بين أرسلان وزعماء الحركة الوطنية بداية مع الزعيم ميصالي الحاج، خاصة بعد ١٩٢٧ مع إعلان هذا الأخير عن التوجه الجديد للنجم "البعد الانفصالي" واعلانه على الاستقلال التام للجزائر من مؤتمر بروكسل سنة ١٩٢٧ ، الأمر الذي أدى إلى وقوعه في محاربة ومضايقة مزدوجة من السلطة الرسمية ومن اليساريين الفرنسيين خاصة الحزب الشيوعي الفرنسي، انتهت إلى حل الحزب سنة ١٩٢٩ واللجوء إلى العمل السري والبحث عن مناصرين خارج فرنسا، والطبيعي الوجهة الأقرب جغرافيا هي سويسرا وتحديدا جينيف التي كانت ملتقى لكل الوطنيين السياسيين والنشطاء ضد الاستعمار ونصره حق الشعوب المستعمرة[٣٠]. توجه إذن مصالي الحاج إلى هناك وكانت له فرصة لقاء أرسلان خلال فترة الثلاثينات، مع اختلاف للآراء حول تحديد سنة اللقاء، بحيث نجد أغلب الدراسات والكتابات التاريخية حول تاريخ مصالي الحاج أو التيار الاستقلالي تشير إلى أن التواصل المباشر بينهما كان مع ١٩٣٥ تزامنا مع المؤتمر الاسلامي الأوروبي بجينيف، المنعقد ما بين ١٢–١٧سبتمبر ١٩٣٥، حضره رفقة عمار إيماش، بانون آكلي، ومحمد بديك والجزيري، نظمه شكيب أرسلان من أجل توحيد المسلمين في أوروبا مع مسلمي الشرق، وتثمينه بالتعاون وتنوير الرأي العام بفضائل الإسلام وعظمة حضارته، كما حاول فيه غرس روح التضامن العربي والإسلامي بين مختلف الحركات الوطنية[٣١]. ولابد من الإشارة في ذلك أن أحد قادة التيار المدعو بانون أكلي يرجع تاريخ الاتصال إلى ١٩٣٢ عن طريق وسيط قاضي مصري يدعى محمد سالم باي كان يقيم بباريس.

بالرغم من الاختلاف حول تاريخ الاتصال بينهما إلا أن الأكيد وجدت بينهما علاقة، أكدتها أولا شهادة كل منهما في الأخر[٣٢]، وثانيا التوجه الجديد لنجم شمال إفريقيا مع فترة الثلاثينات فانتقل من الدعم الأحادي للحركة العمالية والاتجاه اليساري الفرنسي، إلى التضامن الثنائي، فإلى جانب اليساريين نجد تضامن عربي إسلامي[٣٣]، وبذلك يكون الحزب قد أحدث حالة من التوازن، وزادت شعبية النجم، بل الأكثر من ذلك أدى إلى تقارب بين مصالي الحاج والعلماء لاحقا خاصة بعد فشل مشروع بلوم فيوليت، وهذا من منطلق تكامل بينهما فالعلماء لهم

جانب الدين والعربية والنجم له جانب السياسة[٣٤]، وتوجت العلاقة بينهما العمل في إطار مجلة الأمة العربية ولجنة سوريا وفلسطين.

إلى جانب التأثير في التوجه سنجد أرسلان ابتداء من ١٩٣٦ سينتصر لمصالي الحاج وحزبه نجم شمال إفريقيا على المستوى الدولي، فعند زيارته لباريس لحضور تجمع الطلبة في ١٩٣٦/٢/٢١ سعى لعقد اجتماع توفيقي وتقارب، وكان لقاء مغاربي بامتياز بحضور زعماء النضال المغاربي فكان كل من مصالي والأمير أرسلان إلى جانب الحبيب بورقيبة الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، والمناضل محمد الخلصي نائب لجنة العمل المغربية، إضافة إلى الفضيل الورتيلاني، والسعيد الساحلي[٣٥]، فهو كان فرصة لطرح ومناقشة القضايا ببعد مغاربي والدعوة للوحدة، فإلى جانب مناقشة قضية النجميين والعلماء، سعى إلى التوحيد بين الدستوريين في تونس، وكذلك كتلة العمل المغربية التي انقسمت إلى جناحين بقيادة علال الفاسي وحسن الوزاني[٣٦].

المراسلات وتبادل الخطابات كانت إحدى نقاط التواصل وحضور الأمير أرسلان في النضال الجزائري والمساهمة في دعم القضية العادلة، وأغلب المراسلات كانت مع أعضاء تيار العلماء من بداية العشرينات، حيث تبادل المراسلات مع زعماء الحركة الاصلاحية في الجزائر منهم أحمد توفيق المدني الذي أشار إلى معرفته به مع ١٩٢٣ عندما كان في إدارة الحزب الدستوري بتونس[٣٧]، حيث كان يتراسل معه متبادلا النقاش في قضايا مختلفة ذات طابع سياسي وأدبي واجتماعي مركزا على أوضاع المغرب العربي عموما، ومعاناته من الاستعمار ومقاومته. ويؤكد هذا التواصل إشادته بكتاب الجزائر واصفا المدني بالمؤرخ الثقة[٣٨]، وأهمية مؤلفه كتأليف علمي وفكري ذو بعد وطني يحافظ على الهوية الوطنية، والأكثر من ذلك تعاطف معه بعد نفيه من تونس إلى الجزائر طالبا منه التحلي بالصبر والثقة[٣٩].

نجد تبادل المراسلات كانت كذلك مع الطيب العقبي الذي تعرف عليه قبل قدومه إلى الجزائر سنة ١٩٢٠، فأول لقاء معه عندما أقام مدة في اسطنبول[٤٠]، وتراسل كذلك مع محمد سعيد الزاهري وعبد الحميد ابن باديس، والشيخ لبن اليقظان[٤١].

تطورت العلاقة من تبادل الرسائل إلى المشاركة والمساهمة لزعماء تيار العلماء وفي مقدمتهم توفيق المدني، وسعيد الزاهري، والطيب العقبي بالترويج لمجلة الأمة العربية وجمع لها التبرعات والاشتراكات وحتى الاعلانات، وهذا بشهادة الأمير أرسلان نفسه عندما أشار لذلك في

إحدى رسائله المؤرخة في ١٩٣١/١/١٥ إلى الحاج عبد السلام بن نونة أين أشاد فيها باجتهاد المدني في جمع الاشتراكات للمجلة قدرت ب ٣٠٠٠فرنك[٤٢].

تعدت العلاقة بين الأمير أرسلان والعلماء بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين من المراسلات إلى ميدان الصحافة حيث نجد العديد من صحف الجمعية نشرت العديد من مقالاته مما يعني ذلك تأييد لأفكاره وإشادة بمواقفه منها جريدة الشهاب التي نشرت اعلانا مقتبس من مجلة الأمة العربية، وكل ذلك اعترافا بأهميتها الفكرية والسياسية نهيك أنها فرصة للدعاية للعروبة ووجوب إحياء ماضي الأمة للوقوف ضد المغتربين ومن النماذج التي نشرت رسالة أرسلان المشيدة بكتاب الجزائر لمؤلفه مبارك الميلي مبينا في نفس الوقت النهضة الدينية التي تعرفها الجزائر مركزا على الأخلاق والإسلام[٤٣].

٣-٢- علاقته بالحركة الوطنية التونسية:

على غرار باقي الأقطار المغاربية شكلت القضية التونسية حيزا مهما ضمن اهتمامات شكيب السياسية الداعمة للقضايا الانسانية، وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وفي إطار مبدأه الرئيسي القاضي بنصرة البلاد العربية والاسلامية عموما، ووجوب العمل على دعمها والمساهمة في تحرير كل أقطارها من الانتهاك الاستعماري .

يعود تاريخ بداية العلاقة إلى مطلع القرن ٢٠، وتحديدا مع فترة تواجد الأمير أرسلان بطرابلس ومشاركته في المقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي، أين كان له دور وحضور بمساعيه في توفير كل الامكانيات المادية والمعنوية للمقاومين، تواجد بأراضي تونس، ولعل التقارير السرية الاستعمارية أكدت تواجده في مهمة لصالح النضال الليبي[٤٤]، وهوما سمح له الاطلاع على أوضاع تونس.

بينما الحضور الفعلي لأرسلان في النضال التونسي كان منذ الحرب العالمية الأولى واستمر إلى غاية الحرب العالمية الثانية متخذا أشكالا مختلفة لم تخرج عن اطار قنوات اتصاله بالحركات الوطنية المغاربية الأخرى:

- العمل بالصحافة لصالح القضية التونسية حيث نسجل وكما جاء في كتاب بوشوشة أن هذا الأخير نشر العديد من المقالات السياسية تطرق فيها لمعاناة التونسيين وأوضاعهم المزرية على عهد الحماية الفرنسية، ومقالات أخرى كشف فيها انتهاكات السياسة الاستعمارية، والتنديد بها منها التجنيس التي استهدفت به فرنسا المجتمع التونسي في مقوماته العربية والاسلامية من

لغة وتاريخ ، وتقاليد، ومحاولة ابعادهم عن الاسلام ودمجهم في الثقافة والحضارة الغربية[٤٥]، واستعان الأمير أرسلان في محاربة التجنيس بالتونسيين المنفيين، نسقوا جهودهم لمقاومة الحملة الصليبية المنتهجة ضد الهوية بتونس وباقي الأقطار المغاربية عموما. حاول من خلال مختلف المجلات والجرائد دعوة الجميع إلى النهوض والاتحاد من أجل احباط المخططات الاستعمارية التنصيرية، فهو ينظر للتجنيس وخطورته من زاوية أوسع تتعدى المجال القطري لتونس[٤٦].

نلمس الحضور القوي لأرسلان في النضال التونسي من خلال علاقته بزعماء الحركة الوطنية بجيلها القديم والجديد، حيث ربطته علاقة ود وأواصر إخوة، نهيك عن التفاهم في الأهداف والمبادئ النضالية لنصرة قضايا التحرر، ومن أشهر الوطنيين التونسيين الذين نسق معهم بالمهجر والمنفى بجنيف كالشيخ صالح الشريف التونسي الذي ربطته علاقة صداقة منذ ١٩١٥ عند نفيه من تونس بعد أحداث الزلاج سنة ١٩١١[٤٧]، وأثناء إقامته تعرف على أرسلان وتوطدت العلاقة بينهما، وتعاونا في نضالهما ضد الاستعمار، فقد قاما بمراسلة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ولسن توماس في ١٩١٩/١/١ مطالبين باستقلال الأقطار المغاربية[٤٨].

نفس علاقة التعاون السياسي تكررت مرة أخرى وبالمهجر مع أحد مؤسسي حزب الشباب التونسي سنة ١٩٠٢ المدعو محمد باش حمبة التي قامت السلطة الاستعمارية بنفيه من تونس نحو ألمانيا فاستقر ببرلين، أين التقى هناك بأرسلان الذي كان في مهمة رسمية للأستانة عند الحكومة الألمانية، فتوطدت بينهما علاقة الصداقة وتوجت بتعاون سياسي حيث اتخذه هذا الأخير مساعدا له وعضوا في هيئته " جمعية الشعوب الشرقية"[٤٩]، فتقاسما هموم العالم التونسي إلى غاية وفاته سنة ١٩٢٠، أين كان لوفاته وقعا في نفسية أرسلان[٥٠].

عرف اهتمام الأمير أرسلان بالقضية التونسية سقفا عاليا وبعدا قويا مع الجيل الثاني من الحركة الوطنية التونسية على غرار الحبيب بورقيبة، والحبيب ثامر، وبلغ هذا الاهتمام ذروته مع الحرب العلمية الثانية، وتحديدا مع نزول الحلفاء بشمال إفريقيا سنة ١٩٤٢، حيث سارع هذا المشرقي إلى تحرك قوي من جنيف ضد دول المحور بداية بمقالاته وعرائضه الاحتجاجية لدى المنظمات الدولية والهيئات الرسمية محاولا طرح مشروع لاستقلال تونس، منها رسالته التي أرسلها إلى الدكتور المصري الطيب الناصر المقيم بروما تضمنت مشروع استقلال تونس، بحيث اقترح على دول المحور ل عقد اتفاق سري بينها وبين تونس على شرط اعترافها بالاستقلال التام

لتونس مقابل محالفة التونسيين لدول المحور لمدة عشرين سنة ومعالم هذا المشروع تضمنته الرسالة المؤرخة في ١٩٤٢/١٢/٣١[٥١].

٣-٣- شكيب أرسلان والنضال الطرابلسي:

لعل تداعيات الحركة الاستعمارية وتسابق الدول الأوروبية فيما بينها إلى اقتسام أملاك الدولة العثمانية، التي كانت تعيش أصعب مراحلها وضعفها الكبير في كل المجالات، جعلت الأمير أرسلان وبفضل وعيه السياسي واتساع أفقه الفكري أن تكون له قراءة للأوضاع الحالية التي تتخبط فيها الدولة العثمانية وتداعياتها على الأقطار العربية التي هي جزء منها، لذا فقد كانت رؤيته للحملة الايطالية على طرابلس بذرائع غير مقنعة وإعلان الحرب في ١٩١١/٢/٢٩، هي إحدى الحالات التي تهدد الأمة العربية والإسلامية من خلال استهداف السلطة العثمانية[٥٢]، ومن هنا نبرر حماسه النضالي للقضية الطرابلسية والدفاع عنها من منطلق القناعة السياسية التي يؤمن بها ذات البعد الاسلامي ووجوب نصرة الاسلام والمسلمين ضد النصارى.

تجسد دعمه للطرابلسيين في نوعين من المواقف منها ذات طابع سياسي بتسخير قلمة لصالح القضية، وجه العديد من المراسلات إلى جهات مختلفة يدعو فيها غلى نجدة طرابلس ودعم ونصرة المجاهدين السنوسيين بالأموال والسلاح[٥٣]، والأكثر من مكاتبة أصدقائه بمصر منها رسالته يقول فيها: " ولما شنت إيطاليا غاراتها على طرابلس الغرب كنت في عين صوفر وأخذت أكاتب أصحابي بمصر ومنهم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في إعانة السادة السنوسية بالأموال لأجل المعاونة، .."[٥٤] ونفس الطلب كرره مع رشيد رضا الذي طلب منه جمع المساعدات المالية، كما عقد اتصالات مع مسلمي الهند وحثهم على مد يد العون و المساعدة[٥٥].

تعدت مراسلاته إلى توجيه بعضها إلى المنظمات الرسمية والحكومات منها رسالته للحكومة المصرية طالبا منها عقد اجتماعات بهدف الدعم والمساندة، ونفس الأمر كان مع الأستانة حيث أرسل برقيات يدعو الأتراك إلى ارسال الامدادات اللازمة لدعم ولاياتها بشمال افريقيا ورفع الكرب على أهاليها، وتعدى حماسه إلى تقديم اقتراح على محمود شوكت باشا ناظر الحربية بالأستانة طالبا منه ارسال ضباط متنكرين عبر طريق مصر وتونس إلى طرابلس وبنغازي للمشاركة مع المجاهدين اللبيين الذين لم يتوانوا عن الدفاع عن وطنهم بشجاعة وصلابة[٥٦] واعترف بذلك في مذكراته قائلا: " كنت أعلم أن الأهالي أهل حمية وشجاعة

وصلابة، وأنهم موطنون أنفسهم على الكفاح لكن يحتاجون إلى قوت وسلاح.."[٥٧]. والأكثر من كل هذا عقد اتصالات مع جمعية الهلال الأحمر من أجل تقديم العون الغذائي والصحي لسكان طرابلس والجبل الأخضر[٥٨].

استمر دعمه السياسي على المستوى الدولي محاولا جلب أنظار العالم من جنيف للقضية الطرابلسية ومعاناة اللبيين من الانتهاكات والتعسف الايطالي، حيث قام بمراسلة أعضاء جمعية حقوق الانسان لاطلاعهم بالتجاوزات في السياسة الاستعمارية، ولقد حضي بوعد مناقشة الوضع من قبل جمعية الأمم في اجتماع لكن لم يحصل ذلك على أرض الواقع تحت تأثير القوى الاستعمارية، حتى أن البعض من دعاة الحركة الاستعمارية في حق العرب والمسلمين ادعوا أن أحداث طرابلس ليس من اهتمام واختصاص جمعية الأمم، الأمر الذي أغضب الأمير أرسلان ورد عليهم غاصبا وبأسلوب عنيف قائلا: "... من الغلط أن هذه الأمور ليست من صلاحية جمعية الأمم، فإن الدفاع عن الأعراض من صلاحية جمعية الأمم، وأن حرية الاعتقادات مبدأ مقرر في جمعية الأمم وكذلك وصاية الآباء على أولادهم القاصرين فهذه كلها أمور وظيفة جمعية الأمم التدخل لها، وكذلك قتل الناس بدون محاكمة والالقاء بهم من الطيارات وأنواع التعذيب كل هذا من خصائص جمعية الأمم..."[٥٩].

إلى جانب ذلك نجده كذلك جند مجلته "الأمة العربية" وباقي الصحف المشرقية كالشورى، والفتح، والمؤيد لفضح السياسة الفاشية وانتهاكاتها المادية والمعنوية في حق السكان بليبيا وممتلكاتهم، فقد وصلته العديد من التقارير الإخبارية حول معاناة أهل طرابلس وبرقة من التعذيب والنفي، والتقتيل الجماعي، وتخريب بيوتهم وبساتينهم، وسلب أراضيهم، واغتصاب أعراضهم[٦٠].

توج حضوره السياسي عبر الصحافة والمراسلات بالحضور الميداني على جبهات القتال، والمشاركة عسكريا بالأراضي الليبية خاصة بعدما اقتنع بعدم جدوى الاستمرار في الحملات الصحفية والخطب الحماسية، لذلك قرر المشاركة إلى جانب المجاهدين السنوسيين، فانخرط في صفوف الجيش العثماني، عبر بمصر رفقة رفقائه من الشوف، وانضم إلى القوات العثمانية في طبرق[٦١].

وفي ظل هذا الدعم عقد اتصالات مع شخصيات نضالية ليبية منهم أحمد الشريف السنوسي الذي التقى به في أواخر ١٩٢٣ بالأستانة بعد إلحاح من هذا الأخير للقائه، وأعجب كثيرا بشخصية الأمير وتدينه، ورجاحة عقله، وسداد رأيه وفكره، وفي المقابل وصفه أرسلان

بخاتمة مجاهدي الإسلام ضد الاستعمار بعد الشيخ شامل الداغستاني والأمير عبد القادر[٦٢]، فقد ذكر عنه: " اشتهر أثناء الحرب الطرابلسية وقام بها المقام المحمود الذي لم يقمه أحد، ولولاه لم يكن أنور باشا ولا غيره من أبطال الدفاع عن طرابلس أن يعمل شيئا"[٦٣].

أما الشخصية الثانية الليبية التي تواصل معها ولا تقل أهمية عن الأولى فهو المجاهد عمر المختار الذي التقى به عندما كان بليبيا مجاهدا مع أنور باشا سنة ١٩١٢، ووصفه بأنه رجل حرب يتميز بالحنكة السياسية، ورجاحة العقل وسداد الرأي، مطلع بأحوال وطنه وقومه[٦٤]، والأكثر من ذلك أعجب عمر المختار بما كان يكتبه أرسلان في مجلته من مقالات حول الأعمال الوحشية للطليان وراسله يشكره عن جهوده لنصرة الأمة الاسلامية[٦٥]. ومن الشخصيات كذلك التي تواصل معها نجد بشير السعداوي الذي كان متواجدا في سوريا سنة ١٩٢٩ كمدافع عن حقوق اللبيين في إطار جمعية الطرابلسية– البرقاوية، وطلب منه فضح الممارسات التعسفية للإيطاليين بمجلته الأمة العربية لكن هذا الأخير تحفظ عن طلبه واعتذر بحجة علاقته القديمة معهم لكنه وعد في نفس الوقت الكتابة عن السياسة الاستعمارية باسم مستعار، وتطورت العلاقة بينهما أكثر تحت ضغط الانتهاك الإيطالي لأملاك وأعراض السكان حيث قام أرسلان بنشر رسالته الاحتجاجية الموجهة لموسولوني بمجلته الأمة العربية بالعدد رقم ٠٧ المؤرخ ب أوت ١٩٣٠[٦٦]، والأكثر من ذلك طلب الأمير من السعداوي تأليف كتاب حول السياسة الاستعمارية الإيطالية بليبيا ما بين ١٩١١ و١٩٣٢[٦٧].

٣–٤– شكيب أرسلان والقضية المغربية:

لعل شرعية النضال الذي يؤمن به شكيب أرسلان والقائم على حق الشعوب في استقلالها واحترام حريتها في ممارستها الدينية، والمحافظة على هويتها بكل الأبعاد، تبرره تلك المواقف المتكررة، وذات الحضور الكمي والنوعي له في نصرة حركات التحرر بأقطار شمال إفريقيا، منها ما لمسناه مع القضية المغربية التي أبدى معها تعاطفا وتأييدا منذ وقوع المغرب الأقصى في الحماية سنة ١٩١٢ حيث سعى إلى مد يد المساعدة للمغاربة لتحرير وطنهم من استعمار مزدوج فرنسي اسباني.

الموقف في طبيعته لم يخرج عن مواقفه مع باقي الأقطار المغاربية حيث وجه حملة تنديد ضد فرنسا وسياستها لاستلاب حرية الشعب المغربي عبر مقالاته الصحفية وكذا رسائله الاحتجاجية ضد الحماية وأخطارها في القضاء على الهوية الاسلامية للمجتمع المغربي.

تطور موقفه أكثر مع جهاد عبد الكريم الخطابي وموقفه الداعم لحرب الريف، بحيث لم يتوان من أن يستنهض العرب والمسلمين بمقالاته ورسائله لدعم الخطابي ماديا ومعنويا منذ العشرينات، وفعلا أتت هذه الحملة أكلها بحيث بلغ صدى الحرب بالعالم(٦٨)، وفي هذا الصدد يذكر بن نبي قائلا: " صدى معارك الريف سنة ١٩٢٥ هزت جيلي في الجزائر، وكانت فيه يد لشكيب أرسلان"(٦٩)، أرسل رسالة إلى رشيد رضا في ٩/٨/ ١٩٢٣ تحدث فيها عن بطولات الخطابي ومواجهته للاحتلال الاسباني، وأكد في نفس الرسالة طالبا منه أن يتحدث عنه في جريدة البيان وعن أعماله الثورية وضرورة التنويه له في الجرائد العربية الأخرى(٧٠).

إلى جانب كل هذا فقد كتب وتحدث عنه مثلما تحدث عن الأمير عبد القادر في تعليقاته عن كتاب ستودارد لوثروب " حاضر العالم الإسلامي قائلا: " لا نبالغ إذا قلنا أن الأمير محمد بن عبد الكريم متولي كبر الثورة على الاسبانيول في شمال سلطنة المغرب، وهو في الثورة الحاضرة بطل الإسلام وأسده الضرغام والعلم المفرد الذي سار بذكره القاصي والداني والخاص والعام بين جميع الأمم لا بين المسلمين وحدهم.."(٧١).

بلغت درجة اعجابه بالخطابي ذروتها سنة ١٩٢٢ عندما التقى بوفد من جماعة الخطابي في مهمة طلب الوساطة من الحكومة الإنجليزية لأجل الصلح بين الخطابي والاسبان، وهنا تحفظ أرسلان من المبادرة معللا بعدم اظهار الضعف بعد الانجازات العسكرية التي أحدثت الخوف والارباك(٧٢)، واستمر دعمه للريفيين بمراسلته لعصبة الأمم في جوان ١٩٢٥ معاتبا تخاذلها وتقاعسها وتناقضها في المواقف، والتخلي عن دورها الحقيقي في حقن الدماء بين الشعوب، كما أرسل في ١٩٢٥/١٠/١٤ رسالتين احدهما إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، والأخرى إلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي شرح فيها المعاناة والمآسي للشعب المغربي جراء السياسة الاستعمارية، مطالبا في نفس الوقت ضرورة التدخل بإرسال بعثات طبية لإعانة السكان(٧٣).

ولابد من التنويه موقف شكيب أرسلان من القضية المغربية لم يقترن بموقفه فقط من حرب الريف ونضال عبد الكريم الخطابي، بل تعدى إلى تلك العلاقة التي ربطته بزعماء الحركة الوطنية، والتي تعود جذورها إلى اتصاله بالطلبة المغاربة بأوروبا في اطار نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا، حيث كانوا مولعين بكتاباته على غرار محمد الفاسي وأحمد بلافريج، وعبد الخالق طوريس، أين تواصلوا معه ولقوا منه الدعم والسند، وبالطبع أعطى هذا التواصل دفعا قويا

للنضال المغربي ونشاط الحركة الوطنية المغربية خاصة مع فترة الثلاثينات، والتي تعد مرحلة فاصلة للنضال الوطني ليس في المغرب الأقصى فقط وإنما في كل شمال إفريقيا بعد التطور النوعي في السياسة الاستعمارية بمستعمراتها بدء بالاحتفال المئوي لتواجد فرنسا بالجزائر ما بين ١٩٢٧ و١٩٣٠، ليتعدى الأمر إلى عقد المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج في تونس ما بين ٧-١٩٣٠/٥/١١ كمحاولة من قساوسة الكنيسة الكاثوليكية لتنصير سكان شمال إفريقيا، لتتوج إنجازات السياسة الاستعمارية بإصدار الظهير البربري بالمغرب يوم ١٦/ ١٩٣٠/٥، والذي يعبر عن أقصى درجات التعسف والانتهاك الاستعماري للهوية العربية والإسلامية يقضي بتبني سياسة فرق تسد بين فئات المجتمع المغربي على أساس عرقي والتمييز بين المغاربة العرب والبربر(٧٤).

إذن نجد مثلما سجل شكيب أرسلان حضوره وموقفه من الاحتفال المئوي ومؤتمر التنصير في القضية الجزائرية والتونسية على التوالي نلمس استمراره على نفس الموقف في الشأن المغربي وعلى نفس درجة حدث اصدار الظهير البربري(٧٥)، تجسد في زيارته للأراضي المغربية بترتيب وتنسيق مع زعماء الحركة الوطنية المغربية مما كان له انعكاس على النضال المغربي، وساهم في تبلور الحركة الوطنية وأعطى لها دفعا نوعيا في الممارسة السياسية، فهو إذن تواصل مع الطلبة المغاربة بباريس على خلفية صدور الظهير، حيث غادر مدينة لوزان متجها إلى باريس يوم ١٩٣٠/٦/١٨، أين التقى بالطالبين أحمد بلا فريج وحسن الوزاني وتباحث معهما في مسألة زيارته دون أن يلعن ذلك علنا في مراسلاته خوفا من الرقابة الفرنسية(٧٦)، فادعى السياحة بأوروبا وتحديد إلى إسبانيا أين زار مدنها خاصة الأندلسية كقرطبة وغرناطة. كما تجدر الإشارة إلى أن زيارته للمغرب كان مرتب لها مسبقا والدليل ما ذكره أحمد توفيق المدني الذي أعلن أن الأمير أرسلان أطلعه على مهمته، تواصل بخصوصها مع صديقه محمد داوود في مراسلته يخبره برغبة شكيب لهذه الزيارة، وهو الأمر الذي حمس المغاربة وخاصة السياسيين في مقدمتهم عبد السلام بن نونة الذي تكفل شخصيا باستقباله(٧٧).

وبالفعل وصل الأمير إلى المنطقة الدولية طنجة في ١٠ أوت ١٩٣٠ ونزل بفندق دو فرانس، وفي اليوم الموالي قدم المناضل عبد السلام بنونة لملاقاته والترحيب به ودعوته لمدينة تطوان، وفعلا لبى الدعوة وتجه إليها في ١٤ من نفس الشهر مصحوباً بزعماء النضال السياسي: أحمد بلافريج، ومحمد الزبدي، ومحمد العباس الفتاح، الحاح محمد بنونة، والشيخ المصمودي، والحاج عمر بن عبد الجليل، ومحمد الغالي الفاسي، وعبد الحميد الصفريوي، وأبو بكر المالقي(٧٨)، وكان

نزوله بمنزل عبد السلام بن نونة، ووفد عليه عامة الناس مرحبين به، وفي خضم حفلات الترحيب ألقى العديد من الخطب والمحاضرات انتقد فيها السياسة الاستعمارية الفرنسية، واستحضر تاريخ الأندلس(٧٩).

دامت زيارته إلى غاية ١٨ أوت ليغادر تطوان متجها إلى طنجة رفقة أحمد داود والحاج عبد السلام بن نونة، ومنها سافر إلي إسبانيا يوم ١٩ أوت عائدا إلى مقر إقامته جنيف. وبالطبع كان لهذه الزيارة انعكاس وتأثير على القضية المغربية واعطت دفعا قويا للنضال المغربي على كل الأصعدة، فعلى المستوى الداخلي ساهمت في بلورة الحركة الوطنية المغربية، بتقوية أواصر الوحدة والتقارب والتعاون بين المناضلين، وخير دليل شهادة الطيب بنونة تؤكد ذلك قائلا: " جميع الذين كتبوا عن أطوار الحركة الوطنية اعتبروا أن زيارة المجاهد الكبير والزعيم أرسلان لطنجة وتطوان من الأحداث التي أعطت الكفاح الوطني عنصرا جديدا وأضافت إلى صفوف المجاهدين قائدا مدربا احتضن القضية المغربية بعطفه وعنايته وخاض المعركة بقلبه وقالبه وأصبح أبا للصغير من رجال الحركة الوطنية وأخا للكبير من قادة الحركة الوطنية بالمغرب، يرشد ويوجه، ويسهم في النضال بفكره وقلمه ويضع ثقله ونفوذه رهن ما تطلبه المقاومة المغربية من تدبير وتخطيط لمقاومة الاستعمار الغاشم وشق الطريق نحو التحرر"(٨٠).

عموماً القضية المغربية سيسطع نجمها أكثر بعودته إلى جنيف أين سخر جريدته "الأمة العربية" للدفاع عنها، محاولاً الوقوف على مخاطر السياسة البربرية من خلال الظهير البربري(٨١)، فعرف العالم والمسلمين بالخطر الذي يهدد الإسلام، وبالطبع تعدى فضحه لهذه السياسة جريدته، محاولاً الاعتماد على صحف مشرقية منها المنار لرشيد رضا، والشورى لمحمد علي الطاهر، والفتح لمحي الدين الخطيب(٨٢)، ولعل شهادة المناضل علال الفاسي تلخص ذلك حيث يقول: " ...قام شكيب أرسلان بدور مهم في فضح السياسة للجمهور العربي، وبمجرد ما علم ما يجري في المغرب عجل بزيارة المنطقة الخليفية، وأخرجه الفرنسيون من طنجة بعدما منعوه من الدخول للمنطقة السلطانية...."(٨٣).

٤- أهم النتائج والاستنتاجات:

- في سياق نضال الحركات التحررية للمغرب العربي نجد حضور للمشرق العربي حضور متميز بأفكاره التي كانت احدى القواعد التي استندت عليها الحركات الوطنية المغاربية خاصة الحركات الاصلاحية التي لقت انتشارا لدى النخب، بالإضافة إلى تأثيره من خلال دور

الشخصيات المشرقية في مقدمتهم زعماء الاصلاح ومعهم شكيب أرسلان، الذي رسم مساره النضالي بحضور فعال ومعتبر نوعي وكمي في النضال المغاربي. جسد فيه ايمانه وقناعته نهيك عن فكره السياسي المناهض للحركة الاستعمارية والقائم على نصرة الهوية الاسلامية والعربية.

– البيئة والتنشئة في وسط العائلة التي تربى فيها أرسلان ساهمت بكثير في هذا الحضور السياسي، والوعي القومي، أي انتمائه لعائلة ذات مكانة سياسية من فئة الأعيان هيأت له الظروف ليحظى بتكوين فكري وسياسي وأدبي، كما أن الرحلات الكثيرة التي قام بها هي بدورها كان لها تأثير بأن يكون له أفق سياسي متطلع مكنه من استقراء الأحداث والظروف التي يعيشها العالم الاسلامي، نهيك عن الظروف الدولية، أين وعى بمخاطر الاستعمار الأوروبي وأطماعه بالعالم الاسلامي.

– نلمس في دوره النضالي بعد عربي واسلامي، حيث نجد توافق في أدواره النضالية بين دعم وحمل لواء قضية سوريا وفلسطين بالمشرق قابله دعم ومساعدة مادية ومعنوية وحتى فكرية مع القضايا المغاربية وحركات التحرر وعلى فترات مختلفة في كل من ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب.

– اقترن دور وحضور أرسلان في أغلب الأقطار المغاربية بمطلع القرن العشرين ومع تداعيات الحرب العالمية الأولى، فكل اسهاماته وعلى اختلاف أنماطها كانت بدايتها مع الحرب العالمية، بحيث أغلب مواقف تنديده ورسائل احتجاجه أو حتى بعض لقاءاته كانت خلال الحرب وقبلها بقليل، ويمكن تفسير ذلك بالأحداث والظروف الدولية وتداعيات الحرب العالمية الأولى التي أثرت دوليا، وتأثيرها كان بارزا على العالم الاسلامي والعربي خاصة مع تطور الحركة الاستعمارية وتقاسم ممتلكات الرجل المريض "الدولة العثمانية"، مضافا عنه الصحوة والنهضة التي عرفها العالم الاسلامي لأجل التصدي لهذا الخطر الأجنبي، وعليه فكل مواقفه بدأت مع تعرض أغلب أقطار المشرق والمغرب على حد سواء للاستعمار الأوروبي مع ميلاد الحرب العالمية الأولى.

– تعددت أساليب وأشكال المساندة للنضال المغاربي، على فترات مختلفة بين تسخير الصحافة وتحرير مقالات ونشرها بالصحف المشرقية، طرح فيها قضية النضال، ومعاناة الشعوب المغاربية من السياسة الاستعمارية، وفضحها، فهو جند مجلته "الأمة العربية" منذ ١٩٣٠ لصالح

المغاربة للتعبير والنضال بالكلمة والقلم، إضافة إلى استغلال تواجده بأوروبا وتحديدا جنيف للنضال على مستوى دولي فوجه من هناك العرائض والرسائل الاحتجاجية إلى المنظمات الدولية ومراسلة كذلك الشخصيات السياسية العالمية.

– لابد من الاشارة عنصر الهجرة وتحديدا بسبب الابعاد والنفي إلى أوروبا سمح في عقد العلاقات والاتصالات بين العديد من الشخصيات العربية والغربية ذات الاهتمام بالشأن الإنساني، لذلك فالنفي ومن زاوية ايجابية سمح بالتواصل وأعطى للنضال أفق واسع عربي واسلامي وسمح بالتنسيق تحت راية النضال المشترك والتأثير ببعضهم البعض سياسيا وفكريا.

من هنا يمكن القول الهجرة والنفي ذات فاعلية سمحا لأرسلان دعم النضال المغاربي وفي نفس الوقت أعطى لهذا الأخير البلورة أو الاستمرار من جنيف التي كانت ملتقى كل السياسيين من المشرق والمغرب، وفرصة للتواصل بالهيئات الدولية.

الخاتمة:

عند الحديث عن التواصل بين المشرق والمغرب العربين من زاوية الأعلام والشخصيات المؤثرة نجد في مقدمتها أمير البيان شكيب أرسلان الذي سجل حضورا قويا أكد فيه المزاوجة بين القول والفعل في العديد من المواقف والمبادرات التي بادر بها بأشكال مختلفة، برهن فيها على الوعي الفكري والسياسي الذي اتسما بهما أرسلان، وجعلته ينبذ مبدأ القطرية في مسألة النضال متجها نحو المبدأ العروبي والإسلامي ولما الإنساني لنصرة الأمة العربية والإسلامية على حد سواء، ولعل خير دليل على ذلك العلاقة التي جمعته مع الأقطار المغاربية وفق مبدأ النضال، ودافع العروبة والإسلام الذين استهدفا من قبل الحركة الاستعمارية الأوروبية بقيادة فرنسا وإيطاليا، وإسبانيا، وهو بالطبع نفس الموقف الذي اعتمده ضد الاستعمار بالمشرق العربي فيما يخص القضية السورية والفلسطينية، مما يدفعنا إلى القول أن مسيرته النضالية ميزها ذلك التكامل والتنسيق ببعد قومي عربي واسلامي فيما يخص القضايا المشرقية والمغاربية، سعى إلى طرحها وفضح التجاوزات عربيا واسلاميا ودوليا.

لعل التوافق والاهتمام المشترك لا يرتبط بشخصية أرسلان وتكوينه واتصالاته بالمغاربة وإنما يعود إلى ذلك الارتباط التاريخي والروحي بين المشرق والمغرب العربيين والذي جعل التواصل قائم ومستمر وممكن في كل الفترات وتحت تأثير الظروف، تحت رعاية الانتماء والمصير المشترك كأمة عربية ومسلمة مستهدفة على مر الزمن من قبل الغدر الصليبي.

يمكن القول أن المستوى الفكري الراقي والوعي السياسي اللذان اتسما بهما أرسلان تجسد على أرض الواقع تحت تأثير الحركة الاستعمارية، ليسطع نجمه في كل القضايا المغاربية، فقد جند فكره وقلمه وعلاقاته لفضح الاستعمار وممارسته الوحشية في السكان عن طريق الصحافة وتوجيه العرائض الاحتجاجية إضافة إلى حركة التأليف هادفا من ورائها إحياء التراث العربي والإسلامي، ليتوج نضاله السلمي بالعمل العسكري والمشاركة في جبهات القتال، والأكثر من كل هذا فإن علاقة الصداقة التي ربطته بمختلف زعماء النضال المغاربة (الجزائر، تونس، ليبيا، المغرب) طيلة مسيرته النضالية أعطى بعدا وتوجها جديدا للحركات الوطنية المغاربية، وتركت أثر قويا مما جعله يصنف عند السلطة الاستعمارية بالعنصر الخطير.

الهوامش:

(١) شكيب أرسلان. سيرة ذاتية. دار التقدمية . الشوف . لبنان. ٢٠٠٨. ص ص ٨-(١٠)

(٢) سامي الدهان. شكيب أرسلان حياته وآثاره. ط ٢, دار المعارف. مصر. ١٩٧٦. ص ٦٣

(٣) حمد سالم أحمد عمايرة. شكيب أرسلان ١٨٦٩-١٩٤٦. رسالة دكتوراه في التاريخ. كلية الدراسات العليا. الأردن. ٢٠٠٠. ص ٣.

(٤) ليفي بروفنسال. تر علي تابيلت. "الأمير شكيب أرسلان ١٨٦٩-١٩٤٦". حوليات جامعة الجزائر. مجلد (١٠). ع. ١. ١٩٩٧. ص ٢٩.

(٥) المصدر نفسه. ص ٢٩.

(٦) بشير فايد. قضايا العرب والمسلمين في آثار البشير إبراهيمي والأمير شكيب أرسلان " دراسة تاريخية وفكرية مقارنة". رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر. إشراف عبد الكريم بوصفصاف. جامعة منتوري . قسنطينة, ٢٠٠٩/٢٠(١٠). ص ١١٩.

(٧) أحمد الشرباصي. أمير البيان " شكيب أرسلان" ج١. دار الكتاب العربي. مصر. ١٩٦٣. ص ٧٧.

(٨) دربال سلامة، قريري سليمان. "الجزائر المحتلة في اهتمامات شكيب أرسلان وعلاقته برواد الحركة الوطنية". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. مجلد ٢١. ع ٢. ديسمبر ٢٠٢٠. ص ٢٢٣.

(٩) نفسه . ص ٢٢٣. / _ أحمد الشرباصي. نفس المصدر السابق. ص ص ٧٧-٧٨.

(١٠) إبراهيم خليل العلاف. شكيب أرسلان من رواد حركة التحرر العربي. المحور دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات.. الحوار المتمدن . ع ٥٦٨٣. ٣٠/(١٠)/٢٠١٧. ص ١.

(١١) ليفي بروفنسال. المرجع السابق. ص٣٠.

(١٢) دربال سلامة . المرجع السابق. ص ٢٢٣

(١٣) ليفي بروفنسال. المرجع السابق. ص٣١.

(١٤) شكيب أرسلان. المصدر السابق. ص ص ١٩-٢٠/ إبراهيم خليل العلاف. المرجع السابق. ص ١.

(١٥) محمد علي الطاهر. ذكرى الأمير شكيب أرسلان الراثي وحفلات التأبين والأقوال . القاهرة . ١٩٤٧. ص ص ٧_(١٠).

(١٦) أحمد صاري. "شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية". مجلة العلوم الإنسانية. مجلد ١١. ع١٣. ص ١٣٧

(١٧) نفذت الحركة الاستعمارية على مختلف الشعوب العربية في ظل ضعف حكوماتها وسلطتها الرسمية لكنها قوبلت بالرفض المطلق من قبل الشعوب منذ الوهلة الأولى ورفض هذه السلطة الأجنبية التي استولت السلطة سواء بالعمل العسكري، أو بالأسلوب السياسي من خلال فرض الحماية أو الانتداب، إذن عبروا عن رفضهم بالقوة من خلال المقاومة العسكرية، أو سياسيا عن طريق الاحتجاج والمظاهرات والعمل السياسي.

(١٨) بوشوشة بن جمعة. شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا. المغاربية للطباعة والاشهار. تونس. ط ١. ٢٠٠٨. ص ٢٧٥، ص ص ٨٥-٩٤. / _ ليفي بروفنسال. المرجع السابق. ص ٣١.

(١٩) نفسه. ص ص ٨٥-٩٤.

(٢٠) نفسه. ص ص ٨٦-٨٧، ص ٩٤.

(٢١) سيف الدين القنطار. أعلام في السياسة والأدب والفن. سلسلة الدراسات. منشورات اتحاد الكتاب العربي. دمشق. ٢٠١٣. ص ٢٢.

(٢٢) أبو القاسم سعد الله. أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر. ج٤. عالم المعرفة . الجزائر.٢٠٠٩. ص ١٢٠/ _ ليفي بروفنسال. المرجع السابق. ص ٣٧.

(٢٣) أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٠٠-١٩٣٠. ج٢. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ١٩٩٢. ص ص. (١٠)٩-١١٢، ص ١٤٧.

(٢٤) نفسه. ص ١٤٩./ خالد بوهند. النخب الجزائرية " دراسة تاريخية واجتماعية ١٨٩٢-١٩٤٢". دار القدس العربي. الجزائر. ٢٠١٥. ص ص ٢٩١-٢٩٤.

(٢٥) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ١١٧

(٢٦) نفسه. ص ١١٧.

(٢٧) من الكتابات الجزائرية التي اطلع عليها شكيب أرسلان كتاب إسماعيل حامت، والذي اطلع عليه وأخذ منه ما تعلق بفكرة التسامح الإسلامي، كما كان كثير الاطلاع على ما كتب حول السياسة الاستعمارية بالجزائر وأهم ردود الأفعال. ينظر :أبو القاسم سعد الله. أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر. المرجع السابق. ص ١١٨.

(٢٨) نفسه . ص ١١٩.

(٢٩) حسب ما ورد عند محمد بلقاسم فقد اختلف الكثير من الباحثين في نشأتها، فهناك بين من يرجع ميلادها سنة ١٩١٢ بالجزائر، وبين من يحدد ميلادها في ١٩٢٧ بباريس على يد مغاربة منهم محمد بلا فريج ومحمد الفاسي، فحين البعض يرجعها إلى سنة ١٩١٩ بالجزائر تحت إسم رابطة الطلبة الأهالي ليتغير اسمها لاحقا إلى

جمعية الطلبة المسلمين اشمال إفريقيا سنة ١٩٢٦، وكانت تحسب على التيار الادماجي، ومن أهدافها دعم الطلبة الأهالي ومساعدتهم ماديا ومعنويا . ينظر : محمد بلقاسم. وحدة المغرب العربي الكبير فكرة وواقعا " الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي ١٩(١٠)-١٩٥٤". البصائر الجديدة للنشر والتوزيع. الجزائر. ٢٠١٣. ص ص ٢(١٠) -٢١٢.

(٣٠) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ١٢٥. / _ عبد الحميد زوزو. الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين ١٩١٩-١٩٣٩" نجم شمال إفريقيا حزب الشعب". ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر. ٢٠٠٧. ص ٥٩.

(٣١) محمد بلقاسم. المرجع السابق. ص ٣٧٥. / _ محمد قنانش، محفوظ قداش. نجم شمال الافريقي ١٩٢٦-١٩٣٧. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ١٩٩٤. ص ص ٨٤- ٨٥.

(٣٢) عند الحديث رأي الطرفين في بعضهما البعض نجد توافق واعجاب متبادل بينهما، فمصالي تحدث في مذكراته عن لقائه بالأمير في جنيف أين لمس عنده الخبرة الواسعة في شؤون المسلمين وخلافاتهم، منها الخلاف بين العلماء الاصلاحين والطرق الصوفيه، الذي لم يدعمه، محاولا بجهوده التقريب بينهما وإزالة سوء التفاهم، في المقابل نجد أرسلان اعجب بوطنية مصالي وحماسه وايمانه بقضيته، نهيك عن قدرته في التحكم في أتباعه ومناوراته مع الشيوعيين والسلطة الاستعمارية، وعن رأيه يذكر أحمد توفيق المدني أن أرسلان كتب لمراسليه من الجزائريين والمغاربة مشيدا بمصالي واصفا إياه بالشاب الوطني المقدام المتحمس والذي لوكان للإسلام مثله في مختلف الأوطان لتغير الحال ، كما يصفه بخيرة الفتيان ونخبة الشبان، ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام من زمن طويل. ينظر: أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ١٢٧.

(٣٣) نفسه. ص ١٢٦/ _ عبد الحميد زوز . المرجع السابق. ص ١٥٩.

(٣٤) نفسه. ١٥٩/ بشير فايد. "موقف السلطات الاستعمارية من شكيب أرسلان والشيخ البشير الابراهيمي". مجلة الأداب والعلوم الاجتماعية. مجلد ٩. ع١. ٢٠١٢. ص ٨٩.

(٣٥) دربال سلامة. المرجع السابق. ص ٢٣٦/ _ محمد بلقاسم. المرجع السابق. ٤(١٠)

(٣٦) نفسه . ص ٤(١٠)

(٣٧) أحمد صاري. المرجع السابق. ص ١٣٣.

(٣٨) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ١١٨/ _ أحمد توفيق المدني. مذكرات أحمد توفيق المدني. ج٤. البصائر الجديدة للنشر والتوزيع. الجزائر. ٢٠١٣. ص ص ١٧١-١٧٢

(٣٩) نفسه . ص ١١٩

(٤٠) أحمد صاري. المرجع السابق. ١٣٣

(٤١) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ١٢٢

(٤٢) نفسه . ص ص ١٢١-١٢٢

(٤٣) دربال سلامة. المرجع السابق. ص٢٢٩/ _ أحمد صاري. المرجع السابق. ص ١٣٣

(٤٤) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ١١٥.

(٤٥) نفسه. ص ١٩٠

(٤٦) نفسه ص ١٩٣/ _ زكرياء العمراني. شكيب أرسلان وجهوده الإصلاحية. ج ١. ص ٣. http: //zawya blog. Com/ 9/2/2023

(٤٧) وقعت حادثة الزلاج في ٧ نوفمبر ١٩١١ بمنطقة الزلاج عندما أقدمت بلدية مدينة تونس بطلب لدى إدارة الملكية العقارية لتسجيل مقبرة الولاج باسمها بهدف حمايتها من الاغتصاب من قلب الايطاليين، وبما أن الأرض مصنفة ضمن الأوقاف الأمر الذي أثار غضب سكان المدينة وطلبوا تسجيلها في سجل جمعية الأوقاف التي يترأسها تونسي مسلم، الأمر الذي استدعى تدخل الشرطة وتم اغتيال العديد من التونسيين. ينظر : بوزيدي عمر. " شكيب أرسلان وأعلام الحركة الوطنية التونسية." . مجلة تاريخ المغرب العربي. مجلد ٩. ع ٢. ٢٠٢٣. ص ٣٣

(٤٨) نفسه .ص ٢٦

(٤٩) نفسه. ص ٢٦/ _ بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ص ١٩٢

(٥٠) لقد تركت وفاة المناضل باش حمبة أثرا عميقا في نفسية الأمير أرسلان، فقد احتضر بين يديه، كما كان شاهدا على معناته في أيامه الأخيرة، ولقد صرح بذلك لابن بلده المناضل الحبيب بورقيبة مشيرا إلى أنه توفي فيب بيت حقير ببرلين يعاني في صمت من عدم مبالاة مواطنيه خاصة أصدقائه القدامى من البعثة التونسية بباريس الذين لم يكلفوا أنفسهم بالسؤال عليه أو زيارته خوفا من المراقبة الاستعمارية. ينظر: نفسه. ص ١٩٣/ _ بوزيدي عمر. المرجع السابق. ص ٢٧

(٥١) جاء في الرسالة : " ....إن أرادت دول المحور أن تنال عضد المسلمين فعلا، وجب عليها أن تعمل في تونس ما عملته في مصر، فكما أعلنت إيطاليا وألمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام وكررتا هذا الإعلان مدة أشهر واستمالتا به عطف المسلمين وجب أن تعلنا استقلال تونس التام، وتظهرا الفرق بين نيتها ونية أعدائهما لأن لا أمل من مناجاة فرنسا، وليس من الفرنسيين واحد من الألف يتمنى نجاح دولتي المحور..... وعلى فرض أنه من بعض المداراة فيمكن عقد الاتفاق بين المحور وبين تونس على شرط الاستقلال التام وعقد تحالف بين المحور والتونسيين إلى عشرين سنة ...". ينظر: _بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ص ١٩٤

(٥٢) من بين الدوافع الإيطاليين لإعلان حملتهم على ليبيا: _ الرغبة في التوسع والحصول على مستعمرة لتعويض ما خسرته بعد غزوها لإريتريا والصومال، نهيك عن تصفية مشاكلها الداخلية. /_ الرغبة في إيجاد لنفسها منطقة نفوذ في حوض البحر المتوسط مثل باقي الدول خاصة فرنسا./ _ الادعاء الحضاري وتمدين الشعوب، وهو الشعار الذي تشترك فيه مع كل الدول الأوروبية لأجل مشروعهم الاستعماري، إضافة إلى الادعاء التاريخي بحجة التواجد القديم للرومان، والأكثر من كل هذا الدعوة لحماية مصالحها من العرقلة بلبيا

محاولة استخدام التدخل العسكري بعدما وجهوا انذار للحكومة في ١٩١١/٩/٢٧ معلنة فيه رغبتها لاحتلال طرابلس الغرب من أجل حماية مصالحها، الأمر الذي تتقبله الحكومة العثمانية، وانتهى الوضع الى عمل عسكري. ينظر: خليفة محمد التليسي. معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١. الدار العربية للكتاب. ١٩٨٣. ص ٢٢.

(٥٣) أحمد الشرباصي. المرجع السابق. ص ٢٩/ _ بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ص٢٠٣.

(٥٤) شكيب أرسلان. سيرة ذاتية. المصدر السابق. ص٧١

(٥٥) أحمد عمايرة محمد سالم . المرجع السابق. ص ١٥٨/ _ سيف الدين القنطار . المرجع السابق. ص ٢٧

(٥٦) بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ص ٢٠٣

(٥٧) شكيب أرسلان. سيرة ذاتية. المصدر السابق. ص٧٣.

(٥٨) بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ص ٢٠٣.

(٥٩) نفسه. ص ص ٢٠٣-٢٠٤

(٦٠) نفسه. ص ٢٠٤.

(٦١) غادر بيروت رفقة مجموعة من المتطوعين من الشوف قاصدا طرابلس الغرب بهدف الانضمام لجبهات القتال، وفي طريقه لم يتردد في المرور بسوريا أين تواصل مع قيادة الفيلق الخامس من أجل إرسال عددا من القوات متنكرين بلباس البدو، ومنها توجه إلى القدس فغزة أين انتظر الطلائع المتنكرة وتمكنوا اجتياز الحدود المصرية بالرغم من المراقبة الإنجليزية المشددة، ليتم الالتحاق بجبهة القتال بالجبل الأخضر والانضمام إلى القائد العثماني أنور باشا الذي ربطته به صداقة قوية. ينظر : شكيب أرسلان. سيرة ذاتية. المصدر السابق. ص٧٤/ _ ليفي بروفنسال. المرجع السابق. ص ٣١.

(٦٢) ستودارد لوثروب. حاضر العالم الإسلامي. تر عجاج نويهض. تعليق شكيب أرسلان. مج١. ج٢. مطبعة ميسى البابي الحلبي. مصر . ٥٤.

(٦٣) محمد مكي. قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات شكيب أرسلان ١٩٣٠- ١٩٤١. رسالة ماجستير. اشراف مولود عويمر. جامعة الجزائر ٢. ٢٠١٧/٢٠١٨. ص ١٥٥

(٦٤) محمد صالح الصديق. أعلام من المغرب العربي. ج١. موفم للنشر والتوزيع. الجزائر. ٢٠٠٠. ص ٢١٠.

(٦٥) نجيب البعيني. مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر. ط ٢. دار التقدمية. الشوف. لبنان. ٢٠١١. ص ٢٢٠.

(٦٦) نفسه. ص١٥٤.

(٦٧) نفسه. ص ص . ١٥٣-١٥٤.

(٦٨) حمري عيسى. " علاقة الأمير شكيب أرسلان بالوطنيين المراكشيين" . مجلة الحوار المتوسطي. ع ١٤/١٣. ديسمبر ٢٠١٦. ص ٢٠٨.

(٦٩) نفسه. ص ٢٠٧

(٧٠) نفسه. ص ٢٠٨.

(٧١) نفسه. ص ٢٠٨.

(٧٢) ستودارد لوثروب. المصدر السابق. ١٩٨.

(٧٣) أحمد الشرباصي. المصدر السابق. ص ص ١٢٨-١٢٩/_ خمري عيسى. المرجع السابق. ص ٢٠٨.

(٧٤) محمد بلقاسم. المرجع السابق. ص ص. ٢٦٠-٢٦١

(٧٥) في ظل السياسة الاستعمارية التي اعتمدتها سلطة الحماية الفرنسية بالمغرب لضرب الهوية العربية والإسلامية عمدت إلى إصدار سلسلة من الظهائر تسعى بها إلى التفرقة بين المغاربة وتشتيت مجتمعهم بنية دمجهم في المجتمع الفرنسي وهذا من البداية على يد المقيم العام الماريشال ليوطي الذي أصدر في ١٩١٤ ظهيرا استهدف به اللغة العربية والدين الإسلامي في المناطق البربرية تلاه لاحقا العديد من الظهائر منها ظهير ١٦ ماي ١٩٣٠الذي نصت نصوصه على تقسيم المغرب وتفكيك أسس وحدته الاجتماعية بالتفرقة بين فئاته البربرية والعربية من خلال اخضاع الأمازيغ إلى قانون المحاكم العرفية والعرب للمحاكم الشرعية، إذن الغاية من هذه الظهائر هي فرنسة المغرب لغويا، وسياسيا، وقضائيا. ينظر: علال الفاسي.الحركات الاستقلالية في المغرب العربي. مؤسسة علال الفاسي. ط ٦. المغرب . ٢٠٠٣٣. ص ص ١٦١- ١٦٢

(٧٦) محمد مكي. " علاقة الأمير شكيب أرسلان بالمنطقة الخليفية في شمال المغرب الأقصى" . مجلة مدارات تاريخية. مجلد ٣. ع ٢. جوان ٢٠٢١. ص ١٤٢

(٧٧) محمد بلقاسم . المرجع السابق. ص ص ٢٦٢-٢٦٣

(٧٨) بوشوشة بن جمعة. المرجع السابق. ٢٠٠.

(٧٩) محمد مكي. المرجع السابق. ص ١٤٣.

(٨٠) لباز الطيب. "الزيارة التاريخية للأمير شكيب أرسلان إلى شمال المغرب أوت ١٩٣٠ الحدث ونتائجه". مجلة أنسنة للبحوث والدراسات. ع ٨. ديسمبر ٢٠١٣. ص ٥.

(٨١) نفسه. ص ص ٥-٦.

(٨٢) محمد أحمد سالم . المرجع السابق. ص ص ١٣٧-١٣٨/ _لباز الطيب. المرجع السابق. ص ٦.

(٨٣) علال الفاسي. المصدر السابق . ص ١٦٨.

الحبُّ العُذري عند أبن حَزمْ الأندلسي
(ت : ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)

أ . د. برزان مُيّسر حامد الحميـــــــــد
جامعة الموصل- العراق

الاستلام: ١٥/ ٢/ ٢٠٢٤
قبول النشر: ٢/ ٣/ ٢٠٢٤

الايميل:
dr.barzan_78@yahoo.com

الملخص

لابن حزم الأندلسي مفكر الإسلام الكبير (ت:٤٥٦هـ) مؤلفات كثيرة كشفت النقاب عن صروف حياته المتقلبة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اكثر عصور الاندلس مأساوية ، كما أبانت عن الجوانب المتنوعة في آثاره بوصفه عالماً نفسانيّاً ، ومهذباً للأخلاق، ومنظّراً لغوياً، وفقيهاً ظاهرياً، ومؤرخاً للأفكار الدينية، ولقد وصلنا من مؤلفات ابن حزم حوالي أثني عشر كتاباً أعلقها بالنفس كتاب ((**طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف**)) الذي وضعه في شبابه .وقد عمد أبن حزم في كتابه هذا – وهو دراسة حقيقية للحُب والمُحبين- الى بيان مفهومه للحب. ولا شك في أن هذا الموضوع لم يكن مستحدثاً في الأدب العربي ، فقبل تأليف ((طوق الحمامة)) بأكثر من قرن وضع ((الجاحظ)) في المشرق الاسلامي زمن الدولة العباسية ، رسالة صغيرة في الحبّ والنساء سمّاها بـــ ((في العشق والنساء)) . وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نجد الموضوع نفسه في إحدى رسائل ((اخوان الصفا)) ، وفي العصر ذاته يكاد ((المسعودي)) قد تحدث أيضاً عن الحب في ((مروج الذهب ومعادن الجوهر))، إلاّ ان ابن حزم استطاع ان يُجريّ إجراءً طريفاً حول مصطلح الحب هذا، فضمّنه عناصر سيرة ذاتية مطبوعة بطابع الصدق. فأبن حزم يُحدثنا في هذا المؤلف عمّا عاشه وأحسّه في أعماق نفسه. وفي كتاب الأعترافات هذا نجد أنّ الشخصيات التي تحوم حول أبن حزم إنما هي أندلسية عرفها الرجل وعاشرها من امراء ووزراء وعلماء وطلبة علم ، وقد روى لنا أبن حزم قصص حُبّهم المتنوعة، لقد أهتم أبن حزم وبيّن في كتابه ((طوق الحمامة)) أن الحبّ ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، اذ القلوب بيد الله تبارك وتعالى ، وأستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الامويين بالاندلس، وقد وصف الحبّ شعراً فقال: **جَرى الحبُّ منـــّـــي مَجرى النَفسِ... وأعطيتُ عَيني عنانَ الفَرسِ**، من خلال ما تقدم سنتناول في دراستنا هذه موضوع ((الحب العذري)) عند ابن حزم من خلال ماتم عرضه في كتابه ((طوق الحمامة)) وكذلك عند التروبادور [شعراء وموسيقيين العصور الوسطى تأثروا بالموشحات الأندلسية]، مستشهدين بالأمثلة والنصوص التي أورداها ، ومعتمدين المنهج الوصفي التحليلي للوصول الى النتائج المرجوة في ختام هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية: الحب ، العذري ، ابن حزم ، الأندلسي، طوق الحمامة

Title:
Virginal love according to Ibn Hazm al-Andalusi

Received: 15/ 2/ 2024

Accepted: 2/ 3/ 2024

Email:

dr.barzan_78@yahoo.com

Abstract:
Ibn Hazm al-Andalusi, the great thinker of Islam (died: 456 AH), wrote many books that revealed the volatile ways of his life in the fifth century AH / eleventh century AD, the most tragic eras of Andalusia. A jurist outwardly, and a historian of religious ideas . We have come from Ibn Hazm's writings about twelve books, the book "The Dove's Ring on Intimacy and Aluf" which he wrote in his youth. In this book, Ibn Hazm, which is a true study of love and lovers, deliberately explained his concept of love. There is no doubt that this topic was not new in Arabic literature. More than a century before the compilation of "The Pigeon Collar" Al-Jahiz wrote in the Islamic East at the time of the Abbasid state, a small treatise on love and women, which he called "On Love and Women". In the fourth century AH / tenth century AD, we find the same topic in one of the letters of the "Brothers of Safa", and in the same era almost "Al-Masudi" also spoke about love in "The Meadows of Gold and Minerals of the Essence". However, "Ibn Hazm" was able to make a funny procedure about this term of love, so he included in it the elements of a biography printed with the character of honesty. Ibn Hazm tells us in this author about what he experienced and felt in the depths of his soul. In this book of Confessions, we find that the personalities that revolve around "Ibn Hazm" are Andalusian, whom the man knew and lived with: from princes, ministers, scholars and students of knowledge, and "Ibn Hazm" told us their various love stories . Ibn Hazm was concerned and explained in his book "The Pigeon Collar" that love is neither anathema in religion nor prohibited in Sharia, because hearts are in the hands of God, Blessed and Exalted be He. Love has been described as poetry He said: Love ran from me like a soul, and I gave my eyes the reins of horse. Through the foregoing, we will deal in this study with the topic of "virgin love" the honorable and pure according to "Ibn Hazm" through what was presented in his book "The Pigeon Collar" as well as with the Troubadour, citing the examples and texts he cited, and adopting the descriptive analytical approach to reach the desired results in the conclusion this study .

Keywords: love, virginity, Ibn Hazm, Andalusian, pigeon collar.

مقدمـــــة :

يُعد **ابـن حـزم** (٣٨٤-٤٥٦هـ) واحد من أهم وأشهر العلماء والفلاسفة المسلمين في الاندلس، فإسهاماته لم تكن في العلوم الإسلامية وحسب، بل قدَّم العديد من الإسهامات للحضارة الإنسانية، فهو لم يكن ذلك الفتى الذي هام بجاريتين من جواريه هياماً رومانسياً، وإنما هو أيضاً المتكلم والفيلسوف، والفقيه، والباحث، واللغوي، والمؤرخ، والشاعر، والثائر، وعالم النفس والأخلاق، ورجل الفكر والعمل السياسي، والحالم، وفي كل هذه الجوانب كان ابن حزم واضح الانتماء إلى حضارته العربية الإسلامية لا إلى أية حضارة أخرى، بل هو معتز بهذا الانتماء اعتزازاً كبيراً، وهذا ما يستنتج من مصادر كثيرة في أدبه وفكره، وإذا كان ابن حزم قد انفتح على السوق الثقافي الإسباني الذي كانت تؤمنه له قرطبة والأندلس، من حيث التفاعل مع أداب قشتالة ولاتينية كانت موجودة في الأندلس الإسلامية إلى جانب الثقافة العربية الإسلامية، فإن هذا الانفتاح لا يلغي الأصالة، والأكيد أن ابن حزم لم يكن ضامر الثقافة العربية، أو موزع الذات بين هذه الثقافة والثقافة الأجنبية، وإنما كان في سياق حياته، وفي سياق عصره، مثقفاً وكاتباً عربياً كاملاً.

أما الذين يطاردون ابن حزم في مطاوي نفسه، أو في "أخفى أعماق روحه"، كما يقولون، ليستنتجوا اسبانيته، أو ليفترضوا وجود مسيحية كامنة فيه، فإنهم يخالفون أبسط قواعد المنهجية العلمية، فمن التعسف وضع ابن حزم بين قمم الفكر الإسباني على امتداد العصور، في حين أنه، وبشهادة تراثه، عربي مسلم كأي عربي أو مسلم آخر، أما الذين يتحدثون عن صفات نفسية فيه شبيهة أو مماثلة للصفات النفسية عند الإسبان ليستنتجوا اسبانيته، وليبعدوه إبعاداً تاماً عن العرب، فإنهم يقعون في الخطأ وفي العنصرية في آن واحد، وكأن العرب لم يعرفوا في تاريخهم ما يمكن تسميته بمؤسسة مكارم الأخلاق، وهي مؤسسة لم تزدهر لدى أي شعب من شعوب العالم كما ازدهرت لدى العرب والمسلمين (فاضل، ١٤٢٨هـ، موقع جريدة الرياض الإلكتروني).

ولا يكاد القارئ يمضي خطوات مع ابن حزم في ((طوق الحمامة)) حتى يجد نفسه أمام نبض من ذكرياته، عن نفسه وعن أصدقائه، وآخرين مجهولين، وكلهم من العشاق: زفراتهم حارة، وأحاسيسهم صادقة، يخلطون المداد بالدمع، ويستخدمون في التراسل الحمام والعيون والرسل، ويعانون من الوشاة، ويموتون من الحب. وهو، الى جانب ذلك، معرض حافل بالحديث عن

شيوخ ابن حزم، والشخصيات العامة في قرطبة، وبالاشارات التاريخية، والأحداث الهامة والحفلات الخاصة، وتخطيط العاصمة ومعمارها، ومساكن آل حزم ومستواها. وكلها تتحرك نابضة بالحياة، وتمضي متماسكة مثل عناقيد العنب. والكتاب قبل كل ذلك سيرة ذاتية لابن حزم، خطها بقلمه، واعترافات مخلصة باح بها في جرأة وصدق غير مألوفين في التراث القديم.

وإذا كان بعض الباحثين الاسبان يركزون على النزعة العذرية في كتاب "طوق الحمامة"، وعند ابن حزم شخصياً، ليؤكدوا انتماءه إلى التراث المسيحي، أو إلى التراث الاسباني السابق للمرحلة الاندلسية، فقد خاب سعيهم، فالنزعة العذرية من لزوميات تاريخ العشق عند العرب، وانطلاقاً منها كتب الشعراء العذريون العرب أمجد صفحات العشق وابقاها، بل أن هذه النزعة تنسب لآل عذرة !، وهم قبيلة من قبائل العرب القديمة .

على أن أهمية ابن حزم تتبدى، أكثر ما تتبدى، في كتابه ((طوق الحمامة)) الذي ليس له مثيل في تاريخ الشعوب والحضارات القديمة، إذ نُقل هذا الكتاب إلى العديد من اللغات الحية المعاصرة، وأثار اهتماماً واسعاً مشابهاً للاهتمام الذي أثاره كتاب ألف ليلة وليلة، غير أن في ((طوق الحمامة)) تبدو شخصية ابن حزم في قمة توهجها، فيلتقي الشاعر وعالم النفس والأديب ليرسموا لوحة جميلة نادرة للحياة العاطفية في الأندلس على أيامه (فاضل، ١٤٢٨هـ، موقع جريدة الرياض الإلكتروني).

أهمية الدراسة : تكمن اهميتها في الوقوف عند مفهوم الحب والعشق عند ابن حزم الذي جسّده من خلال كتاب ((طوق الحمامة في الألفة والأُلأّف)) والذي صُنّف ((أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب في العالمين المسيحي والأسلامي)) .

هدف الدراسة : الوصول الى امر جدأ مهم عند أبن حزم من خلال كتابه ((طوق الحمامة)) وهو بيان أن الحب ليس بمنكر في الديانة(المسيحية) ولا بمحظور في الشريعة(الإسلامية) ، اذ القلوب بيد الله تبارك وتعالى ، وأستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الامويين بالأندلس.

مشكلة الدراسة : محاولة بعض المستشرقين إبعاد نظرية الحب العذري عن الطبيعة الإسلامية أو الفطرة العربية وإن هذا الغزل العفيف لا تعرفه الأخلاق العربية ولا الديانة الإسلامية، وأنه تحدّر إلى((ابن حزم)) إرثاً من اجداده الأُول المسيحيين، في محاولة منهم لإرجاع ابن حزم إلى أصوله المسيحية وأبعاده عن النسب العربي والدين الإسلامي .

منهج الدراسة : اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في محاولة منّا للوقوف عند فلسفة الحب وماهيته عند ابن حزم الأندلسي من خلال ما أورده من قصص وروايات عن الحب والمحبين في كتابه طوق الحمامة لأشخاص عاصرهم .

هيكلية الدراسة : تناول البحث في بدايته نبذة عن المفكر الاسلامي الكبير ابن حزم الاندلسي وأنه ليس أول من كتب في الحب من أدباء العرب، فقد سبقه إلى ذلك الكثيرون، ثم تقديم عرض لكتاب " طوق الحمامة" وتحقيق نصه العربي وطبعاته وأبوابه حسب تقسيمات مؤلفه. ثم عرّج البحث بعد ذلك الى مفهوم الحب وأغراضه عند ابن حزم والتروبادور. ليصل عند الأيدلوجية الغرامية عند ابن حزم والتروبادور وبيان أوجه الأتفاق والاختلاف في نظرية الحب العذري عند كل من أبن حزم والتروبادور وهو خاتمة لموضوع البحث .

حدود الدراسة : تتمحور في بيان مفهوم الحب والعشق ورواية الكثير من هذه القصص من خلال ما شاهده وعاصره في البلاط الاندلسي خلال عصر الخلافة الاموية وجزء من عصر الطوائف .

مُدخل :

قدّم ابن حزم للحضارتين الإنسانية والإسلامية إلى جانب ما قدمه في ميدان المزج بين النظر المنطقي والنظر الديني وما قدمه في ميدان تاريخ المذاهب والأديان نظرية جديدة حول ((**الحب**)) من الوجهتين النفسية والاجتماعية .

وعلى الرغم من أنه ليس أول من كتب في الحب من أدباء العرب، فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري في كتابه (الزهرة) ، وابن الجوزي في كتابه (الحدائق)، وإخوان الصفا في(بعض رسائلهم، وابن المقفع في (الأدب الكبير والأدب الصغير,) والجاحظ في (أحدى رسائله في العشق والنساء) وأبو إسحاق الحصري في كتابه (المصون في سر الهوى المكنون)، إلاّ أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه وتسلسل أفكاره، وترابط بحثه ورقة حسه، وبعد غوصه وأتباعه منهجاً استبطانيًا واستقرائيًا، فجاءت رسالته(طوق الحمامة) حافلة بالملاحظات النفسية الدقيقة والخبرات الحية المعاشة والأمثلة التاريخية والنماذج البشرية المتنوعة، أو بتعبير آخر جاء ما قدمه في "طوق الحمامة" نظرية متكاملة عن الحب اعتمدت على عناصر البحث النفسي والاجتماعي(آل تركي،٢٠١٨، موقع ساقية الالكتروني) .

فـــ (ابن حزم) هذا الفقيه الظاهري الأصولي لم يجد أي تناقض بين ما قدّمه في "طوق الحمامة" وما قدّمه في المُحلّى أو الفصل، ولو أنه – بكل ما عُرف من دين قد اكتشف على امتداد عمره – تناقضاً لأعلنه ورجع عنه .

ويأبى بعض المستشرقين أن ترجع نظرية الحب العذري إلى الطبيعة الإسلامية أو الفطرة العربية. فحين وقف (رينهارت دوزي) على قصة الحب الرقيقة لـــ" أبن حزم" ، وأستكثرها على العرب وعلى المسلمين بالرغم من أنه علماني لا يحب الكنيسة ولا يتعاطف مع رجال الدين المسيحي ، وقال إن هذا الغزل العفيف لا تعرفه الأخلاق العربية ولا الديانة الأسلامية ، وأنه تحدّر الى" أبن حزم" إرثاً من اجداده الأول المسيحيين(آل تركي،٢٠١٨، موقع ساقية الالكتروني) .

بيدَ أنّ كثيراً من المستشرقين من امثال المستشرق الروسي ميغل آسين بلاثيوس قد تصدى له مفنداً آراءه في دراسة عن ابن حزم وكذلك الراهب (إميليو غارسيا غوميز) والمستشرق الفرنسي اليهودي(ليفي بروفنسال) وغيرهم ، قد ردّوا هذا الزعم أو الأدعاء وبينّوا أصوله الأسلامية والعربية حتى في البيئة الجاهلية .

وبما أننا لا نميل إلى أن لـ (ابن حزم) أصولاً مسيحية بل نرى نسبته في فارس التي نسب إليها نفسه، ونسبه إليها أقرب تلامذته، فنحن بالتالي لا نرى ضرورة للبحث في قضية الأصول هذهِ، ونرى أن عقليته وتكوينه النفسي إنما هما إسلاميان عربيان لحمةً وسدى .

إن المحاولات التي سبقت ابن حزم في مجال الحب ليست سوى نظرات جريئة لم تستطع أن تشق لها رافداً في نهر الحضارة سواء منها ما أنتجه العقل العربي أو أنتجه العقل الأوروبي .

أما طوق الحمامة فقد كان كما يصفه بحق الدكتور الطاهر مكي: ((أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب في العالمين الاسلامي والمسيحي)) وتتبع أطواره وحلل عناصره وجمع بين الفكرة الفلسفية والواقع التاريخي وواجه أدق قضاياه في وضوح وصراحة (آل تركي،٢٠١٨، موقع ساقية الالكتروني) .

وكان (ابن حزم) الدارس الواقعي، في كل خطاه، أفكاره محلّقة وقدماه على الأرض، ويصدر في نظريته عن تجربة عميقة ذات أبعاد إنسانية واسعة وعن إدراك ذكي لطبائع البشر.

رحلة الكتاب :

يشير الدكتور الطاهر أحمد مكي أنه في نهاية النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، قام السفير الهولندي المستشرق فون وارنر بدراسة المخطوطات العربية خلال فترة انتدابه سفيراً في الأستانة من سنة ١٦٤٤ إلى ١٦٦٥ م .

وفي ذلك الوقت توفي حاجي خليفة الذي كان يملك واحدة من أكبر مكتبات الأستانة، فاشترى فون وارنر الكثير من المخطوطات ممن آل إليهم أمر مكتبة حاجي خليفة فكان من بين هذه المخطوطات مخطوط ((طوق الحمامة))، الذي قُدر له أن يستقر في مكتبة ليدن بهولندا، لمدة ١٧٥ عاماً، إلى أن جاء مطلع القرن التاسع عشر، حيث قام المستشرق الهولندي رينهارت دوزي بإصدار أول طبعة لفهرس المخطوطات العربية في جامعة ليدن، عرف العالم من خلالها مخطوطة ((طوق الحمامة)) .

النص العربي :

ودام الحال إلى أن قام المستشرق الروسي د. ك. بيتروف (D.K. Petrof) بتحقيق النص العربي لطوق الحمامة كاملاً في سلسلة كتب كانت تصدرها كلية الاداب في جامعة بطرسبرغ، وطُبع في مطبعة " بريل" العربية في ليدن عام ١٩١٤م . وبعد سبعة عشر عاماً قام السيد محمد ياسين عرفة، صاحب مكتبة عرفة في دمشق ، بطبع النص العربي ثانية عام ١٩٣٠.

ولم يجرَ تغييراً كبيراً عن نسخة بيتروف، إلى أن صدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٤٩م على يد المستشرق الفرنسي "ليون برشيه "في الجزائر، وبعدها بعام، أي عام ١٩٥٠م قام الأستاذ حسن كامل الصيرفي بطباعة النسخة الرابعة للكتاب في القاهرة، لكن هذه الطبعة جاءت أسوأ مما صدر من طبعات، لجهل الصيرفي بتاريخ الأندلس وحضارتها .

طبعات أخرى :

ومن ثم تقدم الدكتور الطاهر أحمد مكي بضبط نص الكتاب وتحرير هوامشه، في طبعة صدرت عن دار المعارف المصرية عام ١٩٧٥م ، وفي عام ١٩٩٣م حقق الدكتور إحسان عباس الكتاب ونشره، وهناك طبعات أخرى كثيرة، كما قام الدكتور حاتم بن محمد الجفري بوضع كتاب عام ٢٠٠٩م بعنوان ((الحب.. .أعزك الله)) .

ثم ظهرت له ترجمات عديدة إلى لغات أوروبية من سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٥٢م . وقد حدد "ليون بيرشي" (Leon Bercher) الذي ترجم ((طوق الحمامة)) إلى الفرنسية سنة ١٩٤٩م المخّطط العام للكتاب على هذا النحو : ((إنما وضع ابن حزم هذه الرسالة الصغيرة في الحب، والأحوال التي ينشأ فيها، والآفات التي تعرض له ، والسلوك الذي يفرضه على المحبين ، بطلب من صديق له من المرية جاء يزوره في بيته بمدينة شاطبة الأندلسية . وبُعيد ذلك نبّه ليفي بروفنسال (Levi-Provencal)عند مراجعته لـ ((طوق الحمامة)) إلى ما يضمه الكتاب من تفاصيل تتعلق بالحفاوة القرطبية في آواخر أيام الخلافة الأموية (375-335.pp، 1950 ،PROVENÇAL) .

وقد أشار – بما عُرف عنه من نفاذ بصيرة– [أي أبن حزم] إلى أن هذا الكُتيّب المؤلَف سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م ((يبسط من خلال صفحاته نظرية في المثالية الغرامية)) تلائم تمام الملاءمة تلك النظرية التي يمكن أن نستخرجها من الدراسة المقارنة لبعض شعراء التروبادور(*١) في جنوب فرنسا. وهم الشعراء والموسيقيين الذين ازدهر شعرهم الغناني في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي(p.293، 1948، PROVENÇAL) والحق أن ما ضمه كتاب((طوق الحمامة)) من مفهوم سامٍ للحب قد بدأ في الظهور منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عند عدد لا بأس به من الشعراء الأندلسيين . وبُعيد ذلك ومن الجهة الأخرى لجبال البرانس شرع التروبادور – وهم شعراء وموسيقيون معاً – كما أسلفنا في التغنّي بالحب العذري ، وهو صداقة عشقية ، وعبودية تلقائية للمرأة . إن تنظيم المقاطع الشعرية ، والحب المثالي والحب الشهواني عناصر موجودة في القرون الوسطى المتأخرة في الحب الأندلسي والحب الأوكسيتاني (poesie،1948،pp283-304) .

والكتاب في مضمونه يعالج حالات الحبّ ويصنفها ابتداءً من "الود" إلى مرحلة "الجنون" التي تصيب العاشق، ويُقدّم ابن حزم نصائح للعاشقين والمحبين عبر مجموعة من الأشعار والقصص .

(*) هم شعراء أو موسيقيين عاشوا في القرون الوسطى، وكان يؤدون أدواراً أو يخصص شخصاً لتأدية هذه الأدوار منشداً أشعار ألفوها عند الملوك والسلاطين في الجنوب الشرقي لفرنسا وسرقسطة في مملكة أراغون وضواحيها بالخصوص. وان أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، وأسم الكلمة مشتق من طرب وكلمة دور. وكانوا يعزفون الموسيقى متنقلين بين القصور، أي كانوا يدورون من قصر إلى آخر .

تناول ابن حزم الألفة بين المحبين في وصف أكبر وأشمل وأعمق من الحب، وعالج العاطفة من منظور إنساني تحليلي،مستعينًا بكتاب "مأدبة الحب الأفلاطونية" و"مجالس يحيى البرمكي" وكتاب "الزهرة" لابن داود الأصبهاني(ابن حزم، ٢٠١٦، ص١١-١٦).

وجاءت تسمية الكتاب بـ "طوق الحمامة" كنايةً عن الجمال الذي يعتبر مساراً للحب، مستلهماً من قصة منح النبي نوح(عليه السلام) الطوق للحمامة التي أرشدته بعد الطوفان، بالإضافة إلى أن الحمامة رمز للحب عند فينوس آلهة الحب في الأساطير اليونانية (ابن حزم، ٢٠١٦، مقدمة الكتاب).

أبواب الكتاب :

ضم الكتاب مجموعة أبواب، من ضمنها؛ باب ذكر من أحب في النوم، باب من أحب من نظرة واحدة، باب التعريض بالقول، باب الإشارة بالعين، باب المراسلة، باب السفير، باب الإذاعة، باب العاذل، باب الوصل، باب الوفاء، وباب الموت. وخير ما ختم به ابن حزم كتابه باب الكلام في قبح المعصية، وباب الكلام في فضل التعفف استشهد فيهما بالآيات والأحاديث عن قبح المعصية وفضل التعفف، فلئن كان القلب يخرج عن طوع صاحبه ويميل ويحب والشخص غير ملوم على هوى قلبه فإنه يحاسب على فعله، كأنما الكاتب في هذين البابين يحاول أن يقول: ((إذا فقدت قلبك، حاول أن لا تفقد عقلك)) .

تعريف الحب عند أبن حزم والتروبادور :

اهتم ابن حزم ببيان أن الحب: ((ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل)) (ابن حزم ، ٢٠١٦، ص ١١)، واستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الأمويين بالأندلس. وقد وصف الحب شعراً فقال :

جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عيني عنان الفرس

لقد أفاض الناس في الحديث عن الحب إذ أنهم لم يتفقوا في طبيعته ، أما ابن حزم فقال: ((والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في أصل عنصرها الرفيع)) . ويستطرد قائلاً: ((إن الحب شيء في ذات النفس)) ؛ فصحّ بذلك أن الحب: ((استحسان روحاني وأمتزاج نفساني)) (طوق الحمامة ص ص ١٣-١٤، ١٩). ويفّسر هذا الحبّ الذي

يستولي على النفوس بما بين الأرواح من تناسب في القوى . إن الاندفاع التلقائي إلى الأسمى يطبع الحبّ عند ابن حزم بطابع أفلاطوني ، ونتبين في ذلك أثر ((مأدبة)) أفلاطون .

أما عند التروبادور فالحب العذري انجذاب غرامي ينزع إلى المماثلة بين نفسين شريفتين والتوحيد بينهما ، وقد رأى بعض الدارسين في هذا الحب ضرباً من تصعيد الاندفاع الأولي وروحنته (*DAVENSON*،1961،p.147) . وبدءًا من سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م أخذ التروبادور يلحّون على طبيعة الحب الروحانية الصرف، ولئن كانت الشهوة منفلتة من عقالها فإن الحب العذري ينصاع لقواعد معينة ، ولكي تتحقق العذرية (la cortezia) تحققاً تاماً فإنها تقتضي من الإنسان أن يلتزم سنّة معلومة بأن يبدي ((اعتدالا)) (mesura)، أي نمط تصرّف وآداب سلوك هي واجب إجتماعي مهم . وعلى الإنسان أيضاً أن يراعي متطلبات الفتية (Jovens) وهي جملة من الخصال الأخلاقية والمروءة والكرم (33 ، 30، 28-pp.27 ، 1964 . (*LAZAR*،

ويرى أبن حزم أنّ الحب ينجر عنه تحوّل ، فهو ((يزّين للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان بصعب عنده، حتى يحيل الطبائع المركبّة والجميلة المخلوقة)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص١٥) .

وللحب على العشاق في نظر ابن جزم حكم ماضٍ، إنه:((داء عياء ، وسقام مستلذ ، وعلّة مشتهاة لا يودّ سليمها البرء ولا يتمنى عليلها الإفاقة)) (ابن حزم ، ٢٠١٦ ، ص ١٥) .

وقد التقى ابن حزم بفتى من بعض معارفه هو بمثابة السقيم الذي لا يريد فقدّ سقمه لشدة ما ((وحل في الحبّ وتورّط في حبائله)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص١٦)، ويرى برناردي فونتادور: ((أن الحبّ سجن)) (آريي، ١٩٨٨، ص٤٥) .

ويعتبر كل من ابن حزم والتروبادور أن الشهوة نار مهلكة، وقد شبّه المفكر القرطبي العاشق بفراشة أحرقتها النار (ابن حزم، ٢٠١٦، ص٣٤-٣٥)، ويؤكد برناردي فونتادور أنه يعاني من الآلام بقدر ما يعاني: ((من يحتضر وسط النيران)) (آريي، ١٩٨٨، ص٤٥)، إن الهوى يملك النفس من أقطارها، ويُترع الفؤاد غمّاً ، إلاّ أنّ عذاب الحبّ عذب المذاق . ويفسّر ابن حزم هذا الجانب السلبي للحب في إطار تعريفه ، فلا يكون المرء تعيساً في حبه إلا إذا كانت روح المحبوب في شغل شاغل عن نداء نصفها الآخر لأنها مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة (ابن حزم، ٢٠١٦، ص١٣)، وليس لـ ((جوفري رودل)) من رغبة ((سوى

هذا الحب النائي)) الذي يملك عليه نفسه، ويُنشِد ((سير كامون)) ذلك الحب الذي أوقعه في شراكه، ولم يعطه إلا ((النّكال والغم)) : وهو يرى أن لا شيء أغلى من حبيبي الوحيد ولا شيء يثير فيّ الأمل غير ما لم أستطع الحصول عليها

(DAJEANNE،1934،،X1 PP.54،58).كما إن الانتظار يغيظ التروبادور ويدفعه إلى أن يبدع ويكون طاهراً ، وإنّ روعة أغاني ((برناردي فونتادور)) ناشئة عن الأسى الذي استولى عليه نتيجة لقساوة السيدة التي تعذبه ، وإن الحب المكبوت يدفعه إلى البحث عن المثل الأعلى .

المرأة والعاشق والغير :

ثمة في الحب العذري ثالوث لا بدّ منه : المرأة والعاشق والغير. كما كان معيار الجمال الأنثوي في شعر الشرق الإسلامي وفي شعر الأندلس متمثلاً في السمراء ذات الشعر الفاحم الأثيث، وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تغزل الأندلسيون المسلمون في أشعارهم بالمرأة الغيداء القصيرة الشعر(vadet،1968،p43) .

أما ابن حزم فقد كان شغوفاً أيما شغف بالشقراوات : ((إني أحببتُ في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس، أو على صورة الحسن نفسه))(ابن حزم، ٢٠١٦، ص ٣٨) .

وقد ذكر بعد ذلك إيثار الخلفاء الأمويين بقرطبة للشقراوات ، وأضاف أن المرأة الجبداء لم تكن تُقدّم دائماً على ذات الجيد العادي، وإنما الأمر مُرتهن بالذوق الشخصي . وقلما نجد عند ابن حزم حديثاً عن أعضاء المرأة، ويظل وصفه العام لمحبوبته تقليدياً صرفاً حين يرى في ضوء القمر انعكاساً لبهائها، وهو يعجب ببياض البشرة وبالخيلان وبالنمش الذي يزّين الوجه ، وبمشية المحبوبة المتمايلة وبقدّها المهتزّ كالغصن (ابن حزم، ٢٠١٦، ص ص٧٣-٧٧،٨٠- ٨٣، ١٠٩، ١٥٣-١٥٥) .

وقد حازت المحبوبة على الفضائل كلها، وهذا ما نستنتجه من قصة وقعت لأبن حزم شخصياً، فقد شغف حباً بجارية فتية في السادسة عشرة من عمرها كبرت في بيت أبيه وظل يذكر أنها:

((غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرها ودماثتها عديمة الهزل منيعة البذل، بديعة البشر مسبلة الستر، فقيدة الذام قليلة الكلام، مغضوضة البصر شديدة الحذر، نقية

من العيوب دائمة القطوب، حلوة الأعراض مطبوعة الانقباض ، مليحة الصدود)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص ١٣٦-١٣٧) .

إن الصفات التي درج التروبادور على استعمالها تضفي على المرأة المحبوبة شيئاً من الألق. فـ ((قيوم IX)) يتغزل بأمرأة ((أشد بياضاً من العاب)) ، ويتغنّى شاعر مغمور بجسد حبيبته ((الأبيض كزنبقة ثلجية)) ((غريض لونها كوردة أيار – أشقر كالذهب شعرها الرائق)) (آريي، ١٩٨٨، ص٤٦). ومع ذلك يظل وصف الجمال الأنثوي مبهماً وتقليدياً صرفاً والشعراء الغنائيون الأوكسيتانيون إنما يتغزلون بنحافة القدّ ، وبهاء البشرة البيضاء كالثلج ، القرمزية كالوردة ، ورقة الحواجب ، وبياض الأسنان ، وتناسب أقسام الوجه تناسباً لطيفاً . وهم لا يشيرون البتة إلى لون العيون ، ولا إلى ما تّبين عنه هيئة الوجه . إن المرأة المحبوبة عند التروبادور هي أكمل مخلوقات الله ؛ ويعتبرها ((برناردي فونتادور)) فوق نساء الدنيا جميعاً)) (آريي، ١٩٨٨، ص٤٦). ويمتنع التروبادور عن الفصل بين خصال المرأة المعنوية وصفاتها الجسدية. إنها امرأة عظيمة بمالها من نسب تليد، وهي رقيقة رشيقة فطنة . وهي تحسن الجمع بين ((الأحاديث العذبة)) و ((الأعمال الحميدة))، ويتصور التروبادور جمال المرأة موسوماً بالرقة والذكاء . إن محبوبة التروبادور تملك صفات أكمل النساء في الدنيا .

وعلى هذا النحو يحدد ابن حزم سلوك العاشق: يشيح العاشق جهراً عن كل الحاضرين سوى محبوبه . ويبلغ به الأمر أن يحب أهل المحبوبة وقرابتها وخاصتها حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ومن جميع خاصته (ابن حزم،٢٠١٦، ص ٢٢) .

ويرى ((قيوم 1X)) أنه من الواجب على العاشق أن يحترم كل من يقيم مع محبوبته . ويعتبر برناردي فونتادور أنه على العاشق أن يكون بشوشاً حتى مع المنافس أو العدو . إن المحبّ يبدي للمرأة توقيراً كبيراً . فـ ((أرثر دانيال)) (Arnaut Daniel) يقول : ((إنني أكرّم ألف إمرأة في الدنيا)). أُحب أن يُبعث في قلب العاشق كل الفضائل . وعلى العاشق الكامل أن يُعرض عن كل صنيع من شأنه ألاّ يروق المرأة . وتتدّرج واجباته من مجرّد الاحترام من باب المجاملة إلى تقديم البراهين على تفانيه في الوله. ويشترط التروبادور على العاشق أن يمسك زمام عواطفه وغرائزه طبقاً لسنن الحب العذري . ويحتاج المرء إلى بذل جهد كبير حتى يصبح عاشقاً كاملاً . فلا يغدو جديراً بهذه التسمية إلاّ من تخلص من كل غرور ذَكري . وعلى العاشق أن يسعى إلى أن يفتن المرأة بشدوه حتى يكون موضع إعجابها . ويصرّح برناردي فونتادور إنه

متدّله في حب المرأة، وهو ملك لها قلباً وقالباً ، وهو يبتهل إليها ويعبدها كما لو كانت إلهاً . ويستطرد قائلاً : ((اني مدين لمعشوقتي بقيمتي وبروحي معاً ؛ ومن فضلها مرحي اللذيذ وعاداتي الطيبة ، فلو لم أرها لما أحببت ولما سعيت البتة إلى أن أحظى بالإعجاب)) .

وربما شكا العاشق أمر الحبيبة إذا ما أصابته بخيبة أمل كبيرة . وقد عبّر ((قيوم IX))في أناشيده الأولى عن أسفه لغدر النساء. وقد حدث لـ برنار دي فوتتا دور انقلاب مفاجيء: فقد خاب أمله ومن ثم أصبح سعيداً بفراق حبيبته واتهم النساء كلهن بالتقلب (آريي، ١٩٨٨ ، ص٤٧)، وتتحرك على ركح الحب العذري شخصيات ثانوية قليلة الأهمية.

فالصديق المساعد حسب اعتقاد ابن حزم صديق مخلص لطيف القول مأمون الخيانة كريم النفس مبذول النصيحة . ((ولمن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ٦٧). وربما كان الصديق الوفي عاذلاً في الوقت نفسه. والعاذل صديق قد أسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه، فعذله أفضل من كثير من المساعدات ، ولكنه خطب شديد أن يكون العاذل زاجراً لا يفيق أبداً من الملامة (ابن حزم،٢٠١٦، ص ٦٥) ، ويصّور فيرو دي بوراي (Guiraut de Borneil) عند مطلع الفجر المثال الكامل للصديق الذي يسلخ الليل يرعى الشاعر ومحبوبته (آريي، ١٩٨٨ ، ص٤٧) .

إن المرء ليشعر بالارتياح إذ يستطيع أن يبوح له بسعادته . إلا أن الصديق الذي تطلعه أكثر على أسرارك ، غالباً ما يتضح أنه مهذار . ولذلك فبعد أن نصح فيرو العاشق باتخاذ صديق يأتمنه على أسراره توقع المخاطر المنجزة عن هذا الوضع، وانتهى به الأمر إلى القول بأنه إن وجد ثلاثة « رفاق» كان أحدهم عادة ((زائداً عن الحاجة)) وإذا حلت الثقة بين العاشقين وقع إدخال ((السفير)) الذي خصّه ابن حزم بفصل قصير (ابن حزم،٢٠١٦، ، ص ص ٤٧-٤٨).

وينبغي أن يتخير العاشق السفير بشيء كثير من العناية، وأن يرتاده من بين أكثر الناس حذقاً . وينصح ابن حزم العاشق بأن يعهد بأداء الرسالة إلى إنسان حافظ للأسرار وفيّ للعهد قنوع ناصح ، ومن لم يتحّل بهذه الصفات كان ذا ضرر على باعثه ، وقد كان المحّبون في قرطبة يستعملون في هذه المهمة النساء ذوات الصناعة التي تقربهن من الناس : كالطبيبة

والحجامة والدلاّلة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والصنّاع في المغزل والنسيج (ابن حزم،٢٠١٦، ص٤٧) .

وينتظر التروبادور السفير بنفاد صبر ، وهذا برتادي فونتادور يكتب : ((أيها السفير رح عدواً وحدّث أجمل النساء عن الحزن المرير والعذاب اللذين أقاسيهما حتى الموت)) (آريي،١٩٨٨، ص٤٧) . وغالباً ما يكلّف السفير بنقل تذكار من المحبوبة إلى العاشق.

أغراض الحب العذري :

رأى ابن حزم أن الحبّ الحسي يمكن أن ينشأ عنه حب حقيقي. وإذا وافقت العلاقات الجنسية أخلاق النفس تولدت المحبة ((إذ الأعضاء الحساسة مسالك إلى النفوس ومؤديبت نحوها)) والحب عند ابن حزم يمكن أن يقع بالوصف دون المعاينة ((فإن للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيراً في النفس ظاهراً)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ٢٧) .

وحسب ابن حزم فأن نشوء الحب تصحبه دوماً أعراض ، وهذه العلامات التي تُظهر الحبَّ تكشف سرَّ العاشق وهي مختلفة ، منها إدمان النظر للمحبوب، والإنصات لحديثه إذا حدّث ، والدّنو منه. وكثير من حركات العاشق ذات دلالة : منها تعمده لمس يد المحبوب عند المحادثة، وشرب فضلة ما أبقي المحبوب في الإناء . ومن علامات الحبّ كثرة الغمز الخفي والتلميح بالكلام ، ومراعاة المحبَّ لمحبوبه ، وحفظه لكل ما يقع منه . ومنها بهن يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة ، ومنها اضطراب يبدو على المحبّ عند سماع اسم محبوبه (ابن حزم ،٢٠١٦ ص ص ٣٠-٣٩). وقد أحسن « سيركامون» وصف ما يعتريه من اضطراب أمام حبيبته إذ قال :

((من فرط عجيي حين أكون معها

عجزي عن البوح بمرادي

وعند انصرافي عنها يخيّل إليّ

أني فقدت كل أحساس وكل معرفة)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص٥٠) .

ومن علامات الحب الحياء ، ويتحدث ابن حزم عن الحياء المركب الذي يكون في المحب فيحول بينه وبين التعريف بما يجد المحبوب.((فيتطاول الأمر وتتراخي المدة ويبلى جديد المودة ويحدث السلّو)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ١٣٤) . وهذا سير كامون لا يجرؤ على قول شيء لحبيبته . ولما باح بحبّه بعد أن يسلخ في العشق حولين أو ثلاثة (آريي، ١٩٨٨، ص٥٠) .

ومن علامات الحب البكاء، وهو دليل على حرارة الحب وصدقه. وقد قال ((ابن حزم)) في هذا شعراً :

دليل الأسى نار على القلب تلفـح ودمع على الخدين يحمي ويسفح
إذا كتم المشغوف سر دموعـــه فإن دموع العين تبدي وتفضـــح
إذا ما جفون إلعين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبـــــرح

(ابن حزم،٢٠١٦ ص ٢٣) .

وعند التروبادور تكون الدموع سبباً في شحوب العاشق ونحوله . يقول برناردي فونتادور : ((من ماء عيوني الجاري أكتب أكثر من مائة سلام أبعث بها إلى أحسن النساء وأجملهن)). وليس لــ آرنودي ماروي (Arnaut de Mareuil) من حديث إلا عن دموعه (X1 P.103 *DAJEANNE*،1934،) .

ويكون عذاب المحب أيضاً معنوياً ، وهو يقاسي كل أنواع الهموم . ويتحدث ابن حزم عن الجزع الشديد الذي يغلب على الحبَّ وتنفسه الصعداء (ابن حزم، ٢٠١٦، ص٢٢). يقول برناردي فونتادور إن الحبَّ جعله متأرجحاً كالسفينة الشراعيّة فوق الموج ، ويصرّح بأنه أكثر عذاباً من ((تريستان)) :

لي من الحب آلآم مبّرحة
لم يذق مثلها ((تريستان)) العاشق
من جرّاء ((ايزوت)) الشقراء (آريي، ١٩٨٨، ص٥١) .

إن المرأة تبدو موصولة وصلاً مكيناً بكلّ ما يجعل الطبيعة جميلة .وقد قام ابن حزم بوضع المحبين في إطار ريفي. وفي هذا المعنى نعرض الأبيات التي نظمها من ((الروضيات)):

نَعِمنَا على نُورٍ من الروضِ زاهِر سَقتهُ العَوَادي فَهْو يُثني ويَحمدُ
كأنّ الحَيَا والمُزنَ والرَّوضَ عاطراً دُموعٌ وأجفانٌ وَخدٌ مُوّردٌ

(ابن حزم، ٢٠١٦، ص ٤٣).

ولبعض موضوعات الحب العذري طابع بالغ التميّز ، وقد جلعنا أهمّها قوة الحب، وقد ذكرها ابن حزم بقوله : ((اعلم أن للحب حكماً في الناس ماضياً وسلطاناً قاضياً وأمراً لا يخالف

وحدّاً لا يُعصى ومُلكاً لا يُتعدَّى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يردّ...)) (ابن حزم ،٢٠١٦، ص ٣٧) .

وينبغي أن نربط بين الشوق وقوة الحب، فلكل عاشق شوق إلى اللقاء. وعندما يمتزج شخصان في حبّ واحد تنشأ بينهما مراسلة . وقد أفرد ابن حزم للمراسلة فصلاً قصيراً يقول فيه: ((إن لوصول الكتاب إلى المحبوب وعلم المحب أنه قد وقع بيده ورآه للذة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية...)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص٤٥) .

ويقدم لنا ابن حزم دليلاً على قوة الحب فيروي لنا قصة المحب الذي قطّع يده بسكين له فسال الدم وأستمدّ منه وكتب به الكتاب أجمع (ابن حزم، ٢٠١٦، ص٤٦). ويمجّد التروبادور الشوق الطويل الذي يروم تخليد الحلم السرمدي برؤية الحبيبة أو امتلاكها . وقد كتب ((جوفري رودل)) سير بلاي الذي لم يكن له من غاية غير ملاقاة " كونتيسة طرابلس أبياتا يقول فيها :

أسير محني الظهر من رغبتي

دون أن تكون الأغاني وأزهار الزعرور

بالنسبة إليَّ شيئاً أكثر من ثلج الشتاء

وظنّي – بل يقيني – أن الله

سيريني حبيّ البعيد (آريي، ١٩٨٨، ص٥٢) .

وكتمان السر من القواعد الأساسية في الحبّ العذري ، وقد التزم به ابن حزم التزاماً تاماً إذ هو لم يذكر أسماء الأشخاص الذين عرفهم وذكر مغامراتهم. ويرى ابن حزم أنّ على المحب أن يكتم سره وأن يتجنب أن يفتضح أمره بالشحوب أو النظرات أو الدموع. وكثيراً ما يكون سبب الكتمان في المجتمع القرطبي توّقي المحبَّ على نفسه من إظهار سره لجلالة قدر المحبوب (ابن حزم،٢٠١٦، ص٥٠). وربما كان إفشاء السر سبباً في قطع الحب . ويتلو باب طي السرَّ باب الإذاعة ، وفي مثل هذه الحالة يغلب الحب الحياء فلا يملك الإنسان حينئذٍ لنفسه صرفاً ولا عدلاً، ويرى ابن حزم أن ذلك داعيةُ نِفار المحبوب وضعف في السياسة من قِبل المحبّ (ابن حزم،٢٠١٦، ص٥٤) .

والكتمان عند التروبادور أولى العلامات الدالة على احترام المحبوبة : إذ ينبغي على العاشق – إكراما لها– أن يمحضها وجداً مكتوماً يسكن حناياه . والكتمان ضروري للحبّ

خصوصاً إذا كان قائماً على خيانة زوجية . وعلى العاشق أن يخفي اضطرابه إذا ما راقبه أحد ، فلا حياة للحب العذري إلا في الخفاء . وفي إذاعة الحب، على غرار ما يفعل الوشاة ، قتلٌ له : ولذلك كانت ثرثرة هؤلاء النمّامين المخادعين خطرة . ومهما يكن من أمر فإنّ على العاشق المثالي أن يحفظ سير حبه حفظاً مطلقاً . وبصرّح ((برناردي فونتادور)) لحبيبته بقوله : ((إنني لن أفشي أبداً سرّ حُبنا، كوني على يقين من ذلك)) (آريي،١٩٨٨، ص٥٣) .

وابن حزم – شأنه شأن شعراء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الأندلسيين – يُبقي طي الكتمان اسم المحبوبة في الأخبار التي يرّصع بها ((طوق الحمامة)). ويتجلى الكتمان في استعمال ضمير المذكر للدلالة على المحبوبة ؛ وهي تدّعي حيناً ((سيدي)) وحيناً ((مولاي)) (ابـــن حـــزم،٢٠١٦، ص ص ١١٩-١٣٢،١٢١- ١٣٣،١٥٦-١٥٧،١٧٠-١٧١،٢٣٨-٢٣٩،٢٤٨-٢٤٩) . ويكثر في الحب الأوكسيتاني استعمال العلامة (Le Serhal) وهي التكنية عن الحبيبة باسم مستعار .

إن موضوع الخضوع للحبيبة جزءًا لا يتجزأ من الحب العذري ، ويعود هذا الخضوع الغرامي في الغزل العربي إلى الجاهلية ، ولما كان ابن حزم وريثًا للسنّة [الأدبية] المشرقية فإنه يعظم من شأن قوة الحب الخارقة فيقول :

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيسه يخضع المستكبر

لا تعجبوا من ذُلّتي في حالةٍ قد ذُلّ فيها قبلي المستبصر

(ابن حزم،٢٠١٦، ص ٥٨)

ويستطرد أبن حزم قائلاً :((ولا يقولن قائل إن صبر المحب على ذلة المحبوب دناءة في النفس ، فهذا خطأ . وليس سبّه وجفاؤه مما يُعيّر به الإنسان ولا يبقى ذكره على الأحقاب)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ٥٨) .

وليس في نظر أبن حزم ثمة مقام ألذ وأشهى من مقام المحب المتذلل الخاضع المتضرع الذي يسأل حبيبه المغفرة . وفي ذلك يقول ابن حزم: ((ولقد وطئت بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هيبة تعدل هيبة مُحِبٌ لمحبوبه ، ورأيت تحكّم الوزراء وانبساط مدّبري الدول فما رأيت أشد تبجحاً ولا أعظم مروراً بما هو فيه من محبّ أيقن أنّ قلب محبوبه عنده . وحضرت مقام المعتذرين بين أيدي السلاطين فما رأيت أذلّ من موقف محبّ هيمانٌ بين يدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء)) (ابن حزم ،٢٠١٦، ص ص ٩٢-٩٣) .

ويترتب عن الخضوع الوفاءُ ، يقول ابن حزم : ((إن الوفاء على المحبّ أوجب منه على المحبوب ، وشرطه له ألزم ، لأن المحبّ هو البادي باللّصوق ... والمحبوب إنما هو مجلوب إليه ومقصود نحوه)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ص ١٠٣) .

ويخص ابن حزم حوادث ألحب بأبواب كثيرة . وهذه النواحي السلبية ناجمة عن تعريفه للحب ، وعلى هذا النحو فإن: ((نفس الذي لا يحب من يُحبه مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية ، فلم تحسّ بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلّصت لاستويا في الاتصال والمحبة)) (ابن حزم، ٢٠١٦، ص١٣).

وأكثر أحداث الحب وقوعاً العذل والهجر والبين والعذر والسلو، وقلة الصبر آفة إذ المحب لم يجد بعد من المحبوب ما يدل على حبه .ويؤكد التروبادور أن الحب عذاب، وهموم الحب لا عدّ لها ولا حصر (آريي،١٩٨٨، ص٥٥). واليأس، بما هو إحدى آنات الحب ، يتضمن حسب ابن حزم مراتب مختلفة .

ومن مخاطر الحب المتواترة عند ابن حزم الضنّى. وهو يظهر حين يمنع المحب من إعلان حبه لسبب من الأسباب، أو يكون ممنوع الوصل إما بّبينٍ أو بهجر (ابن حزم، ٢٠١٦، ص ص ١٢٩-١٣١) .

ومهما يكن حظّ العاشق من عزة النفس ونبلها ضئيلاً فإن ما تبديه له المحبوبة من قساوة يلجئه إلى السلو ، وهو موقف من المواقف التي صورها كتاب طوق الحمامة ونجد باديء ذي بدء السّلو الطبيعي وهو المسمّى بالنسيان يخلو به القلب ، ثم نجد السلّو التطبّعي الذي فيه قهر للنفس . فالمرء الذي يُظهر التجلد وفي قلبه أشد لدغاً من وخز الأشقى ، ليس بناسٍ لكنه ذاكر و((متجرّع مرارات الصبر)) كما يقول ابن حزم (ابن حزم،٢٠١٦ ص ص ١٣٣-١٤٢). ومن أسباب السلو عند ابن حزم الغدر ، وهو يدينه إن كان من فعل المحبوب، إذ يقول: ((ولا يلام السالي عنه على أيّ وجه كان ناسياً أو متصبراً)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ص ١٣٩-١٤٠) .

ونعثر عند ابن حزم وعند التروبادور معاً على غرض مشترك هو الموت ، وقد خصّه ابن حزم بباب مشحون بالأمثلة التي استمدّها من قصص حبّ معاصريه ، والموت هو المصيبة الطبيعية التي تضع حداً للحب ، وقد يقع لمن كان مفرط الرقة أن يبلغ به فرحه بعودة المحبوب حدّ الموت. وفي بعض الأحيان يستهلك الهوى المحبّ ، ويسبب له الضنّى ثم الموت(ابن حزم،٢٠١٦، ص ص ١٤٣-١٤٨) .

الإيديولوجية الغرامية عند ابن حزم والتروبادور: مثالية وواقعية.

إن متابعتنا للبحث لا تحول دوننا ودون التأكيد على بيان هذا الخليط المكون من المثالية والواقعية الذي يعد أسّ الإيديولوجية الغرامية عند ابن حزم والإيديولوجية الغرامية عند التروبادور.

حيث ينتهي طوق الحمامة ببابين أخلاقيين : أحدهما في قبح المعصية والآخر في فضل التعفف (ابن حزم،٢٠١٦، ص ص ١٤٩-١٧٧) . ولا تفسير لهذا المؤلَف إلا من خلال تأثير المذهب الظاهري . فلم يفتأ أبن حزم يذكر بأنها من الأحسن فيما يتعلّق بالعقيدة والشرع أن يقف المرء عنده نصّ القرآن والحديث ، ومع ذلك فإنّ مفهوم الحب الذي يظهر طوال طوق الحمامة مستمد من السنّة المشرقية. ففي المشرق الإسلامي يقترن الحب الروحاني بصفة (العذري) التي تحدّرت من اسم قبيلة بدوية من شمال الجزيرة العربية ظهر بين أفرادها عدد من العشاق المدلّهين ومنذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ظهر ضرب من الأدب القصصي موضوعه الأزواج المتلازمون أمثال : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، وجميل وبثينة العفيفة وغيرهم كثير .

ومنذ ثلاثة عقود شبّه المستعرب الإسباني الكبير إيميليو غارثيا قومز (Emilio Garcia Gomez) هذا الحب بكونه (تخليداً مرضياً للرغبة) (Gomez ،1952، p.41) . ولقد كان رائد نظرية الحب الأفلاطوني فقيها ظاهرياً هو ابن داؤد(آريي،١٩٨٨، ص ٥٧) أصيل إصفهان المتوفى سنة ٢٩٤ هـ/ ٩٠٧ م. وقد ترك لنا رأس المدرسة هذا الذي قاد الحركة الظاهرية البغدادية بعد وفاة أبيه داؤد بن علي كتاب مختارات عذرية، هو((كتاب الزهرة)) pp.388- (L. Massignon،1975،390) الذي ترجم تارة بمعنى [الريحان] (Le livre de la fleur) وتارة بمعنى [الكوكب] (Le livre de Venus) ، وفيه حوالي خمسين باباً كل واحد منها تصوير لحكمة مسجوعة ، وفي الأبواب العشرة الأولى عرض لضرب من آداب الحب ، وفي الأبواب العشرة الموالية ذكر للنتائج المختلفة للهوى والمصائب التي تنزل بالمحبين : كالنّمامين والوشاة والفرّاق؛ وفي الأبواب العشرة التي تلي تعداد لما يعرض للهوى من عراقيل من قبيل السلو والهجران وما يترتب عنه من نتائج. وفي القسم الأخير يتحدث المؤلف عن القيم الأخلاقية ، وعلى وجه التخصيص عن إخفاء الحب وموته .

وفوق ذلك فإن (كتاب الزهرة) هو المصدر المكتوب الوحيد لـــ (طوق الحمامة)، إذ أن ابن حزم قد أطلّع على كتاب (أبن داؤد) كما تدل على ذلك فقرة من فقرات طوق الحمامة (ابن حزم، ٢٠١٦، ص ص١٤-١٥). ولمّا كان أبن حزم متشيعاً للمذهب الظاهري مدفوعاً بمثالية ، فقد آثر الحب الطاهر. وفي الصفحات الأخيرة من طوق الحمامة يذكر ابن حزم فضائل التعفف ويدعو إلى كبح جماح الحب حتى لا ينحط . على أنه لا يرفض الحب الحسّي وتشهد على ذلك فقرات عديدة من كتابه طوق الحمامة . وقد أفرد في رسالته عن الحب مكاناً مهماً للحديث عن المفاتن الجسدية والعلاقات الجنسية . ويرى ابن حزم أن الحواس طريق إلى الروح، ولا تتوطّد الصلات المتينة إلاّ عبرها . أما الواقعية فهي طليقة العنان في النوادر التي توشي طوق الحمامة وفي نوادر يغلب عليها الفحش واللغة المباشرة والاحماض(ابن حزم، ٢٠١٦، ص ص٧-٣٧) .

وجوه الاتفاق والاختلاف في نظرية الحب العذري عند ابن حزم والتروبادور :

في نظرية الحب العذري نقاط يلتقي فيها ابن حزم والتروبادور. وسنتولى – في إيجاز – استخراج أوجه الاتفاق الأساسية بينهم . لقد اعتنى أبن حزم والتروبادور بالشعر الغنائي الغرامي. ويلفت هذا العالم الأندلسي الأنتباه إلى أن المحب إنما يشّرع في إبداء حبه لمحبوبه بإنشاد الشعر، وتلك طريقة تحببه إلى نفس المحبوب . وقد بين برناردي فونتادور من خلال حياته واثاره ما للشعر والحب مجتمعين من قوة عجيبة. إن شعر التروبادور مبشّر بالحب، ونجد أحياناً أن الأغنية، عوض أن تنفتح بذكر جمال الربيع ، تبدأ بالتذكير بما للمحبوبة من ملكة ملهمة ، وتنغلق غالباً بأبيات شعرية مهداة إلى الحبيبة . وقد كان الصدق في الهوى يملأ على ابن حزم والتروبادور معاً أقطار النفس وقد توصلوا إلى مفهوم واحد للحب .

ولئن تعذرت البرهنة على وجود صلات قربى بين مفهوم الحب عند ابن حزم وعند التروبادور، فلا يمكن أن نغفل عمّا بينهما من أوجه شبه غريبة في المواضيع، وخصوصاً في ظهور الشخصيات الثانوية،وأستعمال ضمير المذكر للمرأة تشريفاً لها(R. ، 1964،p. 97 Nelli) .

أما أوجه الاختلاف بين هذين المفهومين للحب فإنها تبرز في نواح جزئية ، ولا بد في رأينا من لفت النظر إلى طرافة طوق الحمامة. فابن حزم – وهو يشرح الحب – لا يزكي البتة منهجاً بعينه ، وهو – على وجه اليقين – يميل إلى الظرف والوفاء بل وحتى التعفف، إلا أنه

يترك الخيار في ذلك كله للمحبين. إن الحب مغامرة تولد في كل تجربة. والأمر على نقيض ذلك في أوكسيتانيا حيث قُنّن موقف المحب من حبيبته تقنيناً دقيقاً، فغدا حظ النزوات ضئيلاً في هذا الحب الذي يتمثل في التقّيد بوصفة عذرية تقيداً كلياً. أما أضرب التعبير بل وحتى أضرب العواطف فإنها لا تكاد تختلف من تروبادور إلى آخر، وينبعث أحياناً من الشعر الأوكسيتاني شيء من الرتابة .

ومن خلال النوادر التي يوردها ابن حزم فإن الحب يقع عن طريق الحواس ، وعلى الخصوص العيون . وقد أفرد في طوق الحمامة باب لمن أحب من نظرة واحدة (ابن حزم،٢٠١٦، ص ص، ٣١-٣٣). وللجمال في هذا الحب منزلة أساسية. على أن هذا الحب إنما يشتد عوده بالتعّود والوفاء وتجربة الحواس، فكأنّ المرأة إذا غدت محبوبة تحلّت بكل الفضائل ، وليس من الضروري أن يكون المحبوب امرأة حرة . فأريستوقراطيو الأندلس وخاصة قرطبة الذين يحدثنا ابن حزم عن قصص حبهم حديثاً مفصلاً ، كثيراً ما يهيمون حباً بإماء . وإننا لنذكر الدور الذي اضطلعت به الجارية في الشعر الأندلسي . (pp.400-*PERS*،1953,430) . أما المرأة في الحب العذري الأوكسيتاني فمتخّيرة، ذلك أن المرأة التي يهبها العاشق حبهُ لا بدّ أن تتحلّى بما يجعلها جديرة بذلك الحب، ويعّبر قي دوسال عن رأيه فيقول: ((ولكنني اخترتك أنت يا سيدتي لأنك رفيعة المنزلة)) (آريي،١٩٨٨، ص٦٠) .

إن حب التروبادور مختلف اختلافاً كلياً عن حب القدامى المحتوم الذي يشلّ الإرادة . إنه عبادة حقيقية للمرأة ، وطقوس الولاء والغزل محددة تحديداً صارماً . ولدينا بعض المعلومات عن الوضع الاجتماعي لكثير من التروبادور. فنحن نعرف أن بعضهم كان ينتمي إلى طبقة الفرسان الدنيا أو طبقة التجار، وقد كان ((أرنودي ماروي)) كاتب دواوين ، وبعض التروبادور منحدرون من أسر متواضعة جدا شأن ((قيرودي بورناي)) و((أوك دي سان سيرك)) ، أما ((برناردي فونتادور)) فقد كان أبوه خباز قصر فونتادور . ولا بد لنا من أن نشير إلى أن شعر هؤلاء الذين عاشوا في ظل الأسياد قد وجّه إلى زوجات هؤلاء الأسياد الشرعيات . إن محبوبة التروبادور يجب أن تكون بالضرورة متزوجة ، والأمر عند أبن حزم على نقيض ذلك ، فلا محل عنده للخيانة الزوجية ، وهو يدينها إدانة صارمة لأن الحب في هذه الحالة يفقد طهارته . وقد رأينا أن الحب في نظر ابن حزم التقاء بين روحين فُرق بينهما في عهد سالف ، وهيّئتا

للتلاقي من جديد . ففي الزنا ((من إباحة الحريم وإفساد النسل والتفريق بين الأزواج الذي عظّم الله أمره ما لا يهون على ذي عقل أو من له أقل خلاق...)) (ابن حزم،٢٠١٦، ص ١٦٣) .

وكذلك الشأن في الغيرة ، فنحن واجدون لها [عند ابن حزم والتروبادور] مفهومين متقابلين تقابلاً كلياً . وقد كتب ابن حزم إن : ((غيرة شديدة رُكّبت فيّ))، وهو يرى أن الغيرة إنما هي علامة الحب (ابن حزم،٢٠١٦، ص ١٦٩) ، وهي متأتية من الشعور البالغ الحدة بالشرف عند العرب . أما التروبادور فيرون أن الغيرة تنشّط الحب ، ولا يرى التروبادور ضيراً في أن يتغزل غيره بحبيبته : ((إن كان لحبيبتي عشاق سواي ، فلن أواجهها لذلك بتجهم)) (*DAJEANNE*،1934،X1،P.112) والموت حباً موضوع فرعي آخر يقوم شاهداً على التقابل بين ابن حزم والتروبادور ، فكثيراً ما أشرف ابن حزم على الموت ، إذ أنه عاش في عهد اضطرابات ((الفتنة)) زمن ((ملوك الطوائف ٤٨٣-٥٤١هـ)). لذلك يتحدث عن الموت حديثا مأسوياً : فالحب مرتبط بالموت . أما الشعراء الأوكسيتانيون فالموت عندهم رَوْسم أدبي . فالمحب يموت من كثرة التنهد والألم . ولما كانت المحبوبة تبعث بقسوتها اليأس في قلب المحب ، فإنه يتألم حتى الموت . وقد عبّر برناردي فونتادور في أغانيه مراراً عن هذه الفكرة الغرامية ، كما في قوله : ((إن قلبي يتفطّر حزناً ، حتى إني أشرف على الموت وأكاد أقضي نحبي)) (آريي،١٩٨٨، ص٦١) .ولولا مساعدة محبوبته لهلك . أما الموت الحقيقي فلا ورود له البتة . وينبغي على المحب أن يقبل الانتظار ، وأن يظل ناذر نفسه لمحبوبته وإن كانت لا تُحبه أو أنه راودته فكرة هجرانها .

وفي مسألة العلاقة بين الدين والحب تقابل أيضاً بين أبن حزم والتروبادور ، إذ أن ابن حزم لا يتوانى عن تعزيز مفهومه للحب أثناء حديثه عن طبيعة الحب وتطوره بالآية القرآنية الكريمة : ((**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**))[**سورة الزمر، من الآية:٦**]، ويضيف بأن الله تعالى ((جعل علّة السكون [الذي يجده آدم في حواء] أنها أي [حواء] منه [أي من أدم])) (ابن حزم،٢٠١٦،، ص١٢) .

وبغّض النظر عن تفسيرات الحب والنوادر الماجنة ، يضم كتاب طوق الحمامة بيانات عن الشرع الإسلامي . فالإسلام حاضر في الكتاب حضوراً دائماً، ويكشف فيه ابن حزم عن حرصه على البقاء في حيّز الإسلام وذلك بالاستشهاد بالقرآن والحديث النبوي. فالمحب يتخذ المؤمن مثالاً ، والوفاء للمحبوب يحُسّن الطبع ويسمو به ، والتذلل في الحب يكرّم صاحبه كما

يكرّم التذلّل لله تعالى العبد الورع. وعلى نقيض ذلك ، فإن حب التروبادور منفصل عن الأخلاق المسيحية ، وله أخلاقية خاصة به . فالحب البروفنسالي بصوّر على أنه ((وسيلة)) لتحقيق كل الكمالات الروحية . ولقد أدركت الكنيسة ذلك إدراكاً جيداً وأبدت منذ البدء اعتراضها على الشعر العذري وأدانت الأخلاق الشهوانية التي يروجها . ورغم ما قام به الشاعر التروبادور ((مونتانها قول)) (Montanhagol) من بسط لميول أخلاقية النزعة في أغانيه الممتدة من سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م الى سنة٦٥٥هـ/١٢٥٨م ، ورغم ما ذكره فيها من تمجيد للحب الأفلاطوني فإن الكنيسة واصلت نبذها للأدب العذري وفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م حرم أسقف باريس((ارناست تومبيي)) (Ernest Tompier) رسمياً على رؤوس الملأ هذا الأدب لما يتصف به من هرطقة.

الخـــاتمة : بعد هذه الجولة في كتاب طوق الحمامة ومعرفة ماهية الحب العذري وصلته بأبن حزم والتروبادور، لا بدّ من تسجيل أهم ما توصلنا إليه من نتائج، وهي على النحو التالي:

١- اذا كان الحب لدى بعض الفقهاء من المحرمات التي ينبغي الاحتراز منها، فإن ابن حزم لا يعتبره قط من المحظورات في الشريعة، ولا من المنكرات في الديانة ما دامت القلوب ليست بيد أصحابها، وإنما بيد الله تعالى، فهو لا يتصور محاسبة الإنسان في شيء لا يملك الحرية فيه ولا القدرة على الاختيار، إذ القلوب كما يقول ابن حزم بيد موليها الذي هو الله تبارك وتعالى .

٢- إنّ كتاب طوق الحمامة بما فيه من عذرية وعفة متأثر بشكل رئيسي بكتاب (الزهرة) لصاحبه (محمد بن داوود الظاهري). مما ينفي تأثر أبن حزم بالعفّة المسيحية. وقد قال الأستاذ غرسيه غومس في تفنيد ذلك إنّه على الرغم من إشارة نصيّة بسيطة ومن التوافق في الاتجاهات العاطفيّة، فإنّ الطوق لايكاد يدين للزهرة بشيء أو إن شئت يدين لها بشيء محدود للغاية .

٣- شكّل الحب بؤرة مركزية في ((طوق الحمامة))، ولعل مبدأ المجانسة والمشاكلة من أهم مبادئه ، إذ إن الحب لا يقع إلاّ بتوافق المحب والمحبوب في صفات معّينة ، ومن ثمّ فإنه لا يقوم على التنافر لأن التباين بين المحبيّن معناه التباعد . وعليه فسمات التوافق تفضي إلى الاتصال ، وإذا ما انتفت تحقق الانفصال .

٤- لم يكن حب ابن حزم الأفلاطوني وليد عدوى سلالية ، أو أنّه تلقاه من نفسية أسلافه المسيحيين كما ذكر البعض من المستشرقين أمثال رينهارت دوزي الذي رباطاً واهناً بين أبن حزم

والمسيحية المفترضة كدين لآبائه، ونسي أو تناسى ذلك الموروث العربي العفيف الهالك في ثقافة العرب المسلمين التي نهل منها ابن حزم، أو على الأقل من معظمها كما ذكر بلسانه في كتابه (طوق الحمامة) وفي سيرة حياته .؛ ذلك أنّ كثير من أبطال الغزل الرومانسي ينحدرون من أصول عربية خالصة، ولا يمكن أن يجري في دمائهم الخصائص الموروثة التي نفترض أنّها عند ابن حزم الاندلسي .

٥- يبدو أنّ الحب العفيف كان شائعاً في مدينة ابن حزم [الحاضرة قرطبة]، ومنها استوحى مادة كتابه إذ يقول فيه: ما رأيت قط متعاشقين إلا وهما يتهاويان خُصل الشعر مبخّرة بالعنبر مرشوشةٌ بماء الورد، وقد جُمعت في أصلها بالُمصْطكي، وبالشمع الأبيض المصفّى، ولُفّت في تطاريف الوشي والخزّ، وما أشبه ذلك تكون تذكره عند البين .كما أنّ حياة ابن حزم لها علاقة بهذا المجتمع إذ إنّه كما يقول قد تربّى على أيدي النساء، وعنهن أخذ آدابه الأولى إلى جانب تجربته العفيفة في الحبّ التي انتهت بزواجه من حبيبته (نُعم)، وهو دون العشرين من عمره .

٦- وفي هذا السياق، فإنّ الحب عند أبن حزم لا يأتي من الأجسام ، وأنما يأتي من النفوس. وتبعاً لذلك فالأجسام هي وسائط تسمح للنفوس بالتقارب أو التباعد .

٧- كما فرّق أبن حزم بين الحب والشهوة ، وحدّد المسافة الفاصلة بين الروحي والجسدي ، وبخاصة لما رفض فكرة التعلّق بشخصين في آنٍ واحد .

٨- كما أنّ البيئة الأندلسية كانت تمدّ ابن حزم بشيئين مهمين: أولهما ذلك الشعر العفيف المتشبه بالشعر العذري نزولاً على أحكام الظرف، وقد مهّد ابن فرج في كتاب (الحدائق) لذلك السياق الأندلسي الخالص في شعر الحبّ، وكان ابن حزم معجباً بكتابه، وقد حفظ الكثير منه. وفي طيّات الكتاب أورد ابن حزم الكثير من القصص عن أبناء مدينته، بل كان يذكرهم بالاسم مثل: الرمادي وحبّه لحلوة، وابن قزمان وحبّه لأسلم، وعبد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الجزري

٩- إنّ الكثير إن لم نقل معظم القصص التي أوردها ابن حزم في كتابه هي من القصص المتصلة بعائلته أو أصدقائه، أو عن من عُرف عنهم أو سمع عنهم في مجتمعه. وفي ذلك يقول: التزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدّك والأقتصار على ما رأيت أو صحّ عندي بنقل الثُقات .

١٠- أتفق أبن حزم في بعض النقاط وأختلف بأخرى مع التروبادور[شعراء وموسيقيين العصور الوسطى] حول مفهوم الحب وماهيته وأغراضه، ولكل منهما وجهة نظره التي قد تتوافق أو تتعارض مع الدين والشريعة .

التوصيات :

- يرى ابن حزم وهو الإمام الفقيه أنّ الغاية من الحبّ غاية عفيفة وهي الزواج وهو مقصد شرعيّ وفيه تتحقق السعادة وما دون ذلك فهي عبارة عن أفعال غير أخلاقية، فالحبّ كما يرى نمطًا إنسانيًّا رفيعًا ورابطة وثيقة يُنظمها الدين.

- كما يرى ابن حزم أنّ الأصل في الحبّ التعفف ويرفض الحبّ العذري وغيره ويدعو في كتابه (طوق الحمامة) إلى ترك المعاصي وما يُقرّب إليها، ويُحذّر من الزنا والوقوع فيه وهو بذلك يعكس بُعدًا دينيًّا وأخلاقيًّا إذ غلبت الصبغة الدينية على طبعِهِ وكتابتهِ وليس ذلك بغريب على فقيه وفيلسوف كأبن حزم . ونحن بدورنا ندعو من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة الى ابتغاء العفة من وراء الحب وهذه العفة تتجسد في الزواج وهو مقصد شرعي وفيه تتحقق السعادة وراحة النفوس، وما دون ذلك فهي افعال لا تمت الى الدين والشريعة بصلة .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- المصادر والمراجع العربية والمُعرّبة :

١- آريي، راشال، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، أبن حزم والحب العذري، تعريب: محمد القاضي، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والأشهار، تونس.

٢- آل تركي، خالد، (٢٠١٨م)، نظريتي الحب والمعرفة عند ابن حزم ، تحرير: احمد بادغيش، مراجعة : احلام العمري، موقع ساقية الالكتروني : https://saqya.com .

٣- ابن حزم، علي الأندلسي، (٢٠١٦م)، طوق الحمامة في الألفة والأُلاّف، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .

٤- فاضل، جهاد، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، الحب العذري صناعة عربية أو أبن حزم وأجداده بنو عذره، جريدة الرياض الالكترونية، مكتب الرياض، بيروت : https://alantologia.com .

- المراجع الأجنبية :

5- DAVENSON (H.) Les troubadours, Paris, 1961 .

6- DAJEANNE (J.M.L) éd., Poésies complètes du troubadour Marcabru, Toulouse, 1948 .

7- JEANROY (A.) éd., Les Chansons de Guillaume IX, duc d'Aquitaine, Paris, 1934.

8- LAZAR (M.)., *Amour courtois et Fin'amors, Thèse de Doctorat, Paris, 1964* .

9- *LÉVI-PROVENÇAL (E.) Islam d'Occident, Paris, 1948.*

10- *LÉVI-PROVENÇAL (E.), «En relisant le Collier de la Colombe», in AlAndalus, vol. XV, fasc. 2, Madrid ،1950 .*

11- *MASSIGNON (L.). La Passion de Hallaj, rééd., Paris, 1975.*

12- NELLİ (R.)L'érotique des troubadours ,Toulouse,1963.

13- *PERS (H.) La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle, 2e éd., Paris, 1953* .

14- *VADET (J.Cl.) L'esprit courtois en Orient dans les cinq premiers siècles de l'Hégire, Paris, 1968 .*

أدب الرحلة و دوره في ربط الصلات التاريخية و الفكرية بين المشرق و المغرب : رحلة محمد حجي بوشعرة نموذجاً

د. كوثر أبو العيد

جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس- المغرب

الاستلام: ١٨/ ١/ ٢٠٢٤

قبول النشر: ١٥/ ٢/ ٢٠٢٤

الايميل:
Kaoutaraboulaidfes39@gmail.com

الملخص

المعرفة التاريخية معرفة إنسانية متعددة المصادر والمشارب تحمل في طياتها معلومات متنوعة وغزيرة تهم فترة معينة من فترات التاريخ لأمة من الأمم، وتعد الرحلة مصدراً أساسياً من مصادر هذه المعرفة التاريخية، إذ تعتمد على الإدراك المباشر للأحداث ولا تكتف بالنقل والسمع فقط، مما يجعل منها شهادة حية للوقائع التاريخية التي قد لا تتضمنها كتب التاريخ نفسها، والجدير بالذكر أن تاريخ المغرب لا يخلو عبر العصور من كتاب عن الرحلة، وهو ما يبرز اهتمام المغاربة بهذا الأدب لدرجة غدا فيها من مميزات الأدب المغربي، حتى إن الأستاذ محمد الفاسي يرى "أن أهم ما شارك به المغرب في بناء صرح الثقافة العربية العامة ومع الأبحاث الفقهية، فن الرحلة"، فقد حقق المغاربة الحظ الأوفر في هذا المضمار، بل يمكن أن نصرح بكل ثقة واطمئنان أن المغاربة تفوقوا وحازوا فضل السبق والريادة في مجال الرحلة، وإذا كانت المصادر التاريخية قد دونت أسماء عدد كبير من الرحالة المغاربة الذين جابوا الآفاق فإن هناك من لا نجد له ذكراً فيها، هكذا يمكن التصور أن عدداً كبيراً من الرحلات المغربية قد تعرض للضياع أو مازال منزويا في الرفوف المنسية لم تمتد إليه بعد يد التنقيب، والدراسة. مثال ذلك رحلة بوشعرة الحجية فصاحبها غير معروف، رغم مكانته العلمية، في الأوساط الثقافية المغربية والعربية، فقد أهملته المصادر التاريخية، فسلطت بذلك هذه الرحلة الضوء على شخصية بوشعرة وبينت مدى التقدير الكبير الذي كنته لها شخصيات عالمة، مشرقية على وجه الخصوص منها: يوسف النبهاني. وبذلك أمطنا اللثام عن شخصية مغربية مثقفة ظلت مجهولة بالرغم من كونها تركت عملاً علمياً أثرى الخزانة المغربية من هنا تقديم رحلة بوشعرة الحجية، فمن يكون هذا الرحالة ؟ وما هي ظروف رحلته؟ وما هي أهم القضايا التي أثارتها هذه الرحلة؟ وأين تكمن أهميتها؟ وماذا أضافت لسلسلة الرحلات الحجية المغربية التي دأب المغاربة على القيام بها؟ تلك مجموعة من الأسئلة سنحاول جاهدين الإجابة عنها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:

أدب الرحلة، رحلة محمد حجي بوشعرة، ربط الصلات التاريخية والفكرية.

Title:
Travel literature and its role in linking the historical and intellectual relationships between the East and the Maghreb: The Journey of Muhammad Hajji Bouchaara as a model

Received: 18/ 1/ 2024

Accepted: 15/ 2/ 2024

Email:

Kaoutaraboulaidfes39@gmail.com

Abstract:
Historical knowledge is a human one consisting of multiple sources and stripes that carries with it diverse and abundant information that concerns a specific period of history for a nation. The trip is considered an essential source of this historical knowledge, as it relies on direct awareness of events and it is not satisfied with transmission and hearing only, which makes it a living testimony to historical facts that may not be included in the history books themselves. It is worth mentioning that the history of Morocco has not been without a book about the journey through the ages, which highlights the interest of Moroccans in this literature to the extent that it has become one of the characteristics of the Moroccan literature, so that Professor Mohamed El Fassi believes that “the most important thing with which Morocco participated in building the edifice of general Arab culture And with juris prudence research, the art of the journey” . The Moroccans have achieved the best luck in this field. Indeed, we can say with confidence and reassurance that the Moroccans have excelled and gained the advantage of being a pioneer and leader in the field of travel. If the historical sources have recorded the names of a large number of Moroccan travellers who roamed the horizons, there are those whom we do not find mentioned , so it can be imagined that a large number of Moroccan trips have been lost or are still hidden in forgotten shelves that have not yet been reached,explored or studied. An example of this is Bouchaara's Hajj trip, whose owner is unknown - despite his scientific status - in the Moroccan and Arab cultural circles. In particular, we mention: Youssef Al-Nabahani. Thus, we have uncovered a cultured Moroccan figure who remained unknown despite the fact that he left a scientific work that enriched the Moroccan treasury. From here came our conviction to present the authentic journey of Bouchaara, so who is this traveller? What are the conditions of his trip and what are its main raised issues ? Where does its importance lay? And what did it add to the series of Moroccan pilgrimages that Moroccans have been taking? These are a set of questions that we will try hard to answer through this research .

Keywords: Travel literature, linking the Historical and intellectual Relationships

المقدمة

المعرفة التاريخية معرفة إنسانية متعددة المصادر والمشارب تحمل في طياتها معلومات متنوعة وغزيرة تهم فترة معينة من فترات التاريخ لأمة من الأمم.

وتعتبر الرحلة مصدرا أساسيا من مصادر هذه المعرفة التاريخية، إذ تعتمد على الإدراك المباشر للأحداث ولا تكتفي بالنقل والسمع فقط، مما يجعل منها شهادة حية للوقائع التاريخية التي قد لا تتضمنها كتب التاريخ نفسها (الغاشي، ٢٠٠٠).

والجدير بالذكر أن تاريخ المغرب لا يخلو عبر العصور من كتاب عن الرحلة، وهو ما يبرز اهتمام المغاربة بهذا الأدب لدرجة غدا فيها من مميزات الأدب المغربي، حتى إن الأستاذ محمد الفاسي يرى "أن أهم ما شارك به المغرب في بناء صرح الثقافة العربية العامة ومع الأبحاث الفقهية، فن الرحلة" (الفاسي، نشأة الدولة المرينية). فقد حقق المغاربة الحظ الأوفر في هذا المضمار، بل يمكن أن نصرح بكل ثقة واطمئنان أن المغاربة تفوقوا وحازوا فضل السبق والريادة في مجال الرحلة (نواب، ١٩٩٦).

وإذا كانت المصادر التاريخية قد دونت أسماء عدد كبير من الرحالة المغاربة الذين جابوا الآفاق فإن هناك من لا نجد له ذكرا فيها، هكذا يمكن التصور أن عددا كبيرا من الرحلات المغربية قد تعرض للضياع أو مازال منزويا في الرفوف المنسية لم تمتد إليه بعد يد التنقيب والدراسة. مثال ذلك رحلة بوشعرة الحجية فصاحبها غير معروف – رغم مكانته العلمية– في الأوساط الثقافية المغربية، فقد أهملته المصادر التاريخية، فسلطت بذلك هذه الرحلة الضوء على شخصية بوشعرة و بينت لنا مدى التقدير الكبير الذي كنته لها شخصيات عالمة، مشرقية على وجه الخصوص نذكر منها: يوسف النبهاني (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة،كتاب مخطوط، بدون تاريخ). فنكون بذلك قد أمطنا اللثام عن شخصية مغربية مثقفة ظلت مجهولة بالرغم من كونها تركت عملا علميا أثرى الخزانة المغربية من هنا جاءت قناعتنا لتقديم رحلة بوشعرة الحجية، فمن يكون هذا الرحالة ؟ وما هي ظروف رحلته؟ وما هي أهم القضايا التي أثارتها هذه الرحلة؟ وأين تكمن أهميتها؟ وماذا أضافت لسلسلة الرحلات الحجية المغربية التي دأب المغاربة على القيام بها؟

تلك مجموعة من الأسئلة سنحاول جاهدين الإجابة عنها من خلال هذه الورقة التي سنستهلها بالتعريف بصاحب الرحلة.

التعريف بالمؤلف:

هو بوشعرة محمد حجي (الحاج) بن الحاج الهاشمي، فقيه فلكي ميقاتي ولوع بالتقييد ونسخ الكتب القيمة بخطه الجميل حتى ضعف بصره ثم عمى في آخر حياته حسب ما أورده الأستاذ حجي الذي ذكر بأنه كان يتوفر على خزانة قيمة مشتملة على أهم المخطوطات والمطبوعات في الفنون العقلية والنقلية التي يعنى بها، مشيرا إلى أنه اطلع على بعض منتسخاته بمنزله في درب "معاننة"، مضيفا إلى أن بعضها آل بالشراء إلى الخزانة الصبيحية بسلا، بعد أن بددت بفعل سوء تصرف أحد أصهاره، لأنه لم يعقب وإنما ترك بنتا وهي السيدة آمنة بوشعرة من زوجته السيدة رقية الزواوي بنت السيد الزواوي، أشهر الموقتين و المقدمين في مدينة سلا. وقد أنجبت ابنته السيدة آمنة، ثلاث فتيات هن: نجيبة و فاطمة الزهراء و حليمة و حسب الرواية الشفوية التي أمدنا بها السيد عبد الرحمان بوشعرة أحد أقربائه فان المؤلف كان يعمل كناسخ بإدارة الترتيب التابعة لسلطات الحماية الفرنسية آنذاك بمدينة سلا.

توفي الحاج محمد حجي بوشعرة سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١ م بسلا (حجي، ١٩٩٢).

تجدر الإشارة إلى أن محمد حجي لم يشر في معلمة المغرب، إلى الرحلة الحجية لمحمد بوشعرة.

التعريف برحلة الحاج بوشعرة

هي عبارة عن رحلة حجية قام بها السيد محمد حجي بوشعرة سنة ١٣٤٨ هـ/١٩٣٠م، تقع في كتاب مخطوط يحمل رقم ٣٢٥٩ د. عثرت عليه بقسم المخطوطات بالخزانة الوطنية بالرباط، وقد تم نسخ نسختين مصورتين عنه وهما عن أصل النسخة الأصلية التي بحوزتي.

يوجد المخطوط في حالة جيدة، خال من الخروم، به إضافات بين الأسطر وأحيانا أخرى طرر في الحواشي، يقع في ثمان ومائة ورقة إضافة إلى ملحق يضم عشر صفحات، ويبلغ عدد سطوره حوالي ١١ سطرا، وعدد الكلمات في كل سطر ما بين ٨ إلى ١٠ كلمات، وقد كتب بخط مغربي أصيل وهو الخط المجوهر.

نظرا لظروف التنقل والسفر يبدو أن السيد بوشعرة قد دون رحلته بعد عودته أو بالأحرى فقد حرر مسودة الرحلة بعد الفراغ من التنقل وهو ما ورد في آخر كتابه: "تقدم تقييد هذه

الخلاصة بورقات متفرقات بحسب الاستيطان والتنقلات وجمعها بعد العودة والاطمئنان عبد ربه محمد حجي الهاشمي بوشعرة السلاوي راجيا من المولى سبحانه منة الغفران وذلك في منتصف ربيع النبوي الشريف عام ١٣٤٩هـ" (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة). مما يدل على أن بوشعرة قد اعتمد بالأساس في سرد تفاصيل رحلته على ما سجله باقتضاب حول رحلته في مذكرته الشخصية أو في "ورقات متفرقات"- على حد تعبيره- بسبب الترحال والتنقل ليؤجل بذلك مسألة سرد التفاصيل إلى ما بعد استقرار عصا التسيار، لتصبح "الكتابة[..] تذكرا واستعادة لوقائع ومشاهدات قد يكون مضى عليها في بعض الأحيان زمن طويل لا تخلو فيه الذاكرة من التعرض لآفة النسيان..." (العلوي، بدون تاريخ)، وحتى لا يقع في شرك هذه الآفة، فقد عمد بوشعرة إلى تدوين مسودة مخطوطة خلال رحلته، وما يثبت ذلك هو وصفه الدقيق لتلك المنقوشات التي شاهدها عن كثب والمنقوشة على عدد من المزارات المشرقية، كوصفه على سبيل المثال لا الحصر- لما وجده منقوشا على قبر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة) . وبهذا يكون قد عمد إلى تنقيح وجمع ما دونه خلال رحلته بعد العودة، خاصة إذا ما علمنا أن تاريخ رجوعه إلى مدينة سلا كان يوم الثلاثاء ١٩ محرم من سنة ١٣٤٩ هـ موافق ١٧ يونيو ١٩٣٠م، في حين كان تاريخ تنقيح المخطوطة وتنظيمها في "منتصف ربيع النبوي الشريف عام ١٣٤٩ هـ١٩٣٠م.

نسبة الكتاب لصاحبه:

لما كانت مسألة ثبوت صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، ليست بالأمر الهين، خاصة إذا كان الكتاب غير معروف في الأوساط العلمية وأن صاحبه ضئيل الشهرة، ولما كان الأمر كذلك كان لابد من التقصي والتوثيق خاصة وأن الترجمة الوحيدة التي أفردت لصاحب المخطوط لم تشر ولو بأدنى إشارة إلى هذا الكتاب وعلاقته بصاحب الترجمة.

وقد تأكدنا من نسبة هذه الرحلة للسيد بوشعرة محمد بن الحاج الهاشمي فعلاوة على ما ذكره العلامة المرحوم محمد المنوني في مؤلفه: "المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث" (المنوني، ١٩٨٩). وما ذكره أيضا في مقال له بعنوان: "مسرد لواقع المخطوط من الرحلات المغربية الحجازية" (المنوني) . وذكرها أيضا محمد بن عزوز أثناء تقديمه وتعليقه على رحلة محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ) الحجازية (الكتاني م.، ٢٠٠٥) .

كما أن النسخة التي هي موضوع الدراسة تحمل تعقيب بوشعرة محمد بعد فراغه من تدوين رحلته، قائلا: "تقدم تقييد هذه الخلاصة بورقات متفرقات بحسب الاستيطان والتنقلات، وجمعها بعد العودة والاطمئنان عبد ربه حجي بن محمد الهاشمي بوشعرة السلوي راجيا من المولى سبحانه منه الغفران، وذلك في منتصف ربيع النبوي الشريف عام ١٣٤٩ هـ" ١٩٣٠م (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة) .

دراسة الشكل وأسلوب الرحلة:

حاولت رحلة بوشعرة أن تنسج نسقين مختلفين: نسق المعرفة ونسق المتعة وبالتالي فقد هدفت إلى إرضاء ذوقين اثنين:

- ذوق عام: الحكايات، الأخبار، المرويات...
- ذوق خاص: توثيق المعلومات والمعارف كل حسب ميوله: التاريخ والجغرافيا والأدب...

وبما أن الرحلة التي بين أيدينا هي رحلة حجية، فإن الحاج بوشعرة استعمل لغة العقل والمحاججة وذلك بتقديمه لعدد كبير من الأدلة الشرعية الفقهية، فكان أسلوبه أدبيا رفيعا وسلسا في الآن نفسه، خال من أي تأنق أو زخرفة لغوية معولا على ألفاظ واضحة وتراكيب بسيطة تؤدي المعنى المراد، ولعل هذا راجع إلى جدية المواضيع الفقهية التي كان يتطرق إليها. في المقابل نجده في مواقف معينة يلجأ إلى الأسلوب المنمق حتى غدت بعض المقاطع النثرية جملا موسيقية كقوله عند وصوله مكة لتأدية طواف القدوم: "..ثم ذهبنا نؤم البيت الحرام، واثقين بنيل كل مرام، فجئنا إليه وقد حان الغروب وكادت تطير من الفرح القلوب، ودخلنا فرحين مستبشرين وفي رحمة الله ومغفرته طامعين وذلك من باب السلام، مستقبلين بيت الملك العلام..." (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة).

من جهة أخرى استعمل بوشعرة بعض الألفاظ العامية مثل "كْلتة" (بوشعرة، رحلة بوشعرة) التي قصد بها بحيرة و"طاقة" التي قصد بها نافذة، وساعة "مكْانية" التي قصد بها ساعة من الزمن، ناهيك عن استعماله لمصطلحات تنم عن روح العصر مثل: أوطيل، الأتموبيل، الكمبانية...، لكنها تبقى عبارات محدودة وبالتالي لم تؤثر على أسلوبه الرصين.

هكذا يمكننا أن نميز في أسلوب بوشعرة بين مستويين اثنين:

المستوى الأول: استخدام لغة عربية فصحى، وهو الأمر الذي نلمسه جليا في مقدمة الرحلة وخاتمتها مع استخدام عبارات منتقاة ترسم مشاهداته بصور بديعة، كما هو الحال في وصفه للمزارات المقدسة والمدن المشرقية.

المستوى الثاني: استعمال لغة قريبة من لغة الحديث اليومية، وكأن الحاج بوشعرة يوجه حديثه إلى جموع الناس من حوله ليحكي لهم ما رأى وسمع وليس إلى نخبة مثقفة بالذات. من هنا نجد التساهل عموما في الأسلوب، فكأنه يتعمد مخاطبة الناس بأبسط ما يفهمون من عبارات.

والقارئ لرحلة بوشعرة يلمس تلك المشاعر الفياضة التي غلبت على نص الرحلة لاسيما عندما يتعلق الأمر بوصفه للمدن والمزارات الحجازية، إنها سلطة المكان وقدسيته اللتان جعلته لا يقتصر على الوصف فقط، وإنما يوظف الإحساس بالمكان أيضا. فبدا ذلك جليا في أسلوبه وغدت لغة الرحلة رفيعة المستوى، عظيمة التأثر والإمتاع خاصة بعد تضمنها مجموعة من الأشعار التي أضفت رونقا عليها وحلية لها، من ذلك إنشاده بعد وصوله إلى المدينة المنورة:

ما بقي غير ساعة التلاقي ثم يدنو والديار الكئيب

فتهيأ إلى اللقاء وبادر هذه طيبة وهذا الحبيب

وإلى جانب الشعر، فقد استشهد بوشعرة بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أدمجها في سياق النص، تعليقا على مواقف كان لابد الفصل فيها بدليل شرعي قاطع نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ما أورده في مسألة البناء بمنى (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة).

الجدير بالذكر أن السيد بوشعرة كان دقيقا في وصفه، وقد لا نعدم الصواب إذا قلنا أنه كان صادقا في مشاهداته وانطباعاته حول المزارات والبقاع التي زارها لدرجة غدت فيها رحلته نصا بصريا، فبوشعرة شاهد بدقة ثم أول ما شاهده، فأصبحت رؤيته مزدوجة تعكس دقة الملاحظة وحركة العقل معا.

وإذا ما تطرقنا إلى طبيعة الوصف عند بوشعرة نجده يركز على الوصف التاريخي فهو لا يكتفي بتقديم موصوفاته سواء تعلق الأمر بالمدن أو المآثر الدينية وإنما يقدمها من خلال توثيقها بمصادر تاريخية، من ذلك مثلا ما ذكره عن صخرة بيت المقدس بعد وصفه لها: "ثم إن صخرة

بيت المقدس لم نعثر لها على تاريخ إلا ما ذكره القرماني في تاريخه من أنها كانت موجودة قبل هبوط سيدنا آدم عليه السلام وقصر المراد منه..." (بوشعرة، رحلة بوشعرة)، بل الأكثر من ذلك فهو يدعو القارئ المتلقي إلى الرجوع إلى المصدر التاريخي الذي يتناول موصوفاته من ذلك قوله: "انظر الجزء الأول من التاريخ المذكور ص٣٧ " وهذا يقودنا إلى الحديث عن عنصرين مهمين قام عليهما الوصف التاريخي عند بوشعرة إنهما: عنصري السند والاستطراد.

فالأول: رمى من خلاله تصحيح مجموعة من الأفكار التي كانت شائعة عن الموصوفات التي قدمها، سواء كان هذا السند شفاهيا أو مكتوبا من ذلك قوله عن صخرة بيت المقدس: ".. وذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن بني إسرائيل طويلة جدا أو أنهم قطعوها وبنوا عليها الكنيسة المسماة بغمامة" وقوله كذلك: "قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في الجزء الثامن في الصفحة ١١٧: وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعا في سبعة وعشرين، وتحت الصخرة مغارة تزار ويصلي فيها تسعمائة وستون نفسا. انتهى" .

الثاني: فقد سعى من خلاله الى تقديم معلومات إضافية لإغناء الموضوع من جهة ولإضفاء قيمة على الموصوف، تثير انتباه القارئ وتفتح شهيته لمتابعة هذه المعلومات المرتبطة بالموصوف من جهة أخرى. وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة نجدها حاضرة في عنصر السند الذي انبنى عليه الوصف عند بوشعرة، ألا وهو التوثيق، والحق أن الحاج بوشعرة كان أمينا إلى حد كبير فيما يخص المعلومات التي أوردها في استطراداته اعتمادا على مجموعة من المصادر المتنوعة(معجم البلدان، نفح الطيب، أخبار الدول وآثار الأول، مدونة مالك، المصباح المنير...) في حقول معرفية متعددة (التاريخ، الجغرافيا، اللغة، الأدب، الفقه، الفلك...) بما في ذلك مادة الرحلات، حيث نسبها إلى أصحابها ولم يغفل عن التصريح بذلك في كل معلومة كان يوردها، مما يبين أمانة الرجل العلمية بنسبة المعارف إلى مظانها. بالإضافة إلى ذلك وفضلا عن المشاهدات العينية، اعتمد بوشعرة في نقل معلوماته على ما سمعه من أخبار مشيرا إلى ذلك بعبارة " قيل لنا " على سبيل المثال ما ذكره بخصوص كرامة السيد محمد أيوب.

من جهة أخرى نجد الحاج بوشعرة بالرغم من ولعه بالاستطراد والاستشهاد، لم ينسق كليا مع ذلك بشكل يؤدي إلى التطويل والملل، وإنما كان يقتصر على ذكر الفائدة المرتبطة بصلب القضية المدعمة ببعض الحجج والأسانيد حاسما بذلك موضوع النقاش.

مجمل القول إن بوشعرة عمد جاهدا إلى توثيق رحلته بالعديد من المصادر التاريخية والجغرافية واللغوية والفقهية مما أكسبها ثراءا معرفيا لا يستهان به.

دراسة المضمون:

دوافع الرحلة

استهل الحاج محمد حجي بوشعرة رحلته بذكر الدوافع التي جعلته يشد الرحال نحو المشرق، وهي دوافع تمثلت أساسا في رغبته لأداء فريضة الحج وذلك بقوله: "الحمد لله الذي شرف عبيده باستدعائهم لمحل كرامته ووصولهم إلى حرم بيته فقال تعالى: ﴿و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفضل الخلائق أجمعين، سيدنا ومولانا محمد أشرف المخلوقين القائل: من زار قبري وجبت له شفاعتي، وعلى آله الأبرار و أصحابه الأكرمين الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فلما أنعم الله سبحانه وتعالى علي ووفقني في هذا العام لأداء فريضة الإسلام وزيارة قبر المصطفى خير الأنام عليه الصلاة والسلام وقوي عزمي على التوجه للديار الحجازية لأداء الفريضة المذكورة، اتخذت الوسائل القانونية..." (بوشعرة، رحلة بوشعرة).

إذن فرحلة بوشعرة انبنت على دافع أداء فريضة الحج وزيارة قبر خير الأنام غير أن هذه الغاية تحمل في طياتها أسبابا أخرى ظاهرية من وراء هذه الرحلة الحجية يتعلق الأمر بزيارة الأولياء والمزارات الدينية ولقاء العلماء ، وهي جميعها مبررات مقبولة للقيام بالرحلة. ومن هنا تأتي قيمة رحلة بوشعرة، باعتبار أن أي رحلة كيفما كان نوعها تستمد قيمتها من الدوافع التي تحرك صاحبها وإلا "أصبحت مجرد وظيفة يقوم بها إنسان– إن طوعا وإن كرها–.

أهمية مخطوط رحلة بوشعرة

انطلاقا من أهمية الرحلات الحجية المغربية في ربط الصلات الروحية والفكرية بين المغرب والمشرق من جهة وإسهامها في تسليط الضوء على جوانب من التاريخ الاجتماعي للمشرق من جهة أخرى، تأتي رحلة بوشعرة وثيقة تاريخية فهي تحمل في تفاصيلها، دلالات تنم عن عصر المؤلف نذكر من ذلك على سبيل المثال: ما ذكره بوشعرة من تعرضه للأذى وباقي الحجاج المغاربة وهو على متن السفينة الفرنسية، من طرف أحد الجنود الفرنسيين. ذلك يرمز إلى الظرفية التاريخية التي تمت خلالها رحلة بوشعرة وهي ظرفية تؤرخ لفترة مهمة من تاريخ

المغرب والمشرق على السواء تتمثل أساسا في توسع الحركة الإمبريالية وسيطرتها على العالم الإسلامي ومصدرا يسهم في التعريف بجوانب من حياة المجتمع الشرقي، بما فيها العادات والظواهر الاجتماعية(الخرافات- البدع...)، ومن هنا جاءت ملاحظات ومشاهدات الفقيه السلاوي دقيقة وصادقة وموضوعية إلى حد كبير، فضلا عن ذلك فالرحلة تزخر بطرائف ومعلومات تنم عن ثقافة إسلامية واسعة لصاحبها الذي أظهر اطلاعا كبيرا في العلوم الدينية (الفقه- الحديث- التصوف...) و الدنيوية (الفلك- الأدب- التاريخ – الجغرافيا...).

وتبرز أهمية هذه الرحلة كذلك، في أن صاحبها لم يكن مجرد رحالة عادي تستهويه الأسفار وتشده المسالك والطرقات أو مجرد مؤمن ورع يبتغي أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، ولكنه بالإضافة إلى كل ذلك، فقيه وميقاتي فضلا عن اطلاعه على علوم وفنون أخرى مثل سير الرجال وتراجمهم والتاريخ والجغرافيا والأدب، وهذا يتضح جليا من خلال المصادر التي يشير إليها ويستشهد بها بين الفينة والأخرى، وهو يدون رحلته فضلا عن الشخصيات العلمية التي التقى بها في المشرق واطلع مباشرة على إنتاجاتها الفكرية، واستنسخ بعض هاته الإنتاجات- في فترة من الفترات- بخطه الجميل. كما أن الظرفية التي تمت فيها رحلة الحاج بوشعرة، تبقى ظرفية حرجة تميزت بتوسع نشاط الحركة الامبريالية بالمغرب والمشرق على حد سواء، فصاحب الرحلة كانت ترافقه على متن الباخرة التي تقله، مجموعة من الجنود الفرنسيين المتوجهين نحو المشرق في مهمة استعمارية، مما يجعلنا نتبين أهمية الظرفية التي ارتحل فيها الحاج بوشعرة نحو الحجاز.

مجمل القول ان تقديمنا لرحلة بوشعرة، يعزى إلى قناعتنا بما ستقدمه من مساهمة جديدة في التعريف بمناحي عديدة من تاريخ المشرق، خاصة فيما يتعلق بتاريخ ذهنيات هذا الشق من العالم الإسلامي.

أهم القضايا الواردة في الرحلة:

١- الحركة الوهابية

- موقف الحاج بوشعرة من الحركة الوهابية (الأثري، الصفحات ١٤-١٥) .

إلى جانب القضايا التي عالجتها رحلة الحاج بوشعرة والتي كان فيها موقف هذا الرحالة واضحا وصادقا بغض النظر عن طبيعة موقفه، كانت هناك قضية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها تتجلى أساسا في موقفه من الحركة الوهابية (الحصين، ٢٠٠٠) . فقد اتهمها بالعبث لتدخلها

في المزارات والمشاهد الإسلامية بالحجاز، وهو موقف صارم وحاد بحيث أن القارئ لرحلة بوشعرة يستشعر ذلك العداء الكبير الذي يكنه صاحب الرحلة لتلك الحركة الإصلاحية السلفية التي لم يتورع عن وصفها بنعوت قدحية مجردا عنها كل إيجابياتها. ويبقى أن نتساءل عن سر هذا العداء الذي يكنه بوشعرة للحركة الوهابية؟ وما هي الأسباب وراء إصداره أحكاما سلبية بشأنها؟

في هذا الإطار نرى أنه من الضروري استحضار تكوين الفقيه بوشعرة الديني والفكري باعتباره فقيها ناسخا لمجموعة من المخطوطات الإسلامية القيمة، فهل يكون لذلك تأثير على وجهة نظره تجاه حركة محمد بن عبد الوهاب؟ بمعنى آخر أنه قد يكون تشبع بالفكر المناهض لهذه الحركة الإصلاحية السلفية التي تحرّم التوسل بالأولياء والصالحين والبناء على قبورهم وزيارتها وغيرها من الممارسات التي حرّمتها تماما الحركة الوهابية (سعد، ١٩٨١).

الحقيقة أن هذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولازالت تثير جدلا كبيرا حولها خاصة بعد انتشار أفكار دعوة محمد بن عبد الوهاب في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي وذلك رغم المعارضة الشديدة التي واجهتها. و إذا كانت بعض الآراء حول الحركة الوهابية أتت منصفة لها، فما الذي جعل الحاج بوشعرة يصب غضبه عليها وينتقدها بشدة، علما أن موقفه من الممارسات الدخيلة على العقيدة الاسلامية، يتوافق في جوانب عدة مع مبادئ هذه الدعوة الاصلاحية؟ فهو فقيه مالكي متشبث بالكتاب و السنة النبوية، و قد تجلى ذلك بوضوح في مرات عديدة نذكر منها على سبيل المثال: حرصه الشديد على مراعاة آداب الزيارة للمسجد النبوي و الحرم المكي (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة)، وموقفه من انتشار ظاهرة البدع التي عاينها بالمشرق.

لعل من أهم الأسباب التي جعلت صاحب الرحلة يصدر أحكاما سلبية تجاه الوهابيين، هي مسألة وقوفه على مجموعة من القبور والمزارات التي تدخلت الوهابية لتحطيم الأبنية عليها وفي هذا الصدد تتعدد النصوص التاريخية التي تشير الى إقدام الوهابيين على تحطيم كل المباني المشيدة على القبور و ذلك بعد دخول سعود مكة على رأس جيش مهم دون اسالة الدماء (BADIALEBLICH, 1814, p. 332)، لهذا نجده يتذمر عند زيارته للبقيع قائلا: "فزرنا بعض المشاهد والآثار الباقية بعد التحطيم، لأن جل القبور قد درست معالمها بالكلية، لما حل بالجميع من مد اليد العادية و التجرء الواقع من الدولة الوهابية" (بوشعرة م.، بدون تاريخ) مشيرا كذلك إلى أنه:

"قد مدت أيدي التعدي على قبور الجميع" بما في ذلك قبر أم المؤمنين: سيدتنا خديجة رضي الله عنها. أما الدكتور محمد سعد الشويعر في مؤلفه المذكور، فيشير بأن "القباب المبنية على القبور في مكة هدمت أيام الشريف عون الرفيق، ما عدا قبر السيدة خديجة" (الشويعر، ٢٠٠٠) الذي "حل به ما حل بغيره .

هكذا إذن نتبين أن مجموعة من القبور والمزارات التي تمثل قدسية كبيرة في نفوس المسلمين والتي كان السيد بوشعرة متعطشا لزيارتها، تدخلت فيها اليد الوهابية التي رأت أن تعلق المسلمين بتلك القبور، شيء لا ينفع و لا يضر وإنما هو تبرك بأحجار جامدة شركا وجرأة على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره (العثيمن، ١٩٨٦)، في حين كان منظور الحاج بوشعرة و جل العلماء المغاربة يختلف كل الاختلاف مع الرؤية الوهابية التي اعتبروها "فرقة شوشت على عامة المسلمين عقائدهم" (بنكيران، الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية، ١٩٢٧) كما رأوا في أن التوسل بالأنبياء والصالحين لا يعتبر شركا (بنكيران، التعلق و التوسل بالانبياء و الصالحين) لأن المستغيث بهم يدرك أن الله وحده هو الذي يقبل الدعاء أو يرده. وقد تطرق إلى هذه المسألة بنوع من التفصيل، العلامة الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن مصطفى الحسني متهما الوهابيين بعدم معرفتهم بالنصوص الشرعية واستخدامها في غير محلها (الحسني، ١٩٢٧)، من ذلك قولهم بعدم وجوب الدعاء لغير الله تعالى مصداقا لقوله: ﴿فلا تدعو مع الله أحدا﴾. وهو أمر اعتبرته النخبة المغربية من الخطأ البين الدال على جهل الوهابيين، لتنزيلهم كلام الله في غير محله لأن الدعاء في هذه الآية الكريمة نزل بمعنى العبادة لا بمعنى الرغبة فيما عند غير الله والابتهال إليه بالسؤال، أي "فلا تعبدوا معه غيره لا استقلالا ولا اشتراكا بالركوع والسجود أو اعتقاد أن لغيره تعالى مثل ماله من الاختراعات (الوزاني، بدون تاريخ). خاصة وأن المتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو الوالي لا يعتقد بذلك وإنما يعتقد التوسط به والشفاعة منه في قضاء ما يطلبه ويرجو من الخالق "وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يجهله إلا قريب عهد بالإسلام، فكيف يفتي بنقيضه من هو من الأئمة الأعلام؟" (بنكيران، الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية، ١٩٢٧). فمن جعل التوسل المذكور من قبيل الإشراك "لم يرزق ذرة من الإدراك وهذا معنى لائح لأولي النهي والتباسه كالتباس الشمس بالشهاب" (بوشعرة م.، رحلة بوشعرة كتاب مخطوط، بدون تاريخ) (الوزاني، بدون تاريخ).

كانت تلك إذن رؤية العلماء المغاربة تجاه مسألة التوحيد والتوسل والتي كما يظهر، أتت معارضة تماما للرؤية الوهابية بل الأكثر من ذلك اتهم الفقهاء المغاربة الوهابيين بعجزهم في استنطاق النصوص وشرحها، مدعمين اتهامهم هذا بحجج من سيرة النبي والصحابة.

و إذا كان الطرف الوهابي يرى أن التقرب إلى الأولياء والبناء على قبورهم والذبح عندها هو مظهر من مظاهر الجاهلية (الشبل، ١٩٧٨)، فإن النخبة المغربية أوردت العديد من الأدلة التي تجيز بناء القباب على قبور الصالحين وتعليق ستور الحرير وغيره وإيقاد المصابيح ونحوه، معتبرة أن ذلك فيه تعظيم لحرمات الله واجتلاب مصلحة عباده لانتفاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر، وهو ما يساعد على المحافظة على قبور الصلحاء وعدم اندراسها، كما اندرست من قبل قبور الشهداء و الأولياء والعلماء لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمور أصحابها (بنكيران، الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية، ١٩٢٧) (بوشعرة، رحلة بوشعرة)، وهذا ما أكده الحاج بوشعرة بعد زيارته للبقيع حيث صرح بأن قبور بعض الشهداء و الصحابة، ظلت مجهولة داخل البقيع و لهذا " لا يمكن لأحد من المزورين أن يحاط علمه بجميع قبور أهل البقيع لكثرتهم و عدم معرفة مشاهدهم لاندثارها و ذهاب أثرها و لم يبق ظاهرا منها إلا القليل وهو المعروف عند المزورين" (بوشعرة، رحلة بوشعرة).

تبعا لذلك و انطلاقا مما سبق، نفهم موقف الحاج بوشعرة الذي لم يزغ عن ذلك النهج الذي سلكه من قبله أسلافه (الفقهاء)، ومعهم العامة من المغاربة تجاه المذهب الوهابي. لذلك نجده – وكما أشرنا سابقا– أثناء زيارته للمشاهد المقدسة سواء بمكة أو بالمدنية، ينسب اندثار آثارها لليد الوهابية " العادية " (بوشعرة، رحلة بوشعرة)، فكان من البديهي أن يتأثر هذا الرحالة المغربي بهدم أضرحة الحجاز و هو المنتمي للمذهب المالكي السني الذي يعد أتباعه الأكثر تعلقا بحب الرسول صلى الله عليه و سلم و آل بيته و صحابته الكرام. إذا أخذنا كل هذه الحيثيات بعين الاعتبار، استطعنا أن نفهم ذلك الانتقاد اللاذع الذي وجهه الحاج بوشعرة للحركة الوهابية، وهو موقف الكثير من المسلمين في مغارب الأرض و مشارقها. فإذا كانت نفوس الأشخاص الحديثي عهد بالإسلام، قد تأثرت بهدم تلك المآثر والقبب – كما هو الحال للحاج ناصر الدين ألفونس– فكيف هو الحال إذن بباقي المسلمين الذين طالما حلموا بزيارة آثار أولئك الرجال الذين أثروا في التاريخ الإسلامي بل في الإنسانية جمعاء، فهز الشوق أعطافهم واكتووا

بلظى العشق المحمدي ولم يجدوا سبيلا، إلا شد الرحال إلى مهبط الرسالة لأداء الفريضة والزيارة.

خلاصة القول إن القارئ لرحلة بوشعرة يجدها رحلة غنية متميزة وأهم ما يميزها:

- الطابع الجمالي:

وهو ما نلمسه في عدة جوانب تنم عن ذوق مؤلفها و رهافة إحساسه باعتبار أن ذوق الرحال المهذب هو الذي يحدد كون الشيء جميلا من عدمه حتى لو كان ذلك موضع خلاف مع الآخر. ثم إن إحساس بوشعرة بجمال البلدان التي أعجب بها، يدل على أن حواسه- و هو يلاحظ ويصف- كانت مستنفرة وعلى أهبة لتلقي ما كان جميلا و أخاذا، و هذا الاستعداد لرؤية وتذوق الجمال، لاشك أنه انعكس على سمو روحه و من هنا كان وصفه الحقيقي ورؤيته الموضوعية لمختلف القضايا و الأمور.

- الطابع النقدي :

يتضح من خلال تفاصيل الرحلة أ نها لم تكن مجرد سرد وصفي لأحداثها بل أوضحت أن بوشعرة يمتلك روحا ناقدة بصيرة، نستطيع أن نقول عنها أنها موضوعية فهو لا يكتفي بالمشاهدة والوصف ولكنه يتعداهما إلى التفسير والنقد كمحاولة منه للإصلاح بطريقته الخاصة، وحسب قناعته الفكرية، ولعل هذا ما يفسر عدم اهتمامه كثيرا بالصنعة اللغوية المتمثلة في الإفراط في استعمال أنواع المحسنات البديعية.

- الطابع الروحي:

توضح صفحات عديدة في الرحلة أن الحاج بوشعرة كان حريصا على زيارة الأضرحة و الزوايا والمشاهد الدينية، و لا غرو في ذلك، فهو فقيه متشبع بثقافة دينية عميقة تبجل الأولياء وتعظمهم، لهذا لا نستغرب من حملته التي قادها ضد الحركة الوهابية. كما اتسمت الرحلة بتقديم معطيات هامة عن مستوى الثقافة والقيم و الذهنية العامة في بعض المجتمعات العربية الإسلامية، مما يسعف الباحث في تاريخ هذه الجوانب، في تتبع مراحل التطور الحاصل فيها و رصد موقف فقيه سني من كرامات الأولياء و ما لحقت بها من معتقدات شعبية خرافية.

من جهة أخرى اقتصر الحديث عن المشرق في رحلة الحاج بوشعرة، على ذكر بلاد الشام (سوريا- لبنان) و فلسطين و الحجاز مركزا على هذا الأخير، خاصة فيما يتعلق بأماكن إقامة الشعائر الدينية في مكة و المدينة، بينما لم تنل مصر حظا يذكر من الاهتمام لأن صاحب

الرحلة منع مع باقي الحجاج المغاربة من النزول بالموانئ المصرية. و هذا ما يفسر عدم تطرق بوشعرة لوصف مزاراتها وإبداء ملاحظاته الشخصية عن الأحوال بها، ليقتصر على وصف مشاهداته في كل من لبنان وسوريا و فلسطين ثم الحجاز الذي استأثر بالنصيب الأوفر من الرحلة، سواء من حيث مدة الإقامة به التي دامت حوالي شهرا وإحدى عشر يوما (٤١ يوم) أو من حيث الاهتمام بالحديث عنها في متن الرحلة حيث خصص لها ما يقرب من (٦٢ ورقة)، بينما خصص لزيارته لبيروت ٥ ورقات و لدمشق ٧ ورقات و أزيد من (٩ ورقات) لمشاهداته بالقدس.

وما دمنا نتحدث عن المشرق العربي في رحلة الحاج بوشعرة، نلفت الانتباه إلى أن الرحلة تضمنت عدة إشارات إلى الوجود المغربي بالشرق، هذا الوجود الذي مثل ظاهرة مضيئة في تاريخ العلاقات المغربية المشرقية التي كان للمغاربة الفضل في توطيدها حتى في زمن التفكك السياسي و الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، دليلنا في ذلك هو هذه الرحلة التي بين أيدينا و التي ارتحل صاحبها و العالم الإسلامي يعيش أحلك فترة من تاريخه، و مع ذلك فقد أصر على السفر إلى المشرق و اللقاء بأحد أبرز علمائه وهو السيد النبهاني.

هكذا يحدثنا السيد بوشعرة عن شخصيات مغربية مستقرة بالمشرق لها أدوار مهمة و مختلفة في المجتمع الشرقي، من ذلك حديثه عن السمسارين المغربيين المستقرين ببيروت و هما: الحاج أحمد الطيب المغربي وشريكه الحاج إبراهيم الكنوني المغربي، مهمتهما نقل الحجاج وتدبير أمورهم. والسيد أحمد المهني المغربي صاحب فندق بيروت الذي نزل به صاحب الرحلة، فضلا عن شخصية مغربية أخرى تمتلك فندقا بالقرب من الحرم النبوي إنه السيد: بوعزة البيضاوي.

على مستوى آخر، يمكن القول إن رحلة بوشعرة، مع ما تضمنته من قضايا فقهية واجتماعية وروحانية، تطلعنا عن شخصية صاحبها أكثر مما تخبرنا عن المشاهد والمزارات والمآثر الدينية والتاريخية، إنها رحلة تسلط الضوء على شخصية هذا الرجل ومرجعيته الدينية، الأمر الذي يفسر لنا تلك الحرب الكلامية التي شنها على الحركة الوهابية.

كما تبين الرحلة ذلك الأسى و الشجن تجاه الواقع الذي أصبحت تعرفه الأمة الإسلامية، و هو واقع التخلف عما كان عليه حال الإسلام في العصور الزاهية للحضارة العربية الإسلامية.

هذا يبين لنا أن بوشعرة لم يقتصر على تحقيق وتقديم عنصري الإمتاع و المعرفة من خلال تدوين مشاهداته، و إنما عمد كذلك إلى إبراز عنصر ذي أهمية قصوى ألا وهو تقريب القارئ من صورة واقع المجتمع العربي الإسلامي، ذلك الواقع الذي وقف عليه عن كتب والمتمثل في الكثير من الظواهر التي عايشها و التي تنم عن التراجع الحضاري و الفكري للأمة، كانتشار الخرافة و الجهل مثل ما لاحظه وشاهده أثناء زيارته لعدد من أضرحة الشام ووقوفه على سلب القيمين عليها لأموال الحجاج والزائرين.

ويتكرر هذا المشهد الذي يرمز إلى الوضعية التي أضحى عليها المجتمع الإسلامي حين يخبرنا السيد بوشعرة عما دار بينه و بين العالم اللبناني: يوسف النبهاني بعد زيارته له بمنزله ببيروت. من هنا يتبين لنا أن التقهقر الفكري و الانكماش الحضاري أصبح لسان حال المجتمع الإسلامي مفسحا المجال للشعوذة و الخرافة التي لم تسلم منها حتى أرض الوحي و الرسالة.

أخيراً يمكننا القول ان الحاج بوشعرة السلاوي، يمثل ذلك المغربي المسلم الصلب في دينه الملتزم بمذهبه، الممتلك لحس نقدي مدافع عن المثل التي يحملها. و هي مثل عكست شخصية الرجل و حمولته الدينية و الفكرية، التي ظهرت جلية في مجموعة من المواقف كان فيها حازما و منافحا عن الآداب العامة و التعاليم الاسلامية، الأمر الذي يفسر لنا انتقاده اللاذع لأحوال الحجاز. وهو بذلك لم يقصد التشنيع و التشهير، و إنما لفت أنظار المسؤولين لتحسين الأحوال و توعية الحجاج بأهمية التأدب في تلك البقاع المقدسة. فالحاج بوشعرة كباقي المسلمين بأنحاء المعمور، يحب الخير كله للبلاد المقدسة و يتمنى أن تكون أرقى بلاد العالم لأنها مصدر الإسلام و العروبة، و أنظارنا و أفئدتنا كلها متجهة إليها إذ هي مصدر المجد الإسلامي الذي نفتخر به.

لائحة المصادر والمراجع:

أولاً – المصادر العربية:

١. الكتاني م .ب .(2005) . الرحلة السامية الى الاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، ط١، بيروت : دار ابن حزم.

٢. المنوني. (بلا تاريخ). مسرد لواقع المخطوط من الرحلات المغربية الحجية. مؤسسة الملك عبد العزيز.

٣. المهدي بن سيدي محمد الوزاني. (بدون تاريخ). النصح الخالص لكافة المسلمين بالتوسل اليه بأصفيائه المقربين. مكتبة القرويين بفاس: كتاب مخطوط.

٤. سعد الشويعر. (٢٠٠٠). تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية (الإصدار ط٤). الرياض: دار الحبيب.

٥. سعيد بنسعيد العلوي.(بدون تاريخ). أوربا في مراة الرحلة. الدارالبيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

٦. عبد الصالح العثيمن. (١٩٨٦). الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره (الإصدار ط٢). الرياض: دار العلوم.

٧. محمد بهجت الأثري. (بلا تاريخ). محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد و التجديد في العصر الحديث (الإصدار ٢٠٠٥). جامعة الامام محمد بن سعود.

٨. محمد بوشعرة. (بلا تاريخ). رحلة بوشعرة.

٩. محمد حجي. (١٩٩٢). معلمة المغرب (المجلد ٥). سلا: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

١٠. مصطفى الغاشي. (٢٠٠٠). صورة المشرق من خلال المعارج المرقية في الرحلة المشرقية للرافعي. مجلة التاريخ العربي، ٩٢.

١١. مصطفى محمد سعد. (١٩٨١). أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الاصلاحية في غرب افريقيا. ٢١٠.

١٢. عبد الله بن يوسف الشبل. (١٩٧٨). دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مجلة الدارة(عدد٤).

١٣. ابو عبد الله سيدي مجمد بن مصطفى الحسني. (١٩٢٧). اظهار العقوق في الرد على من منع التوسل (الإصدار ط١). مصر: مطبعة التقدم العلمية.

١٤. أحمد بن عبد العزيز الحصين. (٢٠٠٠). الحركة الاصلاحية الوهابية. الرياض: منشورات مؤسسة عبد العزيز.

١٥. عواطف محمد يوسف نواب. (١٩٩٦). الرحلات المغربية و الأندلسية . الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٦. محمد الطيب بنكيران. (١٩٢٧). الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية (الإصدار ط١). مصر: مطبعة التقدم العلمية.

١٧. محمد الطيب بنكيران. (١٩٢٧). الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية. مصر: مطبعة التقدم العلمية.

١٨. محمد الطيب بنكيران. (بلا تاريخ). التعلق والتوسل بالانبياء والصالحين.

١٩. محمد الفاسي. (بلا تاريخ). نشأة الدولة المرينية. مجلة البينة، ١٢.

٢٠. محمد المنوني. (١٩٨٩). المصادر العربية لتاريخ المغرب. الرباط: كلية الاداب والعلوم الانسانية.

٢١. محمد المنوني. (دون تاريخ). مسرد لواقع المخطوط من الرحلات المغربية الحجازية. دون مكان: مؤسسة الملك عبد العزيز.

٢٢. محمد بن جعفر بن دريس الكتاني. (٢٠٠٥). الرحلة السامية الى الاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية (الإصدار ٢٠٠٥). دار بن حزم.

ثانياً – المراجع الأجنبية:

23. –BADIALEBLICH, D. (1814). VOYAGE D'ALI BEY EL ABASSI EN AFRIQUE ET EN ASIE PENDANT LES ANNée 1803_1804_1805_1806_1807 (éd. 1, Vol. 2). PARIS: ATLAS DIDEL.

ذي جبلة حاضرة الدولة الصليحية في اليمن (النشأة والاختطاط) دراسة آثارية

د. سامي شرف محمد غالب الشهاب

الهيئة العامة للآثار والمتاحف – جامعة الملكة أروى– صنعاء – الجمهورية اليمنية.

الاستلام: ٣٠/ ١/ ٢٠٢٤
قبول النشر: ٢٠/ ٢/ ٢٠٢٤

الايميل:
alshehabsami91@gmail.com

الملخص:

تناقش هذه الدراسة تاريخ مدينة ذي جبلة عاصمة الدولة الصليحية في اليمن خلال القرن الخامس والسادس للهجرة، مع التركيز على الجانب الاستراتيجي للمدينة وشروط اختطاطها، مع ذكر أهم الآثار الإسلامية الموجودة فيها ، والتركيز على دار العز مقر الدولة ومستقر الحاكم في ذي جبلة، حيث تقدم هذه الدراسة وصفاً معمارياً لتخطيط المبنى الإداري من دار العز، والذي خضع لعمليات توثيق وتنقيب أثري أشرف الباحث عليها خلال الأعوام من ٢٠٠٨– ٢٠١١م.

الكلمات المفتاحية:

ذي جبلة، اليمن، دار العز، دراسة أثارية.

Title:
Dhi Jablah, the capital of the Sulayhid state in Yemen (origin and planning) Archaeological study

Received: 30/ 1/ 2024

Accepted: 20/ 2/ 2024

Email:
alshehabsami91@gmail.com

Abstract:
This study discusses the history of the city of Dhi Jablah, the capital of the Sulayhid state in Yemen during the fifth and sixth centuries AH, with a focus on the strategic aspect of the city and the conditions for its planning, with mention of the most important Islamic monuments in it, and a focus on Dar al-Ezz, the seat of the state and the residence of the ruler in Dhi Jablah, as this study provides an architectural description of the planing of the administrative building of Dar al-Ezz, which was subjected to documentation and archaeological excavation operations supervised by the researcher during the years 2008: 2011 AD

Keywords:

Dhi Jablah, Yemen, Dar Al- Ezz, an archaeological study.

مقدمة تاريخية:

شهدت اليمن في القرن الخامس الهجري انقساماً سياسياً حاداً، أدى إلى تجزئة البلاد إلى وحدات سياسية متعددة تحكمها زعامات قبلية مختلفة أهمها: قبائل حمير في اليمن الأسفل والتي كانت تخضع لحكام تهامة باعتبارهم ممثلين للخلافة العباسية ، وقبائل همدان والزيدية في اليمن الأعلى ، وفي ظل هذا التشرذم والتشظي السياسي والتعدد المذهبي ظهرت شخصية يمنية سنية الأصل شيعية المذهب، يدعى علي بن محمد الصليحي معلناً قيام دولة جديدة في اليمن من قمة جبل مسار بحراز في الشمال الغربي من صنعاء عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، تسمى الدولة الصليحية وتدين بالولاء الرسمي للدولة الفاطمية في مصر، ودعى للمستنصر معد بن الظاهر العبيدي، وقد تمكن من السيطرة على صنعاء عام ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م (ابن الديبع١٩٨٣: ٥٥٠؛ ابن الديبع ١٩٨٨: ١٧٤-١٧٥؛ السروري ٢٠٠٤: ٢٣-٢٧؛ العمري ٢٠١٤: ٦٠)، ودانت له اليمن في فترة وجيزة حيث لم تمض سنة ٤٥٥هـ إلا وقد ملك من مكة إلى حضرموت واتخذ من صنعاء مقراً له، وفي عام ٤٥٩هـ، قرر الحج فاستخلف ابنه المكرم على المُلك وقتل في رحلته تلك في منطقة المهجم على يد سعيد الأحول النجاحي (عمارة ١٩٨٥: ٩٩ ؛ الزبيدي ١٩٨٨ :١٧٨-١٨٢ ؛ السروري ٢٠٠٤ : ٥٣)، وفي العام التالي لمقتله ٤٦٠هـ تمكن المكرم أحمد بن علي من الانتقام من قتلت أبيه وفك أسر أمه أسماء بنت شهاب واستعاد زبيد ، وفي العام ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م، تزوج المكرم من السيدة بنت أحمد التي لم تلبث أن أصبحت صاحبة السلطة بعد مرض زوجها المكرم بالفالج، وقد قررت السيدة نقل العاصمة من صنعاء التي تعرضت للأخطار بسبب القتال بين الصليحيين وبين الاشراف آل القاسم بن علي العياني والأئمة الزيدية بعد أن تمكن الصليحيون من استعادة العاصمة صنعاء عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م (الخزرجي ١٩٨١: ٦٢؛ عمارة ١٩٨٥م: ١١٤،١١٥؛ العرشي د ت: ٢٦؛ الهمداني ١٩٨٦: ١٣٦؛ ابن الديبع ١٩٨٨م: ١٨٨؛ العمري ٢٠١٤: ٦٠ ؛ السروري ٢٠٠٤: ١٠١) .

وقد قامت السيدة بتدبير أمور المملكة حتى وفاة زوجها المكرم سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، الذي أوصى بإسناد أمر الدعوة الإسماعيلية إلى ابن عمه الداعي سبأ بن أحمد الصليحي الذي تقدم لخطبة السيدة فكرهت منه ذلك (ابن الديبع ١٩٨٨: ١٩١؛ ١٩٨٣: ٥٩).

لقد رأت السيدة في إسناد أمر الدعوة إلى الداعي سبأ مخالفة لقواعد الدعوة الإسماعيلية التي تقضي بتوريث الحكم والدعوة للأبناء بعد الآباء؛ لذلك كاتبت الخليفة المستنصر مطالبة

بتقليد ابنها أمور الدعوة والحكم فكان لها ذلك، وأرسل المستنصر ثلاثة سجلات هي (السجل رقم ١٤ والسجل رقم ٤٨ والسجل رقم ٤٦) سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، قضت بتولي علي ابن المكرم أمور الدعوة والحكم في اليمن ؛ الأمر الذي أثار حفيظة سبأ بن أحمد الصليحي؛ وأدى إلى انقسام انصار الدولة إلى قسمين : هم آل الصليحي بقيادة سبأ بن أحمد، وآل الزواحي بقيادة سليمان بن عامر الزواحي والسيدة الحرة، فدار صراع بين الطرفين منذ نهاية عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م حتى بداية ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، انتهى بقبول السيدة الحرة الزواج من سبأ بن أحمد الصليحي أواخر سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٧م، بعد أن حصل الأخير على مباركة وموافقة المستنصر بالله العبيدي؛ الذي بدوره أرسل كتابه للسيدة يأمرها بالزواج من الداعي سبأ الصليحي (ابن الديبع ١٩٨٨: ١٩١؛ السروري ٢٠٠٤: ١٣١-١٣٣).

من نتائج هذا الزواج الذي ذكره الجندي وابن الديبع (١٩٨٨: ١٩١- ١٩٢)؛ قبول الداعي سبأ الصليحي بإسناد أمر الدعوة والحكم في اليمن لعلي بن المكرم، خاصة بعد صدور التوجيهات من المستنصر للزواحيين والصليحيين وأنصار الدعوة في اليمن بطاعة ومناصرة علي بن المكرم وذلك وفق ما ورد في السجل رقم ٣٧ المؤرخ بشهر ربيع الأول عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م، ويفهم من هذا السجل تفويض المستنصر للسيدة في إدارة الأمور؛ نظراً لصغر سن ابنها علي (السروري ٢٠٠٤: ١٣٥- ١٣٨)، وقد ظلت السيدة تحكم اليمن لأكثر من خمسين عاماً حتى وافاها الأجل في غرة شعبان من سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م (السروري ٢٠٠٤: ١٦٥٩). وبعد وفاتها آلت أمور الدولة الصليحية إلى الداعي الملك المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري أحد أعيان السيدة آنذاك، والذي عجز عن حماية الحصون والمدن وإبقائها تحت سيطرته؛ فأقدم على بيع عدداً منها للداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي بمائة ألف دينار وذلك سنة ٥٤٧هـ، ومن تلك الحصون والمدائن مدينة ذي جبلة وحصن التعكر وحب والجند ونواحيها (عمارة، ١٩٨٥ :١٥٠، ١٥١؛ الجندي١٩٩٥: ٥٠٠.٥٠٣؛ ابن الديبع ١٩٨٨: ١٩٩-٢٠٢). ثم أقدم على طلاق زوجته الأميرة أروى بنت علي بن عبدالله الصليحي ، وترك مدينة ذي جبلة واتجه نحو حصن صبر وتعز، فصعد الداعي محمد بن سبأ إلى ذي جبلة وسكن بها وتزوج الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله الصليحي بعد طلاق زوجها منصور لها، وكانت مقيمة آنذاك في قصر الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي (الهمداني ١٩٨٦ :٢٠٩، ٢٤١)؛ لتؤول بعد هذا الزواج حصون آل الصليحي وذخائرهم وما ورثته الأميرة إلى الداعي محمد بن سبأ،

ثم إلى ابنه عمران من بعده الذي مات سنة ٥٦٠هـ ، لينتقل ملك اليمن من بعده بما فيه حصن التعكر وأمواله ومدينة ذي جبلة إلى عبد النبي بن مهدي (عمارة،١٩٨٥ : ١٥٣ ، ١٨٩).

السيدة بنت أحمد :

لا يزال الغموض يكتنف اسم هذه الشخصية الفذة؛ خاصة وأن الكثير من المصادر ذكرتها باسم سيدة بنت أحمد الصليحي (ابن الديبع ١٩٨٣: ٦٠؛ ١٩٨٨: ١٨٦)؛ عدا مصدرين بحسب ما نقله السروري هما صاحب عيون الأخبار، والوصابي صاحب تاريخ وصاب ، واللذان ذكرا بأنها، أروى بنت أحمد الصليحي، ومن خلال العودة إلى السجلات المستنصرية ذات العلاقة خلص السروري إلى أن السجلات لم تذكر اسمها الحقيقي وإنما نعتتها بالسيدة والحرة والملكة ، ويُرجح أن اسمها أروي ويستشهد على ذلك بما رواه إدريس على لسانها أنها قالت : انا أروى ابنة أحمد، بالأمس ولي عهد المسلمين واليوم أمير المؤمنين (السروري ٢٠٠٤: ١٢١-١٢٣). غير أن المصادر على اختلافها تكاد تجمع على أن اسمها هو سيدة بنت أحمد ، فعمارة الذي عاصر عهدها يقول : " اسمها سيدة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي ، وأمها الرداح بنت الفارع بن موسى " كان مولدها عام ٤٤٠هـ " (عمارة ١٩٨٥: ١١٣)، ويذكر العمري أن هناك إجماع عند المؤرخين على أن اسمها سيدة بنت أحمد، بمن فيهم المؤرخون الإسماعيليون وأبرزهم إدريس عماد الدين الذي يقول بذلك ويستند إلى نص وصيتها التي تقول في مستهلها : " هذا ما أوصت به .. سيدة ابنت أحمد " (العمري وسالم ٢٠٠٢: ٢٦٤ مج ١)، وهنا نجد تعارض في الرواية المنسوبة لإدريس لدى كل من العمري والسروري، الجدير بالذكر أن لقب الحرة من الالقاب المعمول بها في اليمن إلى يوم الناس هذا حيث يسبق اللقب اسم المرأة المدون اسمها في الوثائق وفي هذا قرينة يمكن الاستدلال بها وترجيح أن الاسم الفعلي للملكة الصليحية هو سيدة بنت أحمد والتي تولت أسماء بنت شهاب تأديبها وتهذيبها ... وصفها عمارة (١٩٨٥: ١١٣) بأنها حمراء مديدة القامة معتدلة البدن وإلى السِمن أقرب، كاملة المحاسن جهورية الصوت قارئة كاتبة تحفظ الأشعار والأخبار عارفة بالتواريخ والأنساب وأيام العرب، وزاد ابن الديبع (١٩٨٨ : ١٨٧) على ما أورد عمارة بقوله " وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها، تزوجها المكرم عام ٤٦١هـ .

أسباب نقل العاصمة من صنعاء إلى ذي جبلة:

كانت هناك عدة أسباب موضوعية أدت إلى اتخاذ قرار نقل العاصمة الصليحية من صنعاء إلى ذي جبلة، ولعل من أهمها إصابة الملك المكرم بمرض الفالج، بالإضافة إلى الأخطار التي أحدقت بالعاصمة بسبب القتال الذي نشب ين الصليحيون من جهة وبين الأئمة الزيدية والأشرف آل قاسم العياني من جهة أخرى؛ وقد وقع اختيار السيدة على مدينة ذي جبلة لتكون عاصمة للدولة لأسباب كثيرة تتعلق بالأمان واستراتيجية المكان، فضلاً عن الحاضنة الشعبية التي كانت واحدة من العوامل الرئيسية والتي تحدث عنها عمارة (عمارة ١٩٨٥: ١١٦). فذي جبلة الواقعة فلكياً بين دائرتي عرض (13.75°–14.5°) شمالاً، وبين خطي طول (43.56° –44.75°) شرقاً (الحكيمي ٢٠١١: ٣٧) مدينة كبيرة تستند إلى حصن التعكر الذي اشتهر بمنعته (الإدريسي ١٩٩٩ :١٢).

تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة إب على بعد ٧كم تقريباً (شكل ١)، وترتفع حوالي ٢٠٠٠م عن مستوى سطح البحر، ولها موقع متوسط بين مدينتي عدن من الجنوب ومدينة صنعاء من الشمال (المغربي ١٩٨٩: ١٢؛ Swanson,1997:26).

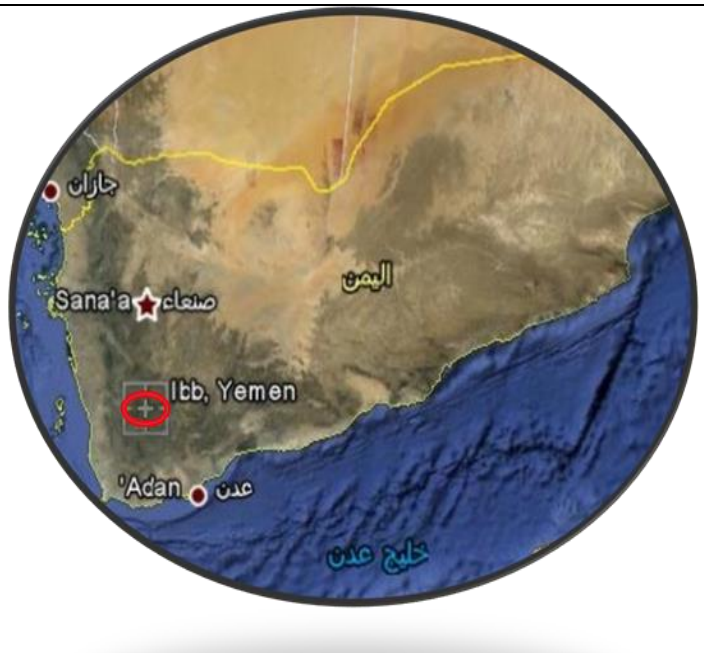

شكل ١– خارطة الجمهورية اليمنية محدد عليها موقع مدينة إب

حيث تقوم هذه المدينة على هضبة صخرية غير منتظمة الشكل محورها الطويل يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة قدرها ٦٠٠م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب يقدر بحوالي ٢٥٠. ٣٠٠م، وتتكون الهضبة من سبع روابي من ضمنها الروابي الغربية من مدينة جبلة الحالية التي كانت تمثل المدينة القديمة وموقع دار العز (الشهاب وآخرون ٢٠١٢: ١). وهي إحدى مديريات محافظة إب تتكون من ١٤ عزلة تشتمل كل واحدة منها على عدد من القرى والمزارع (العمري ٢٠١٤: ١٠٧)، وتمتاز بطيب هواها وخصوبة أرضها (العروسي ٢٠٠٢: ٨٥٤مج ٢)، وتهطل عليها الأمطار بغزارة في فصل الصيف شأنها شأن باقي مناطق محافظة إب المعروفة بميزاب اليمن الكبير المدرار حيث تبلغ نسبة الأمطار الساقطة عليها سنوياً حوالي ١٠٠٠مم (الحكيمي ٢٠١١: ٣٨). شكل ٢.

شكل٢ منظر عام من الشرق لذي جبلة يظهر فيها جامع السيدة ومنارة جامع السنة.

ذي جبلة في المصادر التاريخية

أسهب المؤرخون في وصف ذي جبلة وطبيعتها الخلابة، وصور ذلك الوصف إلى حدٍ بعيد جزءاً كبيراً من طبوغرافية المكان وبيئته القديمة؛ فقد وصفت بانها مدينة تقع بين نهرين جاريين في الشتاء والصيف (عمارة ١٩٨٥ :١١٤)، وهذان النهران اليوم هما مسيلين للمياه، مسيل جنوبي يعرف باسم سائلة الوقش، ومسيل شمالي يسمى سائلة حديد (الحكيمي ٢٠١١: ٤٧) وهما ناضبان تماماً يتجدد جريانهما كل عام في موسم سقوط الأمطار. وفيها يقول الشاعر عبد الله بن يعلي الصليحي:

هب النسيم فبت كالحيران شوقاً الى الآهلين والخلان.

ما مصر ما تبريز ما طبرية بمدينة قد حفها نهران.

خدد لها شام وحبٌ مشرقٍ والتعكر العالي المنيف يمان (العروسي ٢٠٠٢: ٨٥٤ مج٢؛ ا ابن سعيد، ١٩٨٩: ١٢)، ووصفها ابن سعيد المغربي (١٩٨٩: ١٢) بقوله: "وبين صنعاء وعدن مدينة ذي جبلة التي بناها الصليحيون، وهي على نهرين ينزل أحدهما من جبل المذيخرة العالي الذي يمر بجنوب غرب جبلة ليمتزج بالنهر الآخر ويصبان في شرقي إبين".. ووصفها ياقوت الحموي (١٩٧٩ :١٠٦) بأنها من أحسن مدن اليمن وأنزهها وأطيبها، ووصفها (ابن بطوطة، ٢٠٠٠م) بقوله: " وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار " وأورد الجندي (١٩٩٣، ١٩٩٥، ج١، ج٢) عند وصفه مدينة جبلة أسماء بعض القرى والبلدات والحصون المحيطة بمدينة ذي جبلة، وأورد عنها بعض المعلومات التاريخية والجغرافية.. أما المؤرخ الحسن الخزرجي (١٩٨١ :١٩٨٣؛٦٢م ج١، ج٢) فقد أورد ما ذكر عن اختطاطها ما ورد لدى المؤرخين السابقين، وذلك ضمن حديثه عن الدولة الصليحية، إلى جانب استعراضه لبعض الأحداث والأخبار المتعلقة بالفقهاء والعلماء والحكام الذين سكنوا مدينة جبلة وما حولها من أعمال. كما اقتصر وصفها عند ابن الديبع (١٩٨٨ :١٨٧؛ ١٩٨٣م:٦٠) على ما جاء لدى سابقيه من المؤرخين .

وكانت مدينة ذي جبلة إحدى المدن الجبلية التي مر بها نيبور في رحلته إلى اليمن عام ١٧٦٢م، ووصفها بقوله "وهي تقع على واد ضيق وعميق، متخذة شكلاً نصف دائري بمحاذاة الوادي، يصل امتدادها في الطول إلى نحو خمسمائة خطوة مزدوجة، أما عرضها فيبدو ضيقاً "،

كما ذكر أن المدينة كانت مرصوفة بالأحجار، وأن بيوتها عالية، ومبنية بالأحجار ، وأنها ذات منظر جميل، وأنه لا يوجد حول المدينة سور، ولم يشاهد بها قلعة (الصائدي١٩٩٠: ٢٢٤) .

ذي جبلة النشأة والاختطاط

بعيداً عن الرواية التاريخية ذات النفس الأسطوري والتي تنسب ذي جبلة إلى تاجر يهودي كان يبيع الفخار في المدينة (عمارة ١٩٨٥: ١١٤) فإنه من غير المعلوم وضع مدينة ذي جبلة قبل العهد الصليحي، وهو الأمر الذي سكتت عنه المصادر التاريخية الإسلامية، غير أن طبيعة المكان ودلالة التسمية تشير إلى أن المكان كان موجود منذ عهد بعيد (قبل الإسلام)، ويمكن الاستشهاد على ذلك بأدلة كثيرة منها : طبوغرافية المكان الذي يمتاز بخصوبة أرضه وطيب هواه وعذوبة وغزارة مياهه، وهي من أهم الشروط الملائمة للاستيطان منذ أقدم العصور، هذا فضلاً عن حصانة المكان فذي جبلة تستند إلى حصن التعكر المنيف و بمصنعته تحتمي ، والدليل الآخر الذي يمكن الركون إليه هو الاسم (ذي جبلة) فالمعلوم أن (ذي) هو اسم موصول بمعنى الذي في لغة نقوش اليمن القديم ويسبق عادة كثير من أسماء الأماكن التي لا تزال قائمة حتى اليوم وبعضها قريب جداً من مدينة ذي جبلة مثل : ذي عُقيب وهو موقع أثري قديم وقرية عامرة إلى الشمال الغربي من ذي جبلة. ضبطها الجندي(١٩٩٥ ج٢ : ٢٣٩) بضم العين المهملة وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت باء موحدة. وبها بقايا مدرسة من العهد الرسولي وكانت من المراكز العلمية (شكل٣). وإليها ينسب الفقيه أبو الحسن علي بن أبي بكر الهمداني العقيبي المتوفي سنة ٦٦٣هـ، و ابن أخيه عبد الصمد بن سعيد توفى عام ٧٢٢هـ (العمري ٢٠١٤:

شكل٣ بقايا مدرسة ذي عُقيب

١٠٧)، وذي أشرق، وهي قرية عامرة في وادي نخلان في سفح جبل التعكر الجنوبي وهي من المراكز العلمية في اليمن وبها مسجد قديم أمر ببنائه الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان بها مكتبة كبيرة موقوفة (الشجاع ٢٠٠٤: ٤٦، ٥٩)، وذي السفال في سفح التعكر الجنوبي في أعلى وادي ظبا الخصيب (جار الله ٢٠٠٤: ٥)، وذي يعمد وذي سامر جنوب مدينة تعز(الحكيمي ٢٠١١: ٣٨،٣٩).

وعليه يمكن القول: أن ذي جبلة من القرى اليمنية القديمة التي ذاع صيتها في العصر الإسلامي بعد أن تحولت إلى مدينة ومركز إداري لمخلاف جعفر في منتصف القرن الخامس الهجري عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، على يد عبدالله بن محمد الصليحي والي الملك على بن محمد الصليحي على التعكر وما والاه ، والذي أختط دار العز الأولى كمقر إداري له (عمارة ١٩٨٥م:١١٤؛ الخزرجي ١٩٨١ :٦٢؛ ابن الديبع ١٩٨٣ :٦٠)؛ لتصبح مدينة (ذي جبلة) بعدها مركزاً لمخلاف جعفر، وهو مخلاف واسع أورد ابن المجاور(١٩٨٦ :١٦٨.١٧٢) وصفاً للمناطق التي تدخل ضمن حدوده.

٣ – ذي جبلة عاصمة للدولة الصليحية

إن توفر الشروط الملائمة لقيام المدن من حيث حصانة المكان وخصوبة الأرض وغزارة الأمطار، وتوفر مصادر المياه العذبة، وطيب الهواء؛ جميعها كانت من الأسباب التي جعلت الملكة الصليحية (السيدة بنت أحمد) تختار ذي جبلة عاصمة لدولتها بدلاً من مدينة صنعاء التي اضطرب الوضع فيها بسبب الحروب التي دارت بين الصليحيين وانصار الأئمة الزيديين من جهة، والقتال بين الصليحيون والأشراف من آل القاسم العياني من جهة أخرى (الحكيمي٢٠١١: ٤١) هذا فضلاً عن ميل السيدة للإقامة في ذي جبلة وتفضيلها على صنعاء (الحجري ١٩٩٦: ٣٥ ج١).

ويروى أن قرار نقل العاصمة من مدينة صنعاء إلى مدينة (ذي جبلة) جاء بعد وفاة الحرة أسماء بنت شهاب أم المكرم سنة ٤٦٧هـ، وبعد إصابة المكرم بمرض الفالج، وإسناده مهام إدارة الدولة لزوجته السيدة بعد أن نصحه الأطباء باعتزال الناس.. فقد رأت السيدة الحرة زوجة المكرم أن ملك الصليحيين مهدد بالسقوط ما دام المكرم يقيم في صنعاء ويحكم منها، فأشارت عليه بالانتقال إلى مدينة ذي جبلة وجعلها عاصمة للدولة الصليحية ومقراً لإقامته (عمارة١١٥،١١٤:١٩٨٥؛ الخزرجي، ٦٢:١٩٨١؛ ابن الديبع،١٨٨:١٩٨٨؛ الهمداني ١٩٨٦:

١٣٦). ومن غير المعلوم على وجه الدقة متى تم الانتقال فعلياً، وإن كان العمري (٢٠١٤: ٦٠) يذكر أن الانتقال من صنعاء إلى ذي جبلة تم في سنة ٤٨٠ للهجرة الموافق ١٠٨٧م، غير أن هذا التاريخ متأخر للغاية؛ لأن كثير من الأحداث التي وقعت في عام ٤٨٠هـ أهمها: زواج السيدة من الداعي سبأ الصليحي أتت بعد فترة ليست بالقصيرة من نقل العاصمة من صنعاء إلى ذي جبلة.

شهدت مدينة ذي جبلة في عهد الدولة الصليحية وعلى وجه الخصوص في عهد السيدة بنت أحمد التي آل إليها ملك الصليحيون بعد وفاة زوجها الملك المكرم أحمد سنة ٤٧٧هـ (ابن خلدون،٢٠٠٤ :١٧٠؛ الهمداني، ١٩٨٦ :١٤١)، ازدهاراً كبيراً في جميع الجوانب، وامتد عمرانها وكثُر سكانها الأمر الذي جعل الإدريسي يقول عنها بحسب ما نقله الحكيمي (٢٠١١: ٤٢) قوله:"ويقابل عدن في البرية على مسافة يوم مدينة كبيرة جداً تسمى بذي جبلة وعليها حصن منيع جداً يُعرفُ بالتعكر ". ولعل من أهم مآثر السيدة بنت أحمد بنائها مسجداً جامعاً مكان دار العز الأولى، وشيدت به في الركن الشمالي الغربي منه مشهدها (موسى،٢٠٠٥ :٣٧٧)، وقبرت بالقرب منه (العمري ٢٠١٤: ١٠٧) وهو ما يعرف اليوم بجامع السيدة، الواقع في وسط المدينة(شكل٤).

شكل ٤– مسجد السيدة بنت أحمد.

وتنسب إليها مشاريع جر المياه عبر قنوات مبنية ومقضضة شيدت بطرق هندسية بديعة، وكانت في كثير من الحالات تشاد على قناطر معقودة في المجاري المائية والمناطق ذات التضاريس الوعرة، كانت هذه القنوات تزود المدينة، دورها ومساجدها بالمياه العذبة من العيون التي توجد على أطراف المدينة. كما ينسب إلى السيدة بناء الطرقات المعبدة بالحجارة، والجسور في مدينة جبله والمناطق المجاورة وكذلك في مناطق أخرى من اليمن، ولا تزال أثار الكثير منها باقية إلى اليوم. وينسب إليها أيضاً إنشاء العديد من المدارس، مثل مدرسة لتدريس الصحيحين بذي جبلة (الهمداني، ١٩٨٦ :٢٠١)، وإنشاء ووقف

العديد من المصالح العامة والخاصة داخل وخارج مدينة ذي جبلة، وبعد وفاة السيدة بنت أحمد عام ٥٣٢هـ، وأفول نجم الدولة الصليحية في اليمن، تراجعت أهمية ذي جبلة حيث تحولت المدينة إلى ولاية كغيرها من ولايات البلاد اليمنية، ومع ذلك فقد حرص حكام تلك الدويلات التي سادت بعد أفول الدولة الصليحية على إحكام السيطرة على ذي جبلة ؛ وذلك لأهميتها، لذلك حرص حكام الدولة الأيوبية (٥٦٩هـ – ٦٢٦هـ /١١٧٣م – ١٢٢٩م)على إبقاء ذي جبلة تحت السيطرة ؛ إذ أتخذ الملك طغتكين بن أيوب ٥٨٠–٥٩٣هـ / ١١٨٤– ١١٩٧م من دار العز مقراً لإقامته، وقام بعدد من الأعمال المعمارية في ذي جبلة وأعمالها، وكان له دار فيها اسمه دار الرزاق والتي أصبحت في عصر الجندي، مسبك لسكر الأملاك السلطانية (ورشة لعمل قوالب الأملاك السلطانية) دون أن يحدد موقعها من مدينة ذي جبلة (الجندي،١٩٩٣ :٣٦٦)، وبحسب الرواية الاثنوجرافية فإن الدار يقع في الركن الجنوبي الغربي من مجمع دار العز الحالي ويطل على الطريق الصاعد من جسر سائلة حديد في الشرق إلى دار العز والمدينة القديمة في الغرب، و نعتقد أن هذه الدار هي التي سكنها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ٥٩٣هـ– ٥٩٨هـ / ١١٩٧– ١٢٠٢م، بعد أن أمر بهدم دار العز في سنة ٥٩٤هـ.

أهم آثار ذي جبلة

تزخر مدينة ذي جبلة بالمنشآت الأثرية، وتعد الوحيدة من حواضر اليمن في العصر الإسلامي التي توجد بها بقايا وأطلال لقصر الحكم والمباني الإدارية للدولة، وتعود هذه الآثار على اختلافها إلى عهد الدولة الصليحية والدويلات التي حكمت اليمن بعدها، ومن آثار الدولة الصليحية الباقية إلى اليوم جامع السيدة بنت أحمد، وجامع السنة وبقايا دار العز الثانية، وينسب إلى الأيوبيين بنائهم للعديد من المدارس في ذي جبلة منها مدرسة ابن أبي الأمان، التي تعد اليوم من أقدم المدارس اليمنية (العروسي٢٠٠٣ :٨٥٦) وهي مندثرة ولا يعرف مكانها على وجه التحديد، والمدرسة الفاتنية وهي مندرسة وربما من بقاياها المسجد المعروف بمسجد الفاتنية نسبة إلى أحد موالي المعز إسماعيل ٥٩٣هـ– ٥٩٨هـ / ١١٩٧– ١٢٠٢م (الجندي ١٩٩٥ ج٢ : ٢٥١ ؛ الحكيمي ٢٠١١ : ١٠٠، ١٠٢) .

وفي عهد الدولة الرسولية في اليمن ٦٢٦/٨٥٨هـ / ١٢٢٨– ١٤٥٤م (العمري ٢٠١٤:٧٧) حظيت ذي جبلة باهتمام بني رسول الذين أتخذ جدهم الأول شمس الدين علي بن

رسول من قرية الخُبالي القريبة من ذي جبلة سكناً له ولذريته من بعده (الحكيمي ٢٠١١: ١٠٦)، وينسب إلى بني رسول تشييد

دار السلام التي عرفت في عهد سلاطين بني رسول، وقصر الأميرة الدار النجمي (الخزرجي،١٩٨١ :١٢٥) ومن غير المعلوم مكان دار السلام غير أننا لا نستبعد أن هذه الدار قد شيدت في مكان ما ضمن ما يعرف بحارة الدار التي شيد عليها مجمع دار العز والذي طاله الخراب في عام ٥٩٤هـ (شكل ٥).

شكل ٥- جانب من بقايا دار العز ضمن حارة الدار

ولعل من أهم الآثار الرسولية في ذي جبلة المدارس العلمية إذ قامت الأميرات الرسوليات ببناء العديد من المدارس العلمية بذي جبلة والتي بلغ عددها حوالي سبع مدارس، تبقى منها أربع تنسب إلى الأميرة الدار النجمي أبنة الأمير شمس الدين علي بن رسول، وهي المدرسة النجمية وسميت بالنجمية نسبة إلى زوجها الأمير نجم الدين ابن أبي بكر المتوفي بحضرموت، ويقدر تأريخ بناؤها بين عامي ٦٣٧-٦٥٤هـ / ١٢٣٩ – ١٢٥٥م (الجندي ١٩٩٥ ج٢ : ٢٥٢ ؛ الحكيمي ٢٠١١: ١٠٧ ، ١٠٨)، والمدرسة الشرفية شيدتها الدار النجمي لتخليد ذكرى أخوها الأمير شرف الدين موسى بن علي بن رسول ، المتوفي في سجن الملك الأيوبي المسعود بن الكامل بمصر(الجندي،١٩٩٥ج٢ :٢٥٣؛ الحكيمي ٢٠١١ : ١١٣)، والمدرسة الشهابية شيدتها الدار النجمي نسبة لأخيها الامير شهاب الدين محمد بن علي بن رسول (الجندي ١٩٩٥ ج٢ : ٢٥٣)، ويقدر تاريخ بناؤها بين عامي ٦٢٧- ٦٥٤هـ / ١٢٢٩- ١٢٥٥م ، المدرسة الزاتية أنشأتها **زات دارها**، إحدى وصيفات الدار النجمي، تؤرخ بالنصف الأول من القرن السابع الهجري (الحكيمي ٢٠١١ : ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩ ، ١٣٠) . وفي عصر الدولة الطاهرية ٨٥٥ -٩٢٣هـ/ ١٤٥١- ١٥١٧م، تراجع دور ذي جبلة كثيراً في عهدٍ غلبت عليه الحروب والصراعات السياسية ولعل من أهم مآثر الدولة الطاهرية في ذي جبلة مسجد قبة الشيخ يعقوب (الزوم) في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة (شكل٦)

والمؤرخة وفق نص كتابي موجود اعلى واجهة عقد المحراب بعام ٩٢١هـ / ١٥١٥م (الحكيمي ٢٠١١: ١٤٢).

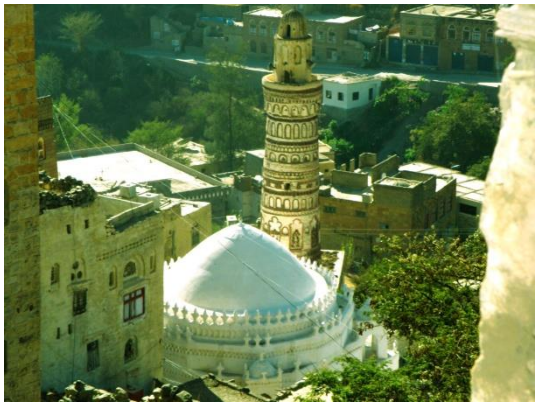

(شكل٦) مسجد قبة الزوم من العهد الطاهري

<u>أهم المنشآت الأثرية المنسوبة إلى السيدة بنت أحمد</u>

للسيدة مآثر كثيرة فقد شيدت المساجد وأهمها مسجدها الجامع في ذي جبلة ومسجد الضربة في يريم وعبدت الطرقات حيث قامت بتعبيد الطريق من رأس جبل سمارة إلى السياني وأوقفت الأراضي لرعي المواشي، كما أوقفت أراضي واسعة في نواحي ذي جبلة وحقل قِتاب تُصرفُ غلاتها لشراء الفحول من البقر، وأنشأت العديد من المدارس منها مدرسة لتدريس الصحيحين في ذي جبلة(السروري ٢٠٠٤: ١٦٤)، ومن أهم أعمالها ايضاً في ذي جبلة بناء بعض القناطر وعمل الساحات كساحة الصريحين ورصف طرق المدينة بالأحجار، و قامت بعمل توسعة الجامع الكبير بصنعاء فزادت فيه الجناح الشرقي وصححت عمارته (الحكيمي ٢٠٠١: ٥٤) ، وجرَّت المياه من العيون إلى المساجد، ولا تزال هناك الكثير من القنوات والقناطر التي تعود إلى عهد السيدة ، وقد أجرى كاتب هذه السطور حفرية تتبع من خلالها بعض القنوات التي كانت تزود مسجد المدرسة النجمية ومسجد قبة الزوم والمساجد الواقعة في الجهة الشرقية من ذي جبلة وتبين أن المياه العذبة الخاصة بالشرب كانت تجر من خلال قنوات

فخارية صنعت بدقة عالية (شكل٧) حيث تبين من خلال الكشف الأثري أن هناك ثلاث قنوات تعود إلى ثلاث مراحل تاريخية مختلفة أحدثها يُؤرخ تجديدها بمنتصف القرن العشرين، وأقدمها القناة ذات الانابيب الفخارية التي تؤرخ بالفترة بين القرن الخامس والسابع الهجريين (غالب ؛ الشهاب ٢٠١٩: ٧٦، ٧٧).

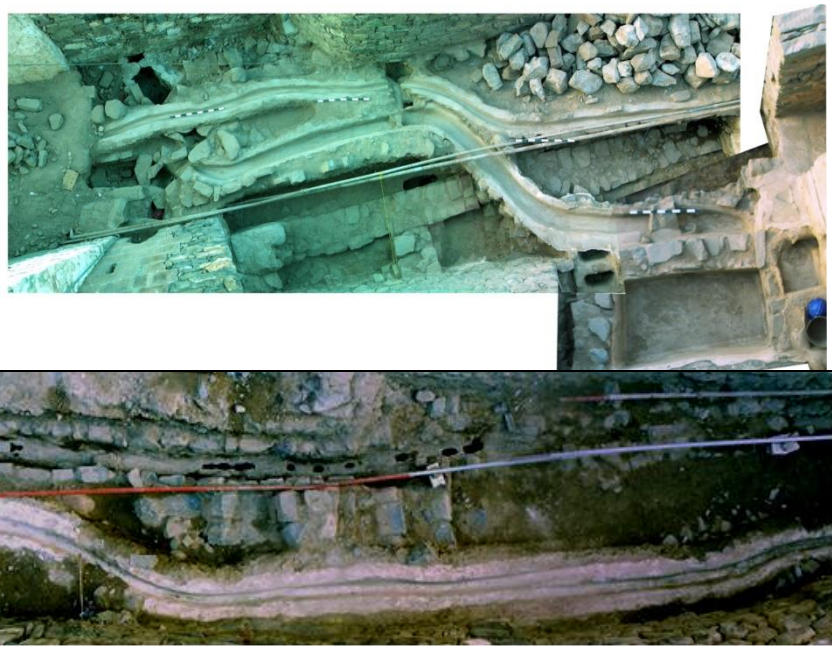

شكل ٧ قنوات المياه في محيط المدرسة النجمية ، اللوحة السفلى تظهر فيها القنوات الفخارية

ومن اهم الآثار الصليحية الباقية والتي تنسب إلى عهد السيدة بنت أحمد ما يلي:

١- **الجامع الكبير بذي جبلة (جامع السيدة –شكل٨–٩):** شيدته السيدة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي، في وسط مدينة ذي جبلة، في موضع دار العز الأولى وبه قبرها (عمارة ١٩٨٥ : ١١٦) ورغم تضارب الروايات حول تأريخ بناء الجامع فإن الحكيمي (٢٠١١ :٥٦) يرجح أنه شيد عام ٤٧٣هـ /١٠٥٨م ، وبحسبه يصنف الجامع ضمن

شكل ٨ منظر عام لجامع السيدة من سقف دار العز الثانية – الباحث

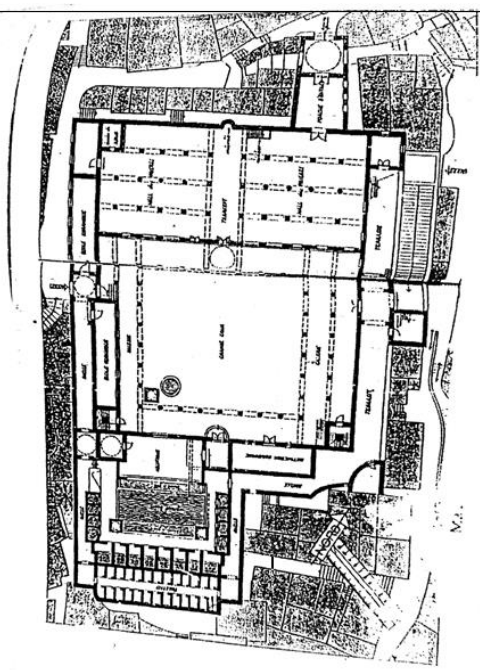

شكل-٩مسقط أفقي لمسجد السيدة عن الحكيمي ٢٠١١م

الجوامع المعلقة كونه مؤلف من طابقين، سفلي يتكون من حجرات وسماسر وحوانيت لها سقف مسطح، وطابق علوي يمثل الجامع .تقدر مساحة الجامع بحوالي ١١٥٧م²، وهو عبارة عن صحن مكشوف محاط باربعة أروقة أعمقها رواق القبلة، ويتضمن بعض الوحدات المعمارية داخل حدود عمارته كخزانة الكتب والمِعلامة (الكُتاب) وضريح السيدة والمآذن، وأخرى خارجية مثل المطاهير.

للجامع بوابات رئيسية تفتح في واجهاته الرئيسية أبرزها البوابة الشرقية تبرز عن سمت الواجهة بمقدار ٢,٧٨م، ويتم الوصول إليها عبر سلم صاعد مكون من ٣٢ درجة، وتطل هذه البوابة على سوق المدر(الفخار) في المدينة، و البوابة الشمالية للجامع مئذنتين الأولى في الركن الجنوبي الغربي والثانية في الركن الجنوبي الغربي، وقد تعرض الجامع للعديد من أعمال الإصلاح والتجديد (الحكيمي ٢٠١١ : ٥٨- ٧٢). شيد الجمع على غرار الطراز الفاطمي، فهو من المساجد ذات المدخل التذكاري البارز والمجاز القاطع (الحداد٢٠٠٣: ١٠٤).

٢- ضريح السيدة بنت أحمد :

يقع في الزاوية الغربية لرواق القبلة بحسب ما نقله الحكيمي عن حسن فيض الله الهمداني، عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل في الزاوية الشمالية الغربية من رواق القبلة أيسر المحراب. طول جداره الرقي ٣.٢٥م، أما جداريه الشمالي والغربي فهما يمثلان جدار القبلة، وارتفاع الضريح ٣.٢٠م (الحكيمي ٢٠١١: ٩٤).

٣- مسجد السنة شكل ١٠:

يقع في حارة الدار وتفتح عليه بوابة دار العز الغربية المسماة بالثريا. شيد هذا الجامع بحسب ما نقل الحكيمي عن الجندي لأهل السنة الذين كانوا قليل في ذي جبلة أبان حكم الدولة الصليحية، ولقد زادت أهمية هذا المسجد بعد سقوط الدولة الصليحية، فقد أمه العديد من علماء السنة ومنهم الإمام سيف السنة البريهي، وإليه ينسب بناء مسجد السنة شمال مدينة إب القديمة (الحكيمي ٢٠١١: ٨١، ٨٢).

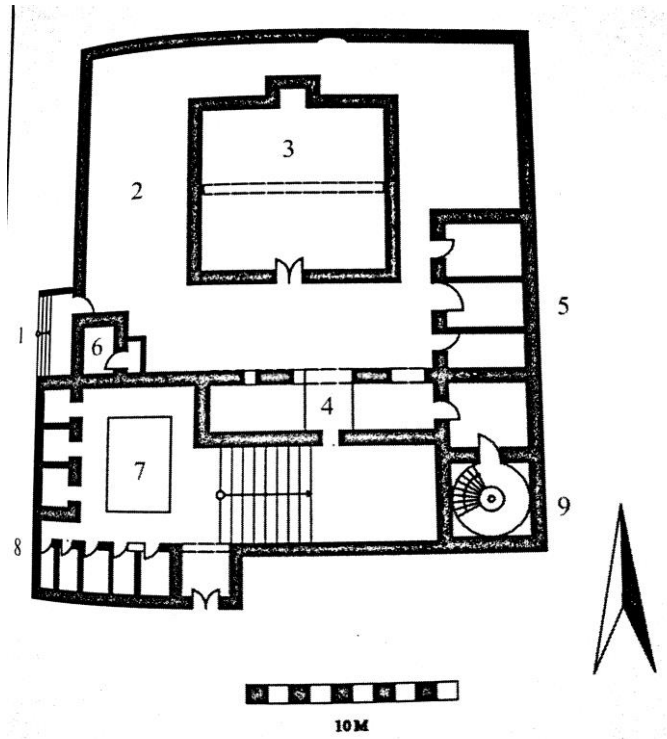

شكل ١٠مسقط أفقي لمسجد السنة (الحكيمي ٢٠١١)

<u>مجمع دار العز (شكل ١١، ١٢)</u>

يمثل دار العز الرمز الأهم للدولة الصليحية فهو دار الحكم ومقر الحاكم، ومنه تدار شؤن البلاد والعباد. ظل الدار رغم تعرضه للخراب في أواخر القرن السادس الهجري يمثل رمزية الدولة حتى في العهود التي تلت عهد الدولة الصليحية، حيث حرص الولاة والحكام على السكن ضمن مربع الدار القديم وشادوا بيوتهم ومقراتهم الحكومية على انقاض مجمع دار العز وهو ما كشفت عنه الدراسات الأثرية التي أجريت في الآونة الأخيرة (غالب، الشهاب ٢٠١٩؛ الشهاب وآخرون: ٢٠١٢). شيد دار العز على ربوة صخرية مرتفعة حوالي ٢٠٢٨م / سطح البحر، في الطرف الشمالي الشرقي من المدينة ويعرف المكان اليوم بحارة الدار، تمتاز الربوة بحوافها الحادة والشديدة الانحدار وخاصة الشمالية منها، الأمر الذي اقتضى بناء عدداً من الجسور لربط المدينة بالدار. يشرف الدار على سوق المدينة القديم في الجهة الجنوبية الغربية وعدداً من المباني السكنية ودور العبادة في الغرب والجنوب، كما يطل على المسيلين سائلة حديد من الشمال وسائلة الوقش (المجزرة) من الجنوب (غالب ؛ الشهاب ٢٠١٩ غ م : ١٦) .

شكل١١صورة لواجهة الدار الجنوبية (عن غالب والشهاب ٢٠١٩)

شكل١٢ حارة الدار ويظهر فيها المبنى القائم عن الشهاب وآخرون ٢٠١٢

تاريخ بناء الدار :

تذكر المصادر أن المكرم أحمد هو من أمر ببناء دار العز الثانية بُعيد انتقاله إلى ذي جبلة (عمارة ١٩٨٥: ١١٦؛ الخزرجي ١٩٨١: ٦٢) ، وقد ذكر عمارة (١٩٨٥: ١١٦) تاريخين لبناء الدار الأول سنة ٤٨٠هـ وفي طبعة أخرى (عمارة ٢٠٠٤: ٧٨) بسنة ٤٨١هـ وانه شيد في مكان اسمه ذي بور، وهو حائط يطل على النهرين وعلى الدار الأولى ، ووفقاً للسجلات المستنصرية التي تؤرخ لموت المكرم بحوالي ٤٧٧هـ؛ فإن تاريخ بناء الدار العز حتما كان قبل ذلك ، ويرجح مجموعة من المؤرخين تاريخ بناء الدار في الفترة بين ٤٦٨هـ وسنة ٤٧٠هـ (السروري ١٩٩٧: ١٣٧) ، ويحدد حسن سليمان (٢٠٠٤: ٧٨) تاريخ البناء ب ٤٧١ هـ. ظل دار العز يمثل رمزاً للدولة طيلة العهد الصليحي، وبعد زوال الدولة الصليحة ظلت الدار تتمتع ببعض الخصوصية فقد أقام بها طغتكين بن أيوب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري غير أن الدار أخربت على يد المعز ابن سيف الإسلام يوم الاثنين منتصف ربيع الأول سنة٥٩٤هـ(الجندي ١٩٩٥ ج٢ : ٥٣٤؛ ابن الديبع ١٩٨٨ : ٢٨٥).

تخطيط الدار (شكل١٤،١٣ ، ١٥ ، ١٦):

خضع المبنى المتبقي من مجمع دار العز الثانية في ذي جبلة في الآونة الأخيرة لتحقيق أثري جاد تمثل بعمل مسح ميداني لمحيط الدار (حارة الدار) وتنقيب أثري في المبنى القائم في الطرف الغربي من حارة الدار، وقد خلص العمل الأثري إلى معلومات هامة حول مخطط الدار حيث تبين أن دار العز الثانية كان عبارة عن مُجمعٍ حكومي –أيام الدولة الصليحية – ضم سكن الأسرة الحاكمة والمباني الإدارية للدولة، وكان هذا المجمع مكون من عدة مباني برجية تطل على ساحات مكشوفة ، تركزت المباني السكنية في الطرف الشرقي من حارة الدار حيث يوجد هناك مسجداً صغيراً يسمى مسجد الدار يعتقد بأن السيدة امرت ببنائه، بينما تركزت المباني الخدمية والإدارية في الطرف الغربي من حارة الدار، والتي تتمثل بالمبنى القائم اليوم وهو مبنى مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول ٣١م × ٣٧,٨٠ متر من الشمال إلى الجنوب وهو مبنى برجي يتكون من خمسة طوابق تطل على ساحة مكشوفة في الوسط عبرها يتم الوصول إلى وحدات المبنى المختلفة عبر العديد من السلالم ، كما تبين من أعمال المسح أن مجمع الدار قد أُحيط بسور حجري في الجهة الجنوبية وأجزاء من الجهة الشرقية والجهة الشمالية، كما اعتمد على ظاهرة بناء الدور على حافة التلة كنوع من التحصين الذاتي(شكل١٢) (الشهاب وآخرون ٢٠١٢م ؛ غالب والشهاب ٢٠١٩) .

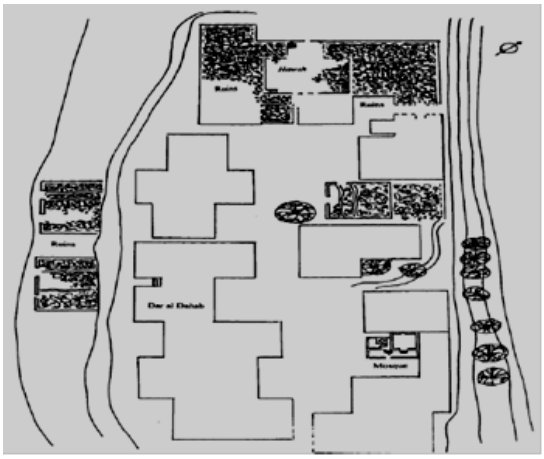

شكل١٣ مجمع دار العز عن Swanson1996

شكل ١٤ مسقط أفقي للدار الباقية من مجمع دار العز (عن الشهاب وآخرون ٢٠١٢)

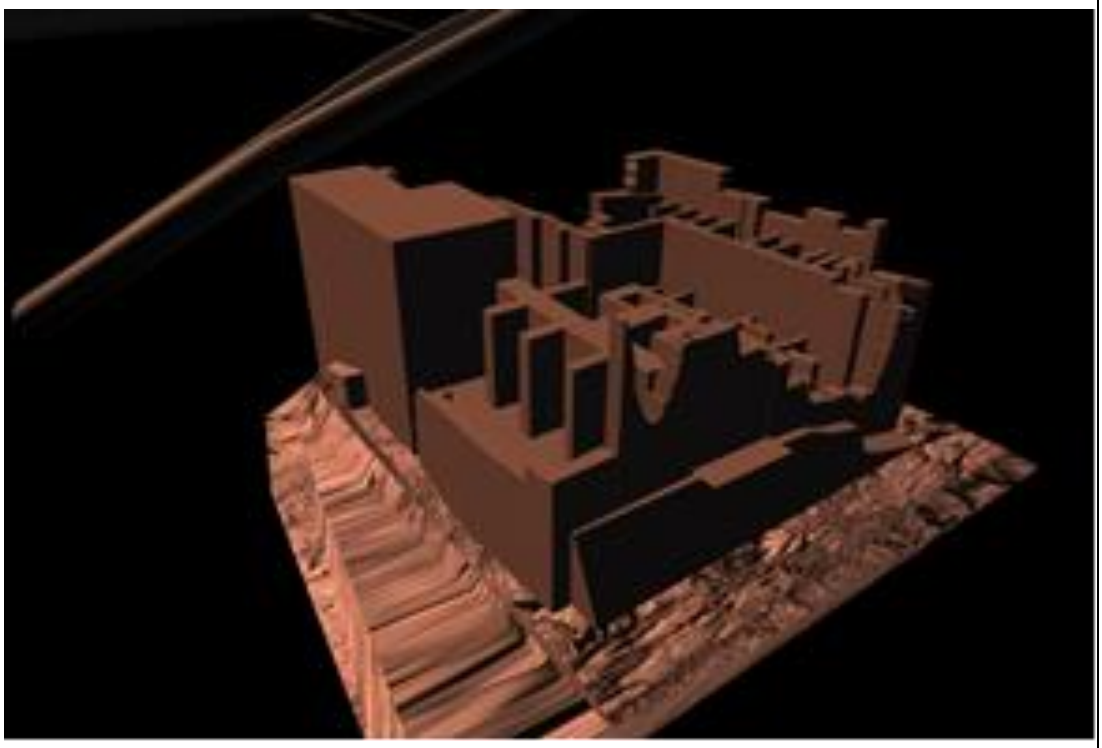

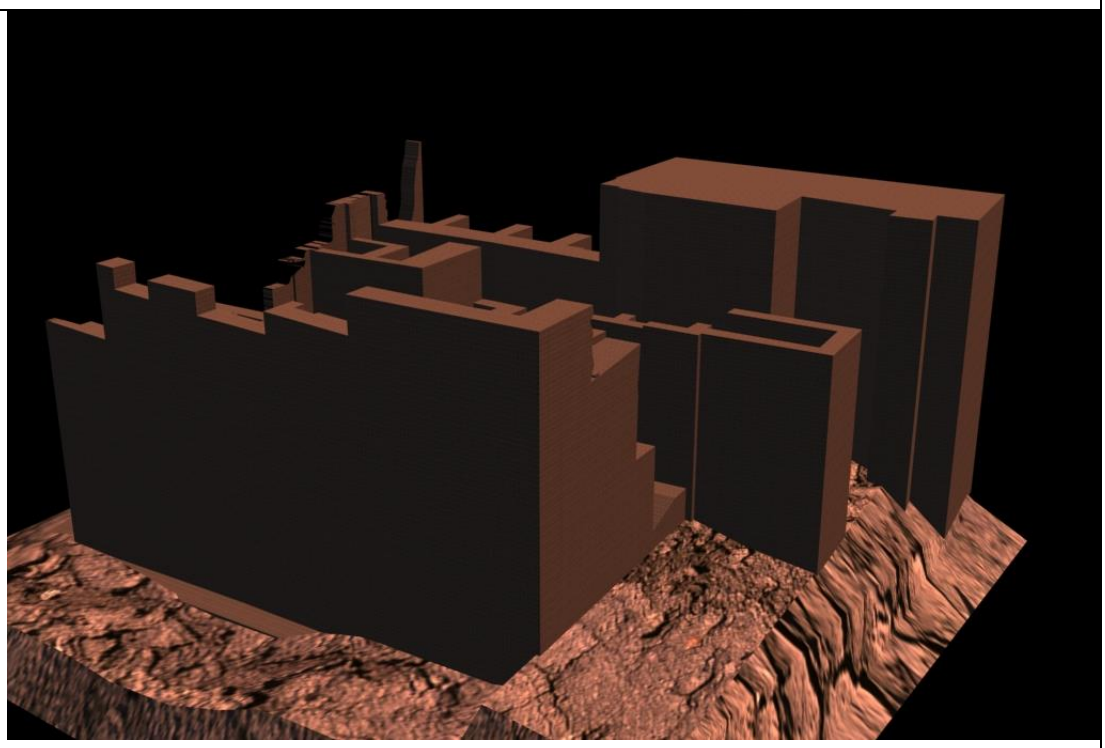

شكل١٥- ١٦ إعادة بناء للمبنى من واقع الأساسات التي تم الكشف عنها والواجهات القائمة (عن الشهاب وآخرون ٢٠١٢)

وقد زود الدار بمنشأت مائية خاصة به كان يجر الماء إليها عبر قنوات تأتي من الأطراف الغربية للمدينة (شكل ١٧– ١٨).

شكل ١٧ منشآت الدار المائية أثناء الكشف الاثري عنها (الشهاب وآخرون ٢٠١٢م)

شكل ١٨المنشآت المائية بعد الكشف الأثري (الشهاب وآخرون ٢٠١٢م)

كما زود الدار بمباني خدمية تم الكشف عنها في الطرف الشمالي من المجمع أسفل الطريق السلطانية تمثلت تلك المباني بوحدات خزن الحبوب وقوامها مدافن نحتت بالصخر في أرضيات المباني التي خصصت للطحن ونعتقد أن أدوارها العليا خصصت لسكن العاملين بمهنة الطحن وربما الطبخ (شكل ١٩). الجدير بالذكر أن الدار قد شيدت وفق المعايير التي كانت سائدة في العصر الفاطمي في كل من مصر والمغرب والتي روعيت عند اختطاط مدينتي المهدية بتونس والقاهرة بمصر، من حيث كونهما مدن للحاكم.

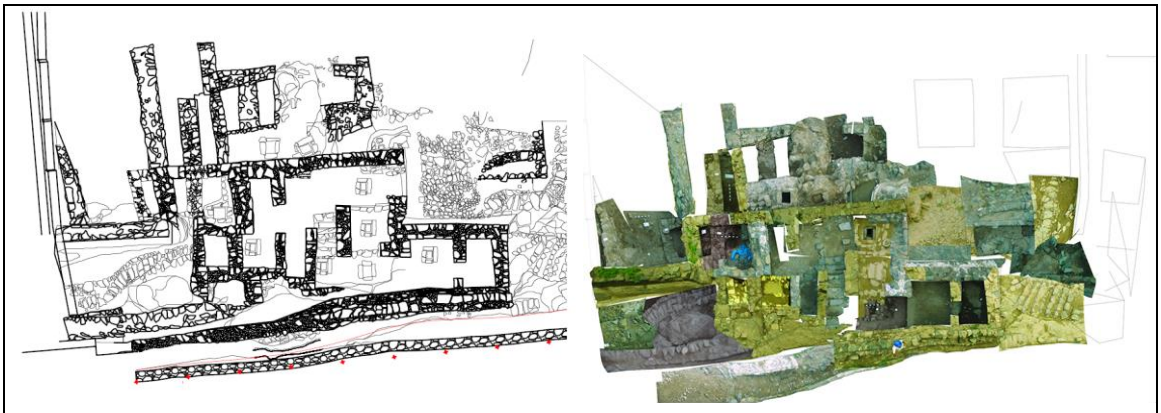

شكل١٩منظر بانورامي ومسقط أفقي لوحدات الدار الخدمية (عن غالب والشهاب ٢٠١٩)

الخاتمة :

مما سبق يمكن القول أن معرفة كثير من الحقائق المتعلقة بذي جبلة يقتضي القيام بدراسة أثرية جادة تقوم على مسح ميداني دقيق يتخلله القيام بعمل مجسات أثرية في أماكن مختلفة من المدينة لمعرفة تأريخ النشأة والاختطاط على وجه الدقة، كما أن تأصيل بعض المنشآت القائمة كالجامع الكبير ومسجد السنة على سبيل المثال لا الحصر يحتاج هو الأخر لحفر بعض الأسبار الاثرية لتحديد الأنماط المعمارية وتأرختها بالإضافة إلى التفتيش عن الوثائق والوقفيات التي لا تزال حبيسة الادراج في بعض المكتبات الخاصة .

كما يمكن القول أن المدينة التي كانت ذات يوم حاضرة لليمن ولمدة تزيد عن خمسين عام، قد توفرت فيها الشروط اللازمة للعاصمة، من حيث حصانة المكان وتوفر المياه العذبة والتربة الخصبة، وقد تطورت هذه المدينة التي نعتقد بان لها امتداد إلى ما قبل الإسلام لتغدو عاصمة للدولة وحاضرة لها، وتعد من مدن اليمن القليلة التي توجد فيها بقايا القصر ودار الحكم إلى جانب مدينة زبيد، وهي بعمرانها تشكل واحدة من مدن اليمن والجزيرة العربية التاريخية التي يجب ان تدرج على قائمة التراث العالمي لما لها من خصوصية في التصميم والطرز المعمارية .

قائمة المصادر

أولاً – المصدر العربية:

١. **ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي (١٩٨٣):** الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق : الدكتور يوسف شلحد. ، مركز الدراسات والبحوث اليمني– صنعاء، دار العودة – بيروت.

٢. **ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي (١٩٨٨):** قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار بساط – بيروت ، ١٩٨٨م.

٣. **ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد ابن إبراهيم (٢٠٠٠)** : تحفظة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، دار بيروت – لبنان ، ط٢.

٤. **ابن سعيد ، علي بن موسى المغربي (١٩٨٩)** : الجغرافيا ، دار السعادة ، القاهرة . ط٢.

٥. **الجَنَديْ ، محمد بن يوسف بن يعقوب (١٩٩٣):** السلوك في طبقات العلماء والملوك. ج١ ، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع. ، مكتبة الإرشاد – صنعاء .

٦. **الجَنَديْ، محمد بن يوسف بن يعقوب (١٩٩٥):** السلوك في طبقات العلماء والملوك .ج٢، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع، مكتبة الإرشاد- صنعاء : .

٧. **الحجري، محمد بن أحمد (١٩٩٦):** مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، دار الحكمة اليمانية- صنعاء .

٨. **الحكيمي ، رمزي عبد ثابت (٢٠١١):** العمائر الدينية والجنائزية الباقية بمدينة ذي جبلة منذ إنشائها في العصر الصليحي حتى نهاية العصر الطاهري (٤٥٨-٩٢٣هـ/ ١٠٦٥-١٥١٧م) ,رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة أسيوط ، ٢٠١١.

٩. **الحموي ، ياقوت بن عبدالله (١٩٧٩):** معجم البلدان ، دار إحياء التراث – بيروت .

١٠. **السروري ، محمد عبده محمد (٢٠٠٤):** الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧مـ) إلى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م – وزارة الثقافة والسياحة.

١١. **السروري ,محمد عبده محمد (٢٠٠٨):** تاريخ اليمن الإسلامي ، مكتبة خالد بن الوليد – دار الكتب اليمنية – صنعاء .

١٢. **الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد (٢٠٠٤):** الحياة العلمية في اليمن في الفترة من القرنين الثالث والرابع للهجرة ، صنعاء عاصمة للثقافة العربية٢٠٠٤م ، وزارة الثقافة والسياحة .

١٣. **الحداد، عبدالله عبد السلام (٢٠٠٣):** مقدمة في الآثار الغسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء.

١٤. **الشهاب وآخرون ، (سامي شرف ، عزيز الغوري ، محمد الحاج ، محمد صالح بالعفير) (٢٠١٢):** نتائج التنقيبات الاثرية بدار العز – تقرير أولي – غ م – الصندوق الأجتماعي للتنمية صنعاء .

١٥. **الصائدي ، أحمد قائد (١٩٩٠):** المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ,دار الفكر- دمشق .

١٦. **العرشي ، حسين بن أحمد (د ت):** بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، دار الندوة الجديدة – بيروت

١٧. **العروسي ، محمد علي** (٢٠٠٢): ذو جبلة ، الموسوعة اليمنية ج٢ ، ص ٨٥٣- ٨٥٦، مؤسسة العفيف صنعاء المجلد ٢.

١٨. **العمري ، حسين عبدالله ، نجيب عبد الملك سالم** (٢٠٠٢): أروى (سيدة بنت احمد)، الموسوعة اليمنية ج١ ، ص ٢٦٤- ٢٦٥. مؤسسة العفيف الثقافية – صنعاء – المجلد ٢.

١٩. **العمري ,حسين عبدالله** (٢٠١٤) : موجز تاريخ اليمن السياسي والثقافي ، مجلة الثوابت- صنعاء .ع ٢٣.

٢٠. **الهمداني ، حسن فيض الله** (١٩٨٦): الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ، دار التنوير – بيروت : ،.

٢١. **اليمني ، عمارة بن علي** (١٩٨٥م): تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق محمد بن علي الأكوع. ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء – ط ٣.

٢٢. **جارالله ، عبد الرحمن حسن** (٢٠٠٤): ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية ، صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م – وزارة الثقافة والسياحة.

٢٣. **غالب ، عبده عثمان ,الشهاب ، سامي شرف** (٢٠٢٣): نتائج الدراسات المعمارية وأعمال التنقيب والترميم في مينى دار العز بذي جبلة – محافظة إب، الصندوق الإجتماعي للتنمية، صنعاء.

٢٤. **محمود ، سليمان حسن** (١٩٥٢): الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالفاطميين في مصر، رسالة دكتوره غير منشورة ، جامعة القاهرة .

٢٥. **موسى ، عبدالله كامل** (٢٠٠٥): التأثيرات المتبادلة في العمارة الإسلامية في مصر وبلاد اليمن في العصرين الفاطمي والصليحي . – صنعاء : مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر.

ثانياً – المصادر الأجنبية:

26. Swanson Lealan Anderson (1997): Historic Consideration In Yemen Vernacular Architecture Houses From The Sulayhid Dynasty (439l1047) T O The Modern Period. PhD. The Ohaio State University.1997.

الإسناد الكويتي للبنان إبان الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٨٩م

د. جمعان عبدالله مسفر الشهراني

وزارة التعليم – المملكة العربية السعودية

الاستلام: ١٤/ ٢/ ٢٠٢٤

قبول النشر: ٣/ ٣/ ٢٠٢٤

الايميل:

Aim1921@gmail.com

الملخص

تعرضت لبنان للاجتياح الإسرائيلي الثاني في ١٩٨٢م وكان الهدف الرئيس لهذه الهجمة طرد منظمة التحرير من لبنان، وقد أطلقت إسرائيل عليها مصطلح "عملية الصنوبر"، وعصفت هذه الحرب بلبنان، وتحولت أراضيه إلى ساحة قتال شرسة بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا وإسرائيل، وتعود أسباب هذه الحرب إلى عدد من الأحداث التي جرت في الشرق الأوسط خلال السنوات السابقة، من اتفاق القاهرة الذي نظم وجود الفصائل الفلسطينية المسلحة في لبنان إلى الحرب الأهلية اللبنانية".

وكان الدور الكويتي هاماً ومتقدماً في حل الأزمة اللبنانية حينما تمكنت من جمع الأطراف في مؤتمر هام، ووضع الأسس لحل الأزمة، ويبدو لي أن التأني الكويتي في العمل على إنهاء الأزمة اللبنانية مرده إلى رغبتها في استنفاذ القوى وبرود النفس عند المتحاربين؛ حتى تتمكن من فرض شروطها على الجميع، ويكون تدخلها ذا جدوى وفائدة ويحقق أهدافه، وهو ما سوف تناقشه هذه الدراسة بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية:

لبنان، الكويت، الحرب الأهلية، منظمة التحرير الفلسطينية، وثيقة الطائف

Title :

Kuwaiti aid to Lebanon during the Lebanese Civil War 1975-1989 AD.

Received: 14/ 2/ 2024

Accepted: 3/ 3/ 2024

Email: Aim1921@gmail.com

Abstract :

Lebanon was subjected to the second Israeli invasion in 1982 AD. The main goal of this attack was to expel the PLO from Lebanon. Israel called it “Operation Pine.” This war ravaged Lebanon, and its lands turned into a fierce battlefield between the PLO, Syria, and Israel. The reasons for this war are To a number of events that took place in the Middle East during previous years, from the Cairo Agreement that regulated the presence of armed Palestinian factions in Lebanon to the Lebanese civil war. The Kuwaiti role was important and advanced in resolving the Lebanese crisis when it was able to bring the parties together in an important conference and lay the foundations for resolving the crisis. It seems to me that the Kuwaiti delay in working to end the Lebanese crisis is due to its desire to exhaust the forces and the coldness of the belligerents. So that it can impose its conditions on everyone, and its intervention will be useful and achieve its goals. This is what this study will discuss in detail.

Keywords:

Lebanon, Kuwait, Civil War, Palestine Liberation Organization, Taif Document.

مقدمة:

تعرضت لبنان للاجتياح الإسرائيلي الثاني في ١٩٨٢م وكان الهدف الرئيس لهذه الهجمة طرد منظمة التحرير من لبنان ، وقد أطلقت إسرائيل عليها مصطلح "عملية الصنوبر"، وعصفت هذه الحرب بلبنان، وتحولت أراضيه إلى ساحة قتال شرسة بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا وإسرائيل، وتعود أسباب هذه الحرب إلى عدد من الأحداث التي جرت في الشرق الأوسط خلال السنوات السابقة، من اتفاق القاهرة الذي نظم وجود الفصائل الفلسطينية المسلحة في لبنان إلى الحرب الأهلية اللبنانية" .

هناك عدة عوامل ساعدت في تفجير الأوضاع بلبنان مما أدى إلى الدخول في صراعات وتمزيق أحوال الوطن اللبناني، حيث ظهر في لبنان ما يعرف بالميليشيات اليمينية والطائفية خاصة التابعة لحزب الكتائب[١] الذي يقوده "كميل شمعون" والهدف من ظهورها امتصاص الصراع الاجتماعي داخل لبنان بين الطوائف، وتصغير الحجم السياسي للمقاومة الفلسطينية قبل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية [٢]. أضف لذلك أن لبنان قبل الحرب الأهلية اللبنانية كانت تعاني من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي مما دفع بالشخصيات المارونية ووعيها السياسي إلى رفض الامتيازات الطائفية والمناداة بالمساواة بين المواطنين، كما يعاني المجتمع اللبناني من التفاوت في الطبقات فهناك المترفين والمحرومين الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تلجأ إلى الحرب [٣].

وكان للوجود الفلسطيني في لبنان دورا في ذلك, خاصة بعد دخول المقاومة الفلسطينية وما تلاها من أحداث وأهم حدث عام ١٩٦٩م ببيروت بلبنان الذي نتج عنه مقتل العديد من المتظاهرين، مما أدى إلى توقيع اتفاقية القاهرة من أجل تنظيم قواعد العمل الفلسطيني في الجنوب بالضبط في منطقة العرقوب التي كانت عرضة للصواريخ والغارات الإسرائيلية بإصابة وتهديد حياة سكان الجنوب [٤]. وفي نفس الصدد كانت أحداث صيدا التي وقعت في فبراير – مارس ١٩٧٥م حيث تتم إنشاء شركة احتكار صيد الأسماك في السواحل اللبنانية، وقد أثر على مصالح الصيادين اللبنانيين لتهديدهم بالتشرد والبطالة[٥] . وعملت إسرائيل على تقوية التنظيمات العسكرية المسيحية بتزويدها بالسلاح؛ لأجل القضاء على الوجود الفلسطيني في لبنان[٦]، ومن هنا بدأت تظهر ملامح الصراع مع الفلسطينيين؛ وتجلى ذلك الأمر بوضوح بعد الكمين الذي

نصبته مليشيات حزب الكتائب اللبناني في منطقة عين الرمانة[٧] بتاريخ ١٣/٤/١٩٧٥م، لحافلة تقل فلسطينيين مدنيين أسفر عن سقوط ٣٢ فلسطينيًا بين قتيل وجريح، فأصبح الفلسطينيون في لبنان طرفًا في تلك الحرب الأهلية[٨]. ودخلت المقاومة الفلسطينية والكتائب اللبنانية في صراع أدى إلى مقتل ٧٣ شخص وجرح ١٤٠ وانتقلت الاشتباكات بعدها إلى العديد من المدن اللبنانية أدت إلى سقوط العديد من الضحايا وهكذا استمرت الاشتباكات بدخول القذائف الصاروخية بين المقاتلين واستخدام مختلف الأسلحة الحربية واستمرت الحرب بعدها في بيروت[٩].

وفي ٢٨ مايو ١٩٧٥م طلب "سليمان فرنجية" من "رشيد كرامي" تشكيل حكومة لحل الخلافات السياسية ولكنها باءت بالفشل[١٠]، وفي ١٨ أغسطس ١٩٧٥م تم تشكيل الحكومة ودعا "كمال جنبلاط" باسم الحركة الوطنية وثيقة الإصلاح الديمقراطي (بناء لبنان عربي ديمقراطي) ووضع حد للطائفية السياسية ولكن قوبلت بالرفض من طرف الجبهة اللبنانية[١١].

ومع حلول عام ١٩٧٦م تصاعد القتال في منطقة بيروت خاصة المركز التجاري بين مليشيات الجميل والفلسطينيين المتحالفة مع الدروز والمسلمين ولكن المسيحيين كان ينقصهم السلاح ما دفعهم لطلبها من إسرائيل باعتبارها عدو لمنظمة التحرير الفلسطينية وعرفات ولن ترفض الطلب [١٢]، وفي ١٦ يناير ١٩٧٦م قام الفلسطينيين باجتياح بلدة الدامور أدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى، وتم الهجوم على منطقة زحلة من طرف بعض المسلحين ورد عليه الجيش مما أدى إلى سقوط العديد من القتلى والجرحى وإغلاق مطار بيروت بعد سقوط القذائف فوق مدرجه، وهذا أدى بالكتائب بتوجيه نداء إلى الدول العربية للقيام بمبادرة اتفاقية لمنع تحول لبنان إلى قضية دولية، وان استقبال "ياسر عرفات" للسفراء العرب قائلًا "إن معركة الدامور هدفها رفع الحصار عن بيروت" ولكن القذائف ظلت تتساقط على بيروت [١٣].

ونجد موقف الحكومة الكويتية من اندلاع الحر الأهلية واضحا منذ البداية ففي ١٤ أبريل ١٩٧٥م وجهت الكويت سفيرها في بيروت محمد يوسف العدساني [١٤] إلى متابعة الأوضاع بدقة وإرسال التقارير السريعة بخصوصها كما دعت عن طريق وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء عبد العزيز حسين [١٥] الأطراف المتصارعة إلى ضبط النفس وتوجيه قواهم ضد (إسرائيل) عدوهم المشترك [١٦].

وحينما توصل طرفي النزاع وبمبادرة من قبل جامعة الدول العربية وزعماء دينيين لبنانيين إلى وقف القتال في ١٦ أبريل ١٩٧٥م [١٧] رحبت الحكومة الكويتية في ٢٠ أبريل ١٩٧٥م بذلك الاتفاق وأشادت بضبط النفس الذي تحلت به الأطراف المختلفة في لبنان [١٨].

موقف الكويت من تطور الحرب الأهلية اللبنانية:

رغم توصل الكويت وجامعة الدول العربية لقرار وقف القتال في ١٦ أبريل ١٩٧٥م إلا أن ذلك الاتفاق إنهار في ٢٠ مايو ١٩٧٥م إذ عادت الاشتباكات بين ضاحيتي (تل الزعتر) و(الداكونة) في بيروت وجبل لبنان وبشكل أعنف من المعارك السابقة إذ استخدم الطرفان الصواريخ والمدفعية في تلك الاشتباكات مما أدى إلى جرح وقتل العشرات [١٩].

وكانت أطراف الصراع تتغير في الحرب من خلال التحالفات حيث في المراحل الأولى للحرب تلقى المسيحيون الدعم من مصر بينما دعمت سوريا الجانب الإسلامي اليساري والفلسطيني الذي بدأ يكسب الحرب، وبحلول عام ١٩٧٦م رأى المسيحيون أنهم سيخسرون الحرب وبالتالي سيسيطر التيار الفلسطيني على لبنان أو تقسيمها كان هذا في نظر سوريا يؤدي إلى تدخل إسرائيل وغيرت رأيها بتدعيم المليشيات المسيحية عسكريًا ومنعت على الفلسطينيين من احتلال مواقع استراتيجية ومحاصرة صورة وصيدا لمنع وصول الأسلحة للمسلمين[٢٠]، وهذا الموقف من سوريا ومساندتها للمسيحيين أدى إلى كسبهم للحرب، وفي نهاية جوان ١٩٧٦م قام المسيحيون بمهاجمة المخيمين الفلسطينيين (جسر الباشا وتل الزعتر). وفي شهر مارس تم تعديل دستوري من قبل الرئيس "فرنجية" يسمح بانتخاب رئيس جديد وتم انتخاب "إلياس سركيس" رئيسًا في ١٨ مايو ١٩٧٦م بدعم من سوريا وتسلم المنصب في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٦م [٢١].

ويلاحظ أنه مع تجدد الاشتباكات ازداد اهتمام الحكومة الكويتية بالأوضاع في لبنان لاسيما وأن تلك الأوضاع بدأت بالانعكاس على الوضع الداخلي الكويتي ففي ٢٤ مايو ١٩٧٥م انتقد النائب خالد المسعود الفهيد [٢٢] حياد الحكومة ودعاها إلى سحب الأموال الكويتية من لبنان لدفع الحكومة هناك إلى المساهمة جديًا في وقف الهجمات ضد الفلسطينيين [٢٣].

وحينما اتسعت دائرة الاشتباكات بين الفلسطينيين وأنصارهم من الأحزاب التقدمية بقيادة كمال جنبلاط [٢٤] من جهة ومليشيات الكتائب اللبنانية من جهة أخرى في بيروت ومنطقة البقاع والمناطق الأخرى [٢٥] ازدادت الضغوط على الحكومة الكويتية لنصرة الفلسطينيين ففي ١٦

حزيران ١٩٧٥م أصدر مجلس الأمة بيانًا أشاد فيه بالمنظمات الفلسطينية في لبنان ودعا إلى دعمها ماديًا ومعنويًا مما جاء فيه :" وإذ يشيد مجلس الأمة بالعمل الفدائي الفلسطيني ويأمل له مزيدًا من الدعم ماديًا ومعنويًا فإنه يعرب عن استنكاره لما قام به رجال حزب الكتائب اللبناني من أفعال تتنافى وموقف الأمة العربية تجاه القضية الفلسطينية" [٢٦].

إلا أن الأوضاع في لبنان وبفعل الدعوات المختلفة لوقف القتال شهدت هدوء نسبيًا لاسيما بعد نجاح رئيس الوزراء المكلف رشيد كرامي [٢٧] في تشكيل الحكومة في ٣٠ يونيه ١٩٧٥م والتي ضمت مختلف الأطراف اللبنانية [٢٨] ولكن ذلك الهدوء لم يستمر طويلًا ففي منتصف سبتمبر ١٩٧٥م عادت الاشتباكات في طرابلس وبيروت وبقية المناطق اللبنانية وكانت أعنف من ذي قبل [٢٩].

ومع ازدياد عمليات القتل الطائفي والخطف واستخدام الأسلحة الثقيلة في لبنان في مطلع أكتوبر ١٩٧٥م [٣٠] وشعور الحكومة الكويتية بخطورة ذلك على أوضاعها الداخلية لاسيما مع الوجود الفلسطيني المكثف على أراضيها [٣١] فإنها وجهت في ٨ أكتوبر نداء إلى الدول العربية دعت فيه إلى عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية من أجل إيقاف نزيف الدم في لبنان [٣٢] وعلى الرغم من نجاح الدعوة الكويتية، إذ أدت إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة خلال الأيام ١٥ – ١٦ أكتوبر ١٩٧٥م [٣٣] إلا أن ذلك الاجتماع أخفق في وضع الحلول للأزمة اللبنانية وكانت نتائجه ومقرراته دون مستوى أحداثها الخطرة [٣٤].

وعلى الرغم من ذلك الإخفاق واصلت الكويت اهتمامها بالشأن اللبناني وتطوراته ففي جلسة مجلس الوزراء في ٩ نوفمبر ١٩٧٥ م قررت الحكومة الكويتية إرسال مساعدات طبية للمساهمة في إسعاف جرحى القتال الدائر هناك [٣٥]. وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٧٥م استقبل أمير الكويت صباح السالم [٣٦] الزعيم اللبناني المقرب من المنظمات الفلسطينية كمال جنبلاط وبحث معه تطورات الأوضاع وأعرب المسؤولين الكويتيين في تلك المباحثات عن دعمهم لاستقرار وأمن لبنان [٣٧].

وفي اليوم التالي أقام نادي الاستقلال [٣٨] ندوة عن تطورات الحرب الأهلية استضاف فيها جنبلاط وحضرها الآلاف من الفلسطينيين والكويتيين وفي تلك الندوة دعا الزعيم اللبناني الشعب الكويتي وكل الشعوب العربية لدعم جبهته والفصائل الفلسطينية لمواجهة "الانعزاليين" في لبنان

كما أسماهم [٣٩] وقد يعطي الاهتمام الرسمي والشعبي الكبير بزيارة كمال جنبلاط الانطباع عن مدى التأثير السياسي والاجتماعي الفلسطيني في الكويت. وحينما تصاعدت أعمال العنف في أوائل ديسمبر ١٩٧٥ ولاسيما يوم السبت الذي عرف بـ (السبت الأسود) [٤٠] في ٦ ديسمبر ١٩٧٥م [٤١] دعت الحكومة الكويتية في اليوم التالي الأطراف اللبنانية إلى الحكمة والتعقل وتغليب المصلحة الوطنية والعمل على إعادة الأمن والاستقرار لبلادهم [٤٢].

ومع مطلع العام ١٩٧٦م ازدادت أعمال العنف في لبنان فبعد ٥ أيام من القتال العنيف تمكنت الميليشيات التابعة لحزب الكتائب اللبنانية في ١٤ يناير ١٩٧٦م من السيطرة على مخيم (ضبيه) الفلسطيني الواقع شمال بيروت والذي ضم ٣٠٠٠ شخص وطرد سكانه بعد نزع أسلحتهم [٤٣].

والواقع أن تلك التطورات تركت آثارها على أوضاع الكويت الداخلية ففي جلسة مجلس الأمة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٧٦م التي نوقش فيها الوضع في لبنان قدم المجلس توصيات عاجلة إلى الحكومة من أهمها [٤٤] :

١- تقديم مساعدات مالية وطبية وغذائية عاجلة للفلسطينيين وحلفائهم في لبنان.

٢- سحب الأموال الكويتية من لبنان ووقف الاستثمارات هناك.

٣- إجراء عملية فرز للمسيحيين اللبنانيين (الكتائبيين) وطرد كل من لهم صلة بالفئات التي تقاتل الفلسطينيين.

وعلى الرغم من عدم استجابة الحكومة الكويتية لمطالبات مجلس الأمة بطرد المسيحيين اللبنانيين من الكويت وسحب الأموال الكويتية من هناك إلا أنها أظهرت ميلًا لدعم الفلسطينيين ففي ١٥ فبراير ١٩٧٦م أعلن مجلس الوزراء الكويتي موافقته على طلب منظمة التحرير الفلسطينية[٤٥] القاضي باقتطاع راتب شهر كامل من كل الموظفين الفلسطينيين العاملين في الكويت والراغبين في ذلك وتسليمه للمنظمة بعنوان دعم الثورة الفلسطينية [٤٦].

وفي السياق ذاته استقبل رئيس الوزراء الكويتي الشيخ جابر الأحمد [٤٧] في ١٧ فبراير ١٩٧٦م القيادي في منظمة التحرير الفلسطينية محمود عباس حيث شرح الأخير الموقف السياسي والعسكري للمنظمات الفلسطينية في لبنان وفي ختام ذلك اللقاء أكد رئيس الوزراء الكويتي دعم حكومته للمقاومة الفلسطينية في كافة المجالات [٤٨].

ومع مطلع مارس ١٩٧٦م شهدت الساحة اللبنانية المزيد من التأزم والارتباط ففي ١١ من ذلك الشهر وقع انقلاب عسكري قاده العميد عزيز الأحدب [٤٩] والذي طالب بإقالة رئيس الجمهورية سليمان فرنجية [٥٠] وانتخاب رئيس جديد للبنان [٥١] وكان ذلك الانقلاب سببًا في زيادة التوتر ففي الوقت الذي أيدته القوى الإسلامية فإن الفئات المسيحية رفضته وأدى ذلك التباين إلى انقسام الجيش اللبناني على أسس طائفية فاتسعت دائرة العنف وشملت بيروت والمناطق اللبنانية الأخرى [٥٢].

وإزاء تلك التطورات دعت الحكومة الكويتية في ٢٩ مارس ١٩٧٦م جميع الأطراف إلى التعقل وتغليب المصلحة الوطنية وأكدت استعدادها لدعم أي حل سلمي للأزمة اللبنانية [٥٣].

وفي أبريل ١٩٧٦م ازدادت الأوضاع تعقيدًا وأخذت المشاريع المختلفة تتصارع في لبنان ففي ١٠ من ذلك الشهر وبعد مطالبات بإقالة رئيس الجمهورية سليمان فرنجية نجح مجلس النواب اللبناني في القيام بتعديل دستوري أجاز انتخاب رئيس جديد للجمهورية قبل نهاية ولاية الرئيس سليمان السابق بستة أشهر [٥٤] وبعد يومين من ذلك التعديل أعلن الرئيس السوري حافظ الأسد [٥٥] استعداده لإقناع الرئيس سليمان فرنجية بالاستقالة بعد انتخاب رئيس جديد للبنان ولكنه أبدى في ذات الوقت استعداد حكومته للتدخل عسكريًا في لبنان [٥٦] ووضع نهاية للحرب الأهلية [٥٧].

إلا أن ذلك الأمر أثار استياء القوى التقدمية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط التي أعلنت في ذات اليوم أن القوات السورية تلاقي مقاومة شديدة من قبلها ومن قبل المنظمات الفلسطينية إذا ما قررت الدخول إلى لبنان [٥٨] ويمكن القول أن تدخل سوريا المباشر في لبنان وإمكانية تصادمها مع المنظمات الفلسطينية جعل الأزمة اللبنانية أكثر تعقيدًا من ذي قبل.

وإدراكًا منها لذلك التعقيد دعت الكويت في ٢٧ أبريل ١٩٧٦م الأطراف المتصارعة في لبنان إلى وقف القتال وحذرت من مخاطر ذلك الصراع على الأوضاع العربية [٥٩] وحينما تم انتخاب إلياس سركيس [٦٠] رئيسًا للجمهورية اللبنانية في ٨ مايو ١٩٧٦م [٦١] رحبت الحكومة الكويتية بذلك وأعربت في ذات اليوم عن أمنياتها بنجاح الرئيس الجديد في أداء مهامه ووضع نهاية للحرب الأهلية [٦٢].

إلا أن الأوضاع في لبنان لم تستتب بعد انتخاب الرئيس الجديد ففي ذات اليوم الذي انتخب فيه أعلنت القوى التقدمية في ختام اجتماع لها رفضها لنتائج الانتخابات ودعت أنصارها إلى مواصلة القتال [٦٣] ومع استمرار حالة التأزم والتواتر أعلن الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان (Giscard Destaing) في ٢٢ مايو ١٩٧٦م استعداد حكومته لإرسال قوات إلى لبنان لحفظ الأمن والمساهمة في وقف القتال إذا ما طلب الرئيس المنتخب ذلك [٦٤].

وإزاء ذلك أعلنت الحكومة الكويتية في ٢٣ مايو ١٩٧٦م رفضها الاقتراح الفرنسي وأبدت رغبتها بحل الأزمة من قبل اللبنانيين أنفسهم ومن ثم العرب وصرح وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء عبد العزيز حسين في ذلك اليوم قائلًا : "أن الكويت تعارض إرسال قوات فرنسية إلى لبنان وأنها تأمل في أن يتمكن لبنان من تسوية شؤونه بنفسه وإذا لم يكن ذلك ممكنًا فإن الكويت تفضل مسعى سياسيًا عربيًا لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية" [٦٥].

وفي ١٦ أكتوبر ١٩٧٦م اجتمع الرؤساء "أنور السادات" و"حافظ الأسد" و"إلياس سركيس" وأمير دولة الكويت و"ياسر عرفات" في الرياض من أجل وضع حل لحرب لبنان وأهم قرارات التي خرج بها مؤتمر القمة السداسي هي :

- ضمان عربي لسيادة لبنان ووقف القتال بداية من صباح الخميس ٢١ أكتوبر ١٩٧٦م بالإضافة إلى تأليف قوة ردع عربية من ٣٠ ألف جندي بإمرة رئيس جمهورية لبنان.
- يجب على منظمة التحرير الفلسطينية تنفيذ اتفاقية القاهرة، ولتنفيذ هذه القرارات يجب أن تتولى لجنة من مندوبين عن السعودية ومصر وسوريا والكويت بالتنسيق مع الرئيس اللبناني [٦٦]، حيث انتهى هذا المؤتمر بتحقيق المصالحة، وبتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٧٧م تم عقد اتفاق "شتورا"[٦٧] حضره كل من الحكومة اللبنانية وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية حيث نص هذا المؤتمر على إنهاء القتال في الجنوب اللبناني، وسحب المقاتلين عن الحدود [٦٨].

الكويت واتفاقية الطائف ١٩٨٩م

كلفت الحرب الأهلية اللبنانية أهلها خسائر بشرية قربت ٦٢ ألف قتيل، و٨٣ ألف جريح [٦٩]، فضلًا عن خسائر اقتصادية كبيرة طالت الاقتصاد اللبناني وأضرت في الدخل القومي للبلد، وتأثرت مداخيل اللبنانيين لاسيما بعد الهبوط الحاد بالإنتاج المحلي، وهبوط القيمة الخارجية

للعملة مع استمرار ازدياد التضخم، كل هذا ولد أضرارًا وآثارًا سيئة على أوضاع الطبقات الوسطى والدنيا للشعب اللبناني [٧٠]. هذا الانهيار ترافق مع ازدياد التوترات الأمنية والسياسية [٧١]، فمع قرب موعد انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل [٧٢]، في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٨م لم تتوصل الأطراف المارونية إلى تسمية مُرشح توافقي على الرغم من طرح العديد من الأسماء منهم سمير جعجع [٧٣]، قائد القوات اللبنانية، وميشال عون [٧٤]، وسليمان فرنجية، وميخائيل ظاهر [٧٥]، ومع تداول هذه الأسماء أراد الرئيس أمين الجميل القيام بمناورات سياسية بغية الوصول إلى تمديد آخر لولايته المنتهية، وبناء على تلك المُعطيات كان سليمان فرنجية المرشح الأقرب لرئاسة الجمهورية بعدما كان أكثر المرشحين قبولًا من سوريا، ولكنه لم يستطع الحصول على إجماع بسبب مُعارضة حزب الكتائب لترشحه [٧٦].

برزت على الساحة اللبنانية تجاذبات من طرفين، الأول دعت إليه حركة (أمل) بإجراء إصلاحات سياسية قبل خوض الانتخابات الرئاسية، والثاني عبرت عنه القوات اللبنانية بوضع سياسة الفيتو على عدد من المرشحين أبرزهم ميشال عون وريمون ادة وسليمان فرنجية فضلًا على النائب ميخائيل ظاهر على الرغم من أنه كان الاتفاق الأمريكي السوري بين الأسد – ريتشارد مورفي (Richard Murphy) [٧٧] لترشيحه لرئاسة الجمهورية ، أراد الرئيس أمين الجميل بالتعاون مع ميشال عون بتعطيل وتأخير عقد جلسة مجلس النواب التي كانت من المرجح أن تعقد لانتخاب سليمان فرنجية في ١٨ من أغسطس ١٩٨٨م، وبالفعل قام الجيش اللبناني والقوات اللبنانية [٧٨] بمنع بعض النواب من الوصول وأدى إلى عدم اكتمال نِصاب الجلسة ولم يُنتخب رئيس للبنان [٧٩]. وصلت الأزمة اللبنانية إلى مُنزلق خطير جدًا [٨٠]، وشهدت لبنان فراغًا دستوريًا بسبب تعذر اختيار رئيس للجمهورية فضلًا عن الانقسام الطائفي في الجيش اللبناني وتحوله إلى مليشيات إسلامية ومسيحية حيث ترك أمين الجميل الحكم ولم يكن هناك اتفاق على اختيار رئيس للجمهورية مما دفع الرئيس الجميل وفي منتصف ليلة ٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨م بإصدار مرسوم جمهوري (٥٣٨٧) نص أولًا بتكليف حكومة عسكرية انتقالية برئاسة العماد ميشيل عون قائد الجيش [٨١]، وثانيًا بتشكيل وزراء من بعض العسكريين [٨٢].

سيطرت الحكومة العسكرية الانتقالية على عدة مناطق أبرزها جبيل والمتن وكسروان ونصف بيروت بينما سيطرت القوات السورية على نصف بيروت والشمال والبقاع والجبل وثُلثي

الجنوب [٨٣]، وغدت في لُبنان حكومتان، الأولى : برئاسة سليم الحص المُشكلة مُسبقًا في المناطق الغربية من بيروت رافعة شعار الرفض الإسلامي لأية حكومة أخرى، وعدت الحكومة العسكرية الانتقالية بأنها غير شرعية، والثانية : حكومة برئاسة العماد ميشيل عون في المناطق الشرقية من بيروت [٨٤].

دفعت الأحداث المتوترة في لبنان إلى طرح العديد من المبادرات والاقتراحات، ونشطت المساعي الدبلوماسية لإنهاء الحرب [٨٥]، أسهمت في صناعتها وصياغتها أطراف داخلية وعربية ودولية [٨٦]، لاسيما بعد رفض ميشيل عون إجراء الانتخابات، وتعقد الوضع الداخلي في البلاد إذ لم يكن اجتماع النواب اللبنانيين على الأراضي اللبنانية لحل الأزمة ممكنًا؛ بسبب الاعتبارات الأمنية التي كانت تشهدها الساحة المحلية، وعدم وجود موقع أو مقر حيادي، وعقد أي مؤتمر في أي منطقة سيكون معرضًا لتأثيرات أو محكومًا بضغط عسكري أو سياسي بفضل السيطرة الأمنية لأي فريق من الطرفين [٨٧].

في هذه الأثناء عقد وزراء خارجية الدول العربية في ١٩٨٩/١/١٢م، بمقر جامعة الدول العربية اجتماعًا بدورة غير عادية في تونس، وتناولوا القضية اللبنانية باهتمام واسع، ولمواجهة الأخطار المتعددة التي تهدد لبنان شُكلت لجنة سُداسية برئاسة وزير الخارجية الكويتي صباح الأحمد [٨٨]، وعُضوية كل من وزراء خارجية الأردن، الجزائر، السودان، تونس، والإمارات العربية المتحدة فضلًا عن السيد الأخضر الإبراهيمي [٨٩]، الأمين المساعد لجامعة الدول العربية الذي عُين ممثلًا للجنة، وكانت مهمتها مساعدة الفرقاء السياسيين للوصول إلى أرضية مشتركة للخروج من الأزمة [٩٠]، بدأت اللجنة أعمالها بتوجيه دعوتها للأطراف اللبنانية [٩١]، للحضور ولقاء اللجنة في ٢٩ من يناير ١٩٨٩م، في تونس لعرض وُجهات نظرهم في سبيل حل الأزمة فضلًا عن دعوتها للمرجعيات الدينية اللبنانية للحضور في الكويت للفترة بين ٢٠ – ٢٣ فبراير من العام نفسه للاستماع إلى آرائهم، وإعداد صيغة توافقية لحل الأزمة [٩٢]، بذلت اللجنة جُهودًا كبيرة لتنفيذ هذه المهمة، لكن مساعيها اصطدمت بعقبات كبيرة [٩٣]، لاسيما بعد أن سلمت القوات اللبنانية الحوض الخامس في مرفأ بيروت للجيش اللبناني في أواخر فبراير ١٩٨٩م، وإصدار العماد ميشال عون رئيس الحكومة الانتقالية في ٦ مارس من العام نفسه قرارًا يمنع كل السفن والبواخر غير الشرعية حيث أمر سلاح البحرية لتنفيذ هذا القرار [٩٤]، لم توافق حكومة سليم

الحص على إجراءات ميشال عون مُتهمتها بتضييق الخناق على المناطق الإسلامية التابعة لسيطرتها، بناءً على ذلك رد ميشال عون بإغلاق مطار بيروت [٩٥]، وفي ١٤/مارس /١٩٨٩م، قصفت المليشيات مرفأي بيروت وجونية ببعض القذائف ردًا على حصار موانيها غير الشرعي، فرد ميشال عون بقصف مدينة الأونسكو في بيروت الغربية وقصفت القوات السورية وكذلك المتعاونون معها وزارة الدفاع اللبنانية فأُصيب مكتب ميشيل عون ولم يكن فيه، وبمساء اليوم نفسهِ أعلن ميشال عون حربًا على السوريين والمتعاونين معهم أسماهم بحرب التحرير بعدما شعر بأن سورية عازمة على الوقوف ضده ولم تكن معه ولم تدعمه في الحصول على رئاسة الجمهورية [٩٦]، بعدها تبادل الطرفان المُتحاربان القصف على مناطق الطرف الآخر [٩٧].

طلب العماد ميشيل عون من السفير الأمريكي في بيروت جون مكارثي في أوائل أبريل ١٩٨٩م، أن تتولى واشنطن نقل رسالة إلى دمشق تتضمن إقامة علاقات جيدة معها بعد ما تتعهد سوريا بانسحابها من لبنان، وأبدى عون استعداده لإقامة استفتاء شعبي وبإشراف دولي وعربي لمعرفة رأي اللبنانيين ببقاء القوات السورية أو الرحيل [٩٨]، هنا اشترطت حركة (أمل) على الانسحاب السوري بانسحاب آخر جندي (إسرائيلي) من الأراضي اللبنانية مع العملاء المتعاملين معها فضلًا عن حصول وفاق لبناني – لبناني على إيجاد نظام جديد للبنان، وأهم بنوده الوفاق والتوافق على الجيش وعقيدته [٩٩].

انعقد في ١٨ أبريل ١٩٨٩م، في بكركي اجتماعًا حضره ٢٣ نائبًا مسيحيًا بعد ما دعا له البطريك الماروني نصرالله بطرس صفير [١٠٠]، وخرج ببيان شكل صدمة لميشال عون ولخياراته السياسية والعسكرية إذ أدانوا القصف الذي طال المدنيين، ودعون إلى وقف فوري وشامل لإطلاق النار، وأن يكون الجيش اللبناني مسؤولًا عن تنفيذه في أماكن وجوده فضلًا عن الجيش السوري يكون مسؤولًا عن المناطق التي تكون تحت نطاقه مع توجيه نداء لمجلس الأمن الدولي ومُنظمة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بالتدخل السريع لإيقاف المجازر الجماعية [١٠١].

على ضوء تلك التطورات طلبت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وفرنسا من بعض الدول العربية التحرك من أجل إيجاد صيغة مخرج لحل المشكلة اللبنانية [١٠٢]، فسارع القادة العرب لعقد مؤتمر القمة العربي غير العادي في الدار البيضاء في المغرب بين ٢٣ – ٢٦ مايو ١٩٨٩م، فاتخذت القمة تشكيل لجنة عربية برئاسة العاهل السعودي فهد بن عبد العزيز

[١٠٣]، والملك المغربي الحسن الثاني [١٠٤]، والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد [١٠٥]، وتعيين الأخضر الإبراهيمي لإدارة هذه اللجنة [١٠٦]، للخروج من الأمة اللبنانية حددت اللجنة العليا في ٢٦ مايو ١٩٨٩م، في الدار البيضاء الأهداف الآتية [١٠٧] :

أولًا : عقد اجتماع للنواب اللبنانيين؛ لوضع صيغة للوفاق والإصلاحات السياسية ويكون داخل أو خارج لبنان.

ثانيًا : عقد اجتماع للمجلس النيابي للتصديق على صيغة الاتفاق والإصلاحات السياسية.

ثالثًا : تأليف حكومة وفاق وطني، تلتزم بوثيقة الوفاق، ولابُد أن تعمل على وضعها موضع التنفيذ.

رابعًا : دعم حكومة الوفاق في اتخاذ الإجراءات الضرورية لممارسة السيادة الكاملة على الأرض اللبنانية.

خامسًا : إعطاء مُهلة ستة أشهر لإنجاز المهمة [١٠٨].

نشطت اللجنة المكلفة ووضعت الخطوط العريضة لوثيقة الوفاق، وكان للسيد الأخضر الإبراهيمي دور فيها، وفي ١٥ سبتمبر ١٩٨٩م، أعلنت اللجنة في بيان لها عن خطة تتكون من سبع نقاط أهمها : وقف فوري وشامل لإطلاق النار، ودعوة النواب اللبنانيين إلى الاجتماع في ٣٠ سبتمبر من العام نفسه في مدينة الطائف السعودية إذ كان سبب اختيار الطائف لإبعاد النواب عن أجواء الضغوطات الممكنة من أطراف النزاع والوعيد والتهديد، وسهولة تأمين مُتطلبات المُؤتمر وحاجاته، والتحكم بمسار الإعلام، والتأكيد على المسؤولية العربية تجاه الأزمة اللبنانية [١٠٩].نجحت الجهود المحلية والعربية والدولية على حمل النواب اللبنانيين للاجتماع والسفر في الخارج لمناقشة الوثيقة العربية، وقد مثلت هذه الخطوة نقلة نوعية مهمة للانتقال من حالة الحرب إلى السلم، على الرغم من العقبات التي وقفت ضدها لاسيما من سوريا وحكومة ميشال عون [١١٠].

وصل النواب اللبنانيون يوم ١٩٨٩/٩/٢٩م، إلى الطائف بعد ما وُجهت لهم دعوة من السعودية مُباشرة، وكان عددهم اثنان وستون نائبًا من أصل ثلاثة وسبعين [١١١]، وأفتتح المُؤتمر في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩م، تحت شعار (إن الفشل ممنوع) [١١٢]، بعدما ألقى الأمير سعود الفيصل [١١٣]، كلمة نيابة عن الأمير فهد وباسم اللجنة الثلاثية العربية [١١٤].

تركزت المساعي في الطائف على إجراء تعديلات دستورية في تركيبة النظام السياسي اللبناني صلاحيات الرؤساء الثلاثة، والتعديلات التي تُراعي خُصوصيات الطوائف، وأسست لإنهاء الحرب اللبنانية، في إطار سياسي يُراعي الحد المقبول عند الفرقاء مع التنازلات [١١٥].

وبعد المباحثات الطويلة التي استمرت لغاية يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٨٩م، تم عقد اجتماع للنواب اللبنانيين برئاسة حسين الحسيني في قصر المؤتمرات في السعودية، أقرت وثيقة الطائف بأغلبية ثمانية وخمسين صوتًا وامتناع النائب حسن الرفاعي ومعارضة أثنين، وهما النائبان زاهر الخطيب وتوفيق عساف [١١٦].

وفي ٥ نوفمبر ١٩٨٩م، تم تصديق وثيقة الطائف من قبل مجلس النواب في جلسته المنعقدة في مطار القليعات بشمال لبنان، وأُنتخب حسين الحسيني رئيسًا للبرلمان، وعلى إثرها عُقدت جلسة ثانية للمجلس النيابي، وأُنتخب فيها رينه معوض [١١٧] رئيسًا للبنان [١١٨].

وأُجبر ميشال عون على مغادرة القصر بالقوة في ١٣ من أكتوبر ١٩٩٠م، والذهاب إلى السفارة الفرنسية في لبنان في مدينة الحازمية مطالبًا بعدها باللجوء إلى فرنسا وبعد مغادرته في ٢٩ أغسطس ١٩٩١م، وانتهت الحرب الأهلية في لبنان [١١٩].

موقف الكويت من الوجود السوري في لبنان :

بعد خروج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن على إثر الأحداث الدامية هناك وتوجه معظمهم إلى لبنان الذي أصبح قاعدة العمليات الفلسطينية ضد إسرائيل، مما جعله عرضة للغارات الإسرائيلية الانتقامية [١٢٠]، وبالتالي أثار سخط الحكومة اللبنانية والسكان المحليين الذين ضاقوا ذرعًا بالوجود الفلسطيني في لبنان [١٢١]؛ فكانت السعودية تحاول تهدئة الأوضاع وتدعو إلى العودة لاتفاقية القاهرة التي تنظم الوجود الفلسطيني في لبنان؛ إذ كانت الكويت تهدف إلى الإبقاء على المقاومة الفلسطينية في لبنان، وحماية نشاطها العسكري والمؤسساتي، مقابل احترامها للسيادة اللبنانية [١٢٢].

بذلت الكويت مساعيها لوقف تلك الحرب، وأخذت تعمل على تسوية النزاع بين الفرقاء، سالكة مسلكًا جلبها الوقوع كطوف في تلك الحرب، وحافظ على مصداقيتها لدى الأطراف، حيث أصدر الديوان الأميري الكويتي بيانًا بتاريخ ١٩٧٥/٤/١٥م، ناشد فيه جميع الأطراف ضبط النفس، والتحلي بالصبر، ووضع حد للاستفزازات التي لا يستفيد منها إلا العدو [١٢٣]، عقب ذلك

استقبل الملك خالد الرئيسين السوري حافظ الأسد والمصري السادات في قمة ثلاثية بالرياض ما بين ٢١ – ١٩٧٥/٤/٢٢م، وتباحثوا في سبل تحقيق التعاون العربي، وبعثوا برسالة جماعية للرئيس اللبناني آنذاك، سليمان فرنجية لتحذيره من عواقب تصفية المقاومة الفلسطينية [١٢٤].

بمتابعة الدور الكويتي نجده تميز بهدف محدد وثابت، يتمثل في تحقيق الوفاق الوطني اللبناني بين الأطراف اللبنانية المتصارعة من ناحية، وبينها وبين فصائل المقاومة الفلسطينية من ناحية أخرى، وهي سياسة سعودية تقوم على أساس تسوية النزاعات العربية، وتحقيق تضامن عربي شامل؛ يكون القاعدة التي تقوم عليها إستراتيجية التصدي لإسرائيل، والضغط عليها بعد أن فرضت نفسها طرفًا في ذلك الصراع، وهو ما جنبها الفشل والتورط العسكري في الأزمة، كما حصل مع غيرها من الدول مثل فرنسا والولايات المتحدة [١٢٥].

حاولت الكويت للتوفيق بين الطرفين اللبناني والفلسطيني؛ حيث قام السفير الكويتي في لبنان ، بالتوسط في أكثر من مناسبة بين الفلسطينيين واللبنانيين، وحاولت تقريب وجهات النظر بين منظمة التحرير الفلسطينية من جهة، والحكومة اللبنانية والميليشيات المسيحية من جهة أخرى؛ لإدراكها ضرورة حل المشاكل بالطرق السلمية، وعملت على التوفيق بين الرئيس اللبناني سليمان فرنجية ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات [١٢٦]، رغم محاولة لبنان استمالتها إلى جانبه، بإقناعها أن اليساريين الفلسطينيين يتحملون مسؤولية الأحداث الدامية في لبنان ([١٢٧])، إلا أنها حافظت على حيادها كوسيط توفيقي، بدعوتها للوحدة الوطنية اللبنانية؛ باعتبارها شرطًا أساسيًا لسلامة لبنان واستقراره، وضمان الوجود الفلسطيني في لبنان، خوفًا من اتهامها بالانحياز لأحد أطراف الصراع [١٢٨].

ومع اشتداد الاشتباكات واستمراريتها صدر بيان كويتي عبر عن أسفه من تلك الأحداث الدامية، وحث الأطراف على التحلي بضبط النفس، وعدم إفساح المجال أمام العناصر المتطرفة لأن تسير بالبلد إلى الهاوية، ودعا إلى إحراز تفاهم بين القوى اللبنانية وقادة المقاومة الفلسطينية بحيث تتمكن المقاومة من تحرير وطنها السليب [١٢٩]، كما ساهمت في إصدار بيان خلال الاجتماع غير العادي لوزراء الخارجية العرب أواخر صيف ١٩٧٥م، مع غالبية الدول العربية باستثناء سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، أعرب فيه عن التقدير لمساعي الحكومة اللبنانية لوقف نزيف الدم الحاصل في لبنان [١٣٠].

وعلى إثر قيام القوات اللبنانية مطلع عام ١٩٧٦م بتطويق بعض المخيمات الفلسطينية مثل تل الزعتر والضبية والباشا [١٣١]، انضمت القوات الفلسطينية إلى تحالف التيار التقدمي، واستولت على دينة الدامور المسيحية [١٣٢]، مما جعل سوريا تتدخل هي الأخرى في تلك الحرب من خلال دخول جيشها الأراضي اللبنانية بناءً على دعوات المسيحيين، وتساهم في حصار المخيمات الفلسطينية إلى جانب المليشيات المسيحية [١٣٣].

أدى التدخل السوري إلى إصدار الحكومة الكويتية بيانًا عبرت فيه عن قلقها لمثل هذا التصرف، موضحةً أن حصار عشرات الآلاف من الفلسطينيين في المخيمات، يتعارض مع كل التشريعات السماوية والأعراف الدولية والقيم الإنسانية [١٣٤]، وحاولت وفقًا لما يرويه صلاح خلف "إقناع منظمة التحرير بالتخلي عن تحالفها مع اليسار اللبناني، وخاصة الحزب التقدمي الاشتراكي، بزعامة كمال جنبلاط، كونه حزبًا يساريًا يهدف إلى تغلغل الشيوعية لمنطقة الشرق الأوسط، مقابل استمرارها في دعم وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية [١٣٥].

واصلت الكويت جهودها الدبلوماسية لاحتواء الأزمة الجديدة الناشئة عن التدخل السوري المنفرد في لبنان، حيث عمل كل من أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح(١٩٧٧-٢٠٠٦م) والملك السعودي خالد ابن عبدالعزيز على تسوية الخلافات التي نشأت بين سوريا والقيادة الفلسطينية [١٣٦]، لكن الكويت رفضت المشاركة في قوات حفظ السلام العربية المزمع إرسالها إلى لبنان؛ إلا إذا تحققت مجموعة شروط، أبرزها تقديم تعهد مكتوب من أطراف النزاع بتسهيل عملها، وعدم التعرض لها، والقبول بقرارات الجامعة العربية بخصوص لبنان، هذا بالإضافة إلى تشكيل قيادة موحدة لتلك القوات [١٣٧].

التدخل الكويتي الفعال والمباشر في الأزمة اللبنانية جاء بعد سنة من اندلاعها؛ إثر دعوتها إلى ضرورة وقف إطلاق النار في لبنان، وتحذيرها من امتدادها إلى كافة الدول العربية، وإعلان الشيخ جابر الأحمد الصباح عن مشاركة فرق كويتية في قوات الردع العربية المزمع إرسالها إلى لبنان، وهو ما فسر بأنه دعم للفلسطينيين، نتيجة لتعاقب الوساطات الفاشلة من قبل سوريا، ومصر، والولايات المتحدة، وفرنسا، والفاتيكان، وإيران التي دعت لعقد قمة إسلامية لبحث الأزمة وسبل حلها [١٣٨].

وخلال حزيران أصبحت الكويت محط أنظار القادة العرب، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة سداسية من أجل العمل على حماية الفلسطينيين في لبنان [١٣٩]، خوفًا من ان يعمد المسيحيون اليمنيون إلى المغالاة في علاقتهم بإسرائيل ومعركتهم ضد الفلسطينيين مما ينتج عنه امتداد رقعة الحرب [١٤٠]، مما جعل ياسر عرفات يمتدح الدور الكويتي الساعي لإيجاد مخرج للمحنة التي يجتازها الشعبان الفلسطيني واللبناني [١٤١].

كان تدخل الكويت كوسيط في الأزمة ، من شأنه أن ينهي الأزمة اللبنانية، ويحمي الفلسطينيين بعد أن التزمت الصمت من التدخل السوري المنفرد وضرب الفلسطينيين [١٤٢].

ومنذ يوليو ١٩٧٦م بدت الكويت رافضةً للتدخل السوري المنفرد في لبنان، وعملت على إرسال مساعدات غذائية وطبية عاجلة إلى المتضررين الفلسطينيين جراء ذلك الحصار [١٤٣]، وتقدمت بعدة مبادرات لوقف القتال الدائر في لبنان، والعمل على إعادة العلاقات الطبيعية بين الفرقاء اللبنانيين من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا من جهة أخرى [١٤٤]، وطالبت باستمرار انعقاد المؤتمر حتى يتم التوصل لحل بوقف المجازر ضد الفلسطينيين في لبنان [١٤٥].

من ناحية أخرى وافقت الكويت على قرار مجلس الجامعة العربية الذي أقر بإرسال قوات الردع العربية للعمل على حل الأزمة اللبنانية، وإحلال السلام في لبنان، وأعلنت أن قواتها في دمشق جاهزة بانتظار إشارة الأمين العام للجامعة العربية لدخول لبنان [١٤٦]، وبالفعل قامت بإرسال قواتها إلى لبنان للمشاركة في وقف إطلاق النار، والفصل بين المجموعات المشاركة فيه ضمن قوات الردع العربية التي كانت بإمرة رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٧٧م [١٤٧].

بعد قيام ياسر عرفات بمطالبة الكويت بالتدخل، والتوسط لدى السوريين لإنهاء القتال، قامت الكويت بنشاط دبلوماسي مكثف لأجل وضع حدٍ للأزمة اللبنانية من خلال الزيارات، والرسائل، والاتصالات التي قامت بها القيادة الكويتية مع مختلف الفرقاء [١٤٨]، ومارست دورًا للتوفيق بين الأطراف المختلفة، وخاصة بين سوريا والمقاومة الفلسطينية، لكن جهود أمير الكويت مع الرئيس الأسد لم تثمر عن نتيجة، مما دفعه إلى إصدار تصريح جاء فيه أن تعاظم القتال حول المخيمات الفلسطينية، وخاصة تل الزعتر لا يمكن السكوت عليه [١٤٩].

جسدت الكويت تصريحاتها وتوجت تدخلها بالمشاركة في القمة المصغرة في الرياض ما بين ١٦ – ١٨/١٠/١٩٧٦م، والتي جمعت القيادة السورية، والفلسطينية، واللبنانية، والمصرية،

تخللها وساطات لحل الخلاف بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة، والفصائل اللبنانية ومنظمة التحرير من جهة أخرى [١٥٠]، أسفرت عن اتفاق لوقف القتال السوري الفلسطيني، وفي ذلك يقول وليم كوانت : "خلال ساعات من عقد المؤتمر تغير مجرى الأحداث في العالم العربي، وانتهت الأزمة [١٥١]، وأبرز ما اتخذ في تلك القمة من قرارات كان :

١. وقف إطلاق النار في كافة أرجاء لبنان اعتبارًا من ١٩٧٦/١٠/٢١م.

٢. تعزيز قوات الأمن العربية لتصبح ٣٠٠٠٠ جندي يعملون بإمرة رئيس الجمهورية اللبنانية.

٣. إعادة الحياة الطبيعية في لبنان إلى ما كانت عليه قبل الأزمة.

٤. تنفيذ اتفاقية القاهرة لعام ١٩٦٩م وملاحقها، والالتزام بمضمونها نصًا وروحًا.

٥. إقرار منظمة التحرير بوحدة الأرض اللبنانية وسيادة حكومته، وعدم تدخلها في شؤونه الداخلية.

٦. تتعهد الدول العربية باحترام سيادة لبنان واستقلاله.

٧. التأكيد من قبل الحضور على قرارات قمتي الجزائر والرباط القاضيتين بمساندة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلًا شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني، واحترام حقه المشروع في كفاحه بكافة الوسائل لاسترداد حقوقه الوطنية.

٨. انسحاب القوات الفلسطينية إلى المناطق المحددة لهم بموجب اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩م وتسليم أسلحتهم الثقيلة [١٥٢].

تلك القمة التي شاركت فيها الكويت وضعت حدًا للأزمة اللبنانية، والقتال الدائر هناك، واعتبرت نجاحًا للكويت، كونها أدت إلى وضع نهاية لحرب أهلية مؤقت لبنان، بجميع فئاته وألوانه السياسية [١٥٣]، وكان حلها دليلًا واضحًا على جدارة السياسة الكويتية، التي تصرفت بشكل يوحي بأن إخفاق المؤتمر يُعد خسارة كويتية، فعملت على إنجاح هذا المؤتمر من خلال تقديم الأموال لكل من سوريا ومصر [١٥٤]، ويعود نجاح هذه القمة إلى الضمانات التي أعطتها الكويت لرئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات بمساندته ضد جبهات الرفض الفلسطينية؛ كونها تعتبرهم متطرفين [١٥٥].

بعد أسبوع من مشاركة الكويت في قمة الرياض شاركت الكويت أيضا في القمة الموسعة التي عقدت في القاهرة بتاريخ ١٩٧٦/١٠/٢٥م وصادقت على قرارات قمة الرياض، وأقرت بأن تقوم الدول العربية؛ كل حسب إمكانياتها بالمساهمة في إعادة إعمار لبنان [١٥٦]، وبعد هذا العرض يمكنني مشاطرة الرأي القائل بأن موقف الكويت من الأزمة اللبنانية تميز بعدة أمور أهمها :

١. أنه رافق الأزمة اللبنانية دون توقف منذ اندلاعها عام ١٩٧٥م.

٢. أنه لم يخرج عن إطاره التوفيقي والإصلاحي سواء بين الأطراف المتصارعة أو بين هذه الأطراف اللبنانية والمقاومة الفلسطينية.

٣. أنه كان القوة الأساسية المؤثرة على السياسة الأمريكية من أجل الضغط على إسرائيل بعد أن أصبحت هي الأخرى طرفًا في الصراع.

٤. أن الكويت كانت الدور الخارجي –مع السعودية– الذي لقي تجاوبًا من مختلف الأطراف المتصارعة وعلقت الآمال عليه [١٥٧].

مما سبق يتضح أن الدور الكويتي كان هامًا ومتقدمًا في حل الأزمة اللبنانية حينما تمكنت من جمع الأطراف في مؤتمر هام، ووضع الأسس لحل الأزمة، ويبدو لي أن التأني الكويتي في العمل على إنهاء الأزمة اللبنانية مرده إلى رغبتها في استنفاذ القوى وبرود النفس عند المتحاربين؛ حتى تتمكن من فرض شروطها على الجميع، ويكون تدخلها ذا جدوى وفائدة ويحقق أهدافه.

الهوامش:

(١) حزب الكتائب اللبنانية , تأسس في العام ١٩٣١م وأبرز مؤسسيه بيار الجميل، شارل حلو، جورج نقاش، شفيق ناصيف، حاول ذلك الحزب نشر أفكاره بين أبناء الطائفية المسيحية وقامت تلك الأفكار على أساس تعزيز الانتماء الوطني والإيمان بوجود أمة لبنانية مستقلة موازية للأمة العربية وليست جزءًا منها كما أمن ذلك الحزب بالحريات الكاملة ورفع شعار (الله، الوطن، العائلة). ثامر عناد تركي فهد المحلاوي، **الأحزاب السياسية في لبنان ١٩٢٠ – ١٩٥٨** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠١٠م، ص. ص ٦٠ – ٦٣.

(٢) محمد كشلى , **الأزمة اللبنانية والوجود الفلسطيني**، دار ابن خلدون، ١٩٧٥، ص ٧.

(٣) هيثم الأيوبي, **طبيعة الحرب اللبنانية**، مجلة شؤون فلسطينية، دار المنظومة، فلسطين، العدد ١٩٧٧، ٦٢، ص. ص ٧٥، ٧٦.

(٤) عدنان فحص , **الحرب اللبنانية (أسباب ونتائج)** دار الحسام، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٧ ، ٢٨.

(٥) عناي إبراهيم مجيد حوراني الجنابي , **كميل شمعون ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٠ – ١٩٨٧**، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب – جامعة الأنبار، العراق، ٢٠١١، ص ٢٥٨.

(٦) عارف العدد, مرجع سابق، ص. ص ١٣٠ – ١٣١.

(٧) عين الرمانة , إحدى الضواحي ذات الأغلبية المسيحية تبعد ١٧كم عن العاصمة بيروت وتتبع إداريًا لقضاء عالية في محافظة جبل لبنان. زمن ناصر عزيز الخفاجي، **الموقف السوري من القضية الفلسطينية ١٩٧٠ – ١٩٨٢**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٥، ص ١١٤.

(٨) صحيفة القدس المقدسية، ١٩٧٥/٤/١٤م، ع٢٠٠٣؛ شفيق الريس, مرجع سابق, ص. ص ٨١ – ٨٢.

(٩) نصار غلمية : مرجع سابق، ص ١٦ ، ١٧.

(١٠) عناي إبراهيم مجيد حوراني الجنابي , مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(١١) جاد سعيد , **الوحدة الوطنية بين الثورية الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، طبيعتها**، تطورها وأشكالها، مجلة شؤون فلسطينية، دار المنظومة، فلسطين، العدد ٦٠، ١٩٧٦، ص ٧٩.

(١٢) آخرون بريغمان، جيهان الطبري , مرجع سابق , ص ١٨٩؛

Michael Simpson, “The Palestinians and the Gulf Crisis,” in Ibrahim Ibrahim (ed.), The Gulf Crisis: Background and Consequences (Washington, DC: Center for Contemporary Arab Studies, ١٩٩٢), pp. ٢٤٧–٢٧٤; Philip Mattar, “The PLO and the Gulf Crisis,” Middle East Journal, ٤٨, No. ١ (Winter ١٩٩٤), pp. ٣١–٤٦.

(١٣) فؤاد مطر , **سقوط الإمبراطورية اللبنانية**، ج٢ المخاض، دار القضايا، ١٩٧٨، ط٢، ص ٧٣.

(١٤) محمد يوسف العدساني , عضو مجلس الأمة عام ١٩٦٣ وتولى في عام ١٩٧٦ منصب وزير التخطيط ثم وزير الأشغال في العام ١٩٧٨. وتولى رئاسة مجلس الأمة في العام ١٩٨١. للمزيد ينظر الرابط :
Accessed 17/6/2019 https://ar.wikipedia.org.

(١٥) عبد العزيز حسين , عين سفيرًا للكويت في الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٦١،وشغل منصب وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في الفترة ١٩٦٣ – ١٩٦٥، توفي في العام ١٩٩٢. حمد محمد السعيدان، **الموسوعة الكويتية المختصرة**، ج١، الكويت، ١٩٧١، ص ٤٢٠.

(١٦) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤١٢٣، ١٥ نيسان ١٩٧٥م؛

Michel Johnson , **All Honorable men , the social origins of war of Lebanon** , center of Lebanese studies , London , 2001, P 241

(١٧) جريدة الأنوار، بيروت، العدد ٥١٨٦، ١٧ نيسان ١٩٧٥.

(١٨) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤١٢٩، ٢١ نيسان ١٩٧٥.

(١٩) جريدة الدستور، عمان، العدد ٢٨٠٧. ٢١ أيار ١٩٧٥.

(٢٠) مرتضى خلف حسين السهلاني، **فؤاد بطرس ودوره السياسي في لبنان (١٩١٧ – ١٩٨٢)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٨، ص ١١٨.

(٢١) الراشد حسان يوسف وآخرون , **دور المملكة العربية السعودية في القضية اللبنانية**، مجلة بحوث دبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية، السعودية، العدد ٠٨، ١٩٩٢، ص. ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

(18) Taghreed Alqudsi-Ghabra, "Two Months under Iraqi Occupation: A Personal Account." Digest of Middle East Studies, 2, No. 1 (Winter 1993), pp. 38- 39.

(٢٢) خالد المسعود الفهيد , كويتي ، فاز بعضوية مجلس الأمة في دورات ١٩٦٣، ١٩٧١، ١٩٧٥م، عين وزيرًا للتربية في العام ١٩٦٤م، توفي في العام ١٩٩٢. دعاء علي سرحان الزيدي، **المجلس التأسيسي الكويتي ١٩٦١ – ١٩٦٣ دراسة تاريخية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٧، ص ١٦٨؛ وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، حدث في مثل هذا اليوم في الكويت ١٧ شباط ٢٠١٨ م.

(٢٣) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤١٦٣، ٢٥ أيار ١٩٧٥م.

(٢٤) كمال جنبلاط , سياسي ومفكر لبناني ولد في العام ١٩١٣ لعائلة معروفة من طائفة المسلمين الدروز، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في لبنان ثم أكمل دراسة الحقوق في فرنسا في العام ١٩٣٨، فاز بعضوية مجلس النواب في العام ١٩٤٣، أسس الحزب التقدمي الاشتراكي في العام ١٩٤٩، أعيد انتخابه لعضوية مجلس النواب في العام ١٩٥٣، أغتيل في العام ١٩٧٧م. محمد حسين زبون الساعدي، **الدروز ودورهم**

السياسي في لبنان ١٩٤٣ – ١٩٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٨، ص ٤٩.

(٢٥) ناظم خليل حسن عبد المعموري، مرجع سابق، ص. ص ٦٨ – ٦٩.

(٢٦) جورج خوري , **الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٥م، جمع وتصنيف** , مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جورج خوري نصر الله , بيروت، ١٩٧٧م, ص٢٢١، ٢٣٥.

(17) Raymond W. Copson, "Peace in Africa? The Influence of Regional and International Change," in Francis M. Deng and I. William Zartman (eds.), Conflict Resolution in Africa (Washington, DC: The Brookings Institution), pp. 27, 34–36.

(٢٧) رشيد كرامي , سياسي لبناني ولد في العام ١٩٢١ في طرابلس لعائلة مسلمة محافظة وأصبح عضوًا في مجلس النواب في العام ١٩٥١ بديلًا عن والده الذي توفي في ذلك العام، شارك في الإطاحة بحكم كميل شمعون في العام ١٩٥٨، تولى رئاسة الحكومة في العام ١٩٧٥، اغتيل في العام ١٩٨٧م. عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج٢، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص. ص ٨١٩ – ٨٢٠؛ جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٨٤٤٤، ٢ حزيران ١٩٨٧.

(٢٨) زينب حيدر عبد الحسني، **إلياس سركيس ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٢٤ – ١٩٨٥**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٤، ص ٨٩.

(٢٩) ناظم خليل حسن عبد المعموري، مرجع سابق، ص ٧١.

(٣٠) جريدة الأنوار، بيروت، العدد ٥٣٥٤، ٨ تشرين الأول ١٩٧٥، جريدة الدستور، عمان، العدد ٢٩٤٥، ٩ تشرين الأول ١٩٧٥.

(٣١) حيث أظهرت الإحصاءات السكانية لعام ١٩٧٥ أن نسبة الفلسطينيين شكلت ٢٠% من مجموع السكان. مروان إسكندر، **غيوم فوق الكويت**، ترجمة , محمود زايد، بيروت، ١٩٩١، ص ٩١.

(٣٢) جورج خوري , مرجع سابق، ٣٦٧، ص ٤٨٣.

(٣٣) تمخض عن ذلك الاجتماع مجموعة من المقررات منها وقف القتال ودعم لبنان ماليًا من أجل تعويض الخسائر وتحذير لـ (إسرائيل) من استغلال الأوضاع والتدخل في شؤون لبنان الداخلية إلا أن تلك المقررات كانت عبارة عن توصيات غير ملزمة , جريدة الأهرام، القاهرة، العدد ٣٢٤٥٢ ، ١٧ تشرين الأول ١٩٧٥.

(٣٤) ناظم خليل حسن عبد المعموري، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣٥) مجلة المجالس المصورة، الكويت، العدد ٢٦٦، تشرين الثاني ١٩٧٥، ص ٢١.

(٣٦) صباح السالم , ولد في العام ١٩١٥ وهو الابن الرابع لحاكم الكويت سالم المبارك (١٩١٧ – ١٩٢١)، أسس دائرة الشرطة في العام ١٩٣٨، وفي العام ١٩٦٢ شغل منصب وزير الخارجية، وفي ١٩٦٣ شكل أول

حكومة دستورية في تاريخ الكويت، تولى إمارة الكويت بعد وفاة شقيقه الشيخ عبدالله السالم في ١٩٦٥، توفي ١٩٧٧. د.ع .و، ملف العالم العربي، الكويت، سير وتراجم، صباح السالم الصباح، ك-١ / ١٩٠١.

(٣٧) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٣٤٨، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٥.

(٣٨) نادي الاستقلال , هو الوريث الشرعي للنادي الثقافي القومي الكويتي تأسس في العام ١٩٥٢ وكان الواجهة الحقيقية للتيار القومي في الكويت واستمر في العمل حتى وقوع أحداث الشويخ ١٩٥٩ حيث تم إغلاقه وأعيد افتتاحه في العام ١٩٦٢ فقام مؤسسيه بتغيير اسمه إلى نادي الاستقلال وكان له دور بارز في معارضة إجراءات حل المجلس في العام ١٩٧٦. كاظم عبد الزهرة أبو عبون ، **أحمد الخطيب وأثره في المعارضة النيابية في الكويت حتى عام ١٩٩٦م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٦، ص ١٢٦.

(٣٩) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٣٤٩، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٥.

(٤٠) ناظم خليل حسن عبد المعموري، المرجع السابق، ص ٧٣ – ٧٤.

(٤١) جريدة الأهرام، القاهرة، العدد ٣٢٥٠٣، ٧ كانون الأول ١٩٧٥.

Alqudsi-Ghabra, “Two Months under Iraqi Occupation…,” op. cit., pp. 29-39; Ghabra, “The Iraqi Occupation…,” op. cit., pp. 112-125; Shafeeq Ghabra, “Associational Groups: The Foundation of a New System?,” Middle East Journal, 45, No. 2 (Spring 1991), pp. 199-215.

(٤٢) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٣٥٩، ٨ كانون الأول ١٩٧٥.

(٤٣) جريدة الدستور، عمان، العدد ٣٠٤٠، ١٥ كانون الثاني ١٩٧٦.

(٤٤) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٤٠١، ٢١ كانون الثاني ١٩٧٦.

(٤٥) عبد القادر ياسين وآخرون، المرجع السابق، ص ٢٣ – ٢٤.

(٤٦) وجهت الحكومة وزارة المالية إلى تقسيط المبلغ إلى ١٠ أقساط لتسهيل تبرع الموظفين الفلسطينيين. سجل العالم العربي، وثائق، أحداث، آراء سياسية، ١٩٧٦، دار الأبحاث والنشر، بيروت، (د.ت)، ص ٣٨٩؛ جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٤٢٧، ١٦ شباط ١٩٧٦.

(٤٧) د.ع. و، ملف العالم العربي، الكويت، سير وتراجم، جابر الأحمد الجابر الصباح،ك-١/ ١٩٠٢؛ جريدة الرياض، الرياض، العدد ١٣٧٢٠، ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٦.

(٤٨) جريدة الرأي العام، الكويت،العدد٤٤٢٩، ١٨ شباط١٩٧٦.

(٤٩) عزيز الأحدب , سياسي وعسكري لبناني ولد في العام ١٩١٧ في طرابلس، أكمل دراسته العسكرية في العام ١٩٤٠ وعين ملحقًا عسكريًا في بغداد في العام ١٩٦٥، اختير لتمثيل الحكومة اللبنانية عند تنفيذ

اتفاقية القاهرة ١٩٦٩ الموقعة بين الحكومة اللبنانية والفصائل الفلسطينية، توفي في العام ٢٠١١م , زينب حيدر عبد الحسني، المرجع السابق، ص ٩٠؛ https://ar.wikipedia.org.

(٥٠) سليمان فرنجية : سياسي لبناني ولد في العام ١٩١٠ في أهدن في شمال لبنان وفاز بعضوية مجلس النواب في أعوام ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٨، شغل مناصب عديدة منها منصب وزير الداخلية في العام ١٩٦٨ والاقتصاد في العام ١٩٦٩ والسياحة في العام ١٩٧٠، تولى رئاسة الجمهورية خلال المدة ١٩٧٠ – ١٩٧٦. توفي في العام ١٩٩٢م , شادي خليل أبو عيسى، **رؤساء الجمهورية اللبنانية (خطابات، وقائع، وثائق، صور)**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص. ص ٧٣ – ٧٦.

(٥١) ناظم خليل حسن عبد المعموري، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٥٢) زينب حيدر عبد الحسني، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥٣) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد٤٤٨٠، ٣٠ أذار ١٩٧٦.

(٥٤) مرتضى خلف حسين السهلاني، المرجع السابق، ص. ص ١٢٠ – ١٢١.

(٥٥) فيصل إبراهيم محمد علي الحاج عباس، **التطورات السياسية الداخلية في سوريا ١٩٦١ – ١٩٧٦**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص ٥٧.

(٥٦) من المهم الإشارة إلى أن الرئيس السوري أراد عبر ذلك التدخل إضعاف المنظمات الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية خشية سيطرة تلك القوى على لبنان وتأثيرها على النظام السوري وصراعه مع (إسرائيل), مرتضى خلف حسين السهلاني، المرجع السابق، ص. ص ١٢٢ – ١٢٣.

(٥٧) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٤٨٤، ١٣ نيسان ١٩٧٦.

(٥٨) جريدة الأهرام، القاهرة، العدد ٣٢٦٣١، ١٣ نيسان ١٩٧٦.

(٥٩) جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٤٩٩، ٢٨ نيسان ١٩٧٦.

Demetrios A. Julius, “The Genesis and Perpetuation of Aggression in International Conflicts,” in Vamic Volkan, Joseph Montville, and Demetrios Julius (eds.), The Psychodynamics of International Relationships, Vol. 1: Concepts and Theories (Lexington, Mass.: Lexington Books, 1990), pp. 101–102; Howard F. Stein, “The Indispensable Enemy and American–Soviet Relations,” Ibid., pp. 71–89; Rafael Moses, “On Dehumanizing the Enemy,” Ibid., pp. 111–118; John E. Mack, “The Psychodynamics of Victimization among National Groups in Conflict,” Ibid., pp. 119–129, and Idem, “The Enemy System,” Ibid., pp. 57–69.

(٦٠) إلياس سركيس , سياسي واقتصادي لبناني ولد في العام ١٩٢٤. أكمل دراسة الحقوق في العام ١٩٤٨ وعمل مستشارًا للرئيس فؤاد شهاب خلال المدة ١٩٥٨ – ١٩٦٠، انتخب رئيسًا للجمهورية في ٨ أيار

١٩٧٦، تسلم الحكم في ٢٣ أيلول ١٩٧٦، توفي في العام ١٩٨٥. شادي خليل أبو عيسى، المرجع السابق، ص. ص ٧٨ – ٧٩.

(٦١) مرتضى خلف حسين السهلاني، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٦٢) زينب حيدر عبد الحسني، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٦٣) جريدة الأنوار، بيروت، العدد ٥٥٦٠، ٩ أيار ١٩٧٦.

(٦٤) كميل شمعون، **أزمة في لبنان**، دار الفكر الحر، بيروت، ١٩٧٧،ص. ص ٩٩ – ١٠٠؛ جريدة الرأي العام، الكويت، العدد ٤٥٢٤، ٢٣ أيار ١٩٧٦.

(٦٥) مرتضى خلف حسين السهلاني، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٦٦) هشام قبلان : **لبنان أزمة وحلول**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٧٤.

(٦٧) وقعت اللجان الفنية العسكرية اللبنانية والفلسطينية والسورية ذلك الاتفاق بعد مشاورات استمرت للأيام ٢١ – ٢٥ تموز ١٩٧٧ وقد نص على انسحاب المنظمات الفلسطينية إلى المناطق التي حددتها اتفاقية القاهرة خلال ٢٨ يوم لتحل القوات اللبنانية النظامية محلها.: د. ع. و، ملف العالم العربي، لبنان، سياسة، ل–٥ / ١١٠٣.

(٦٨) عمر وصفي دافع مزروع , **اللاجئون الفلسطينيون في لبنان والموقف الدولي منهم (١٩٨٢ – ١٩٩٤)**، رسالة ماجستير في دراسات الشرق الأوسط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٢، ص٣٣.

(٦٩) تيودور هانف، **لبنان تعايش في زمن الحرب من إنهيار الدولة حتى إنبعاث أمة**، ط١، باريس، ١٩٩٣، ص ٤١٧.

(٧٠) هادي محمد حسين، **أثر إتفاق الطائف على الاستقرار السياسي في لبنان خلال الفترة ١٩٨٩ – ١٩٩٧**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت (الأردن)، ٢٠٠٠ ، ص ٥٩.

(٧١) إياد نوري صبار الراوي، **واقع العلاقات السورية – اللبنانية وآفاقها المستقبلية من عام ١٩٧٦ – ٢٠٠٣**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦، ص ١١٩.

(٧٢) أمين بيار الجميل , انتسب إلى حزب الكتائب عام ١٩٦٠، ثم أصبح عُضوًا في المكتب السياسي ورئيسًا في إقليم المتن في الكتائب عام ١٩٧٢، عُين نائبًا عن المتن الجنوبي عام ١٩٧٠، خلفًا لخاله موريس الجميل، وأعيد إنتخابه عام ١٩٧٢، أُنتخب رئيسًا للجمهورية في ٢١ أيلول ١٩٨٢، بعد إغتيال أخيه بشير الجميل، وأصبح الرئيس التاسع للبنان بعد الإستقلال، للمزيد ينظر : د.ع، و، **ملف العالم العربي**، سير وتراجم، ل –١ / ١٩١٣؛ زينب محسن جدوع محمد، **أمين الجميل ودوره السياسي في تاريخ لبنان حتى عام (٢٠٠٠)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٢٠، ص ٥٦.

(٧٣) سمير فريد جعجع , شارك في القتال ضد التنظيمات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، يُعتبر أحد أبرز المشاركين في الحرب الأهلية اللبنانية وترأس الهيئة التنفيذية لحزب القوات اللبنانية عام ١٩٨٢، إحدى الميليشيات التي لعبت دورًا مهمًا في الحرب وتحولت الآن إلى حزب سياسي، سُجن بتهمة إصدار أوامر القيام بعدة اغتيالات سياسية هامة راح ضحيتها رئيس وزراء لبنان رشيد كرامي في ١٩٨٧، ومحاولة الاغتيال الفاشلة لوزير الدفاع ميشال المر في ١٩٩١م : سمير الريس، **الطريق إلى القصر، المرشحون والبرامج**، مؤسسة الدراسات اللبنانية المعاصرة، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٥.

(٧٤) ميشيل عون , تدرج بالمناصب العسكرية وعُين قائدًا للجيش في ٢٣ حزيران ١٩٨٤، وفي أيلول عينه أمين الجميل عام ١٩٨٨، رئيسًا لحكومة إنتقالية، أسس حزب تيار الوطني الحر بعد ما إنتقل إلى فرنسا عام ١٩٩١م , عدنان محسن ظاهر ورياض الغنام، **معجم حكام لبنان والرؤساء، ١٨٤٢ – ٢٠١٢ , سيرة وتراجم حكام لبنان والرؤساء الجمهورية والمجالس النيابية والحكومات خلال ١٧٠ سنة**، ط١، دار بلال، بيروت، ٢٠١٢م، ط١، دار بلال، ٢٠١٢، ص ٣٦٨.

(٧٥) ميخائيل ظاهر , أُنتخب نائبًا عن قضاء عكار في عام ١٩٧٢، إرتبط إسمه بالعديد من عضوية ورئاسة لجان البرلمانية، وفي حكومة رفيق الحريري عين وزيرًا للتربية والفنون الجميلة عام ١٩٩٢م : شادي خليل أبو عيسى، **رؤساء الجمهورية اللبنانية : خفايا، وقائع، وثائق، صور**، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع, القاهرة, ٢٠٠٨، ص ١٤٣.

(٧٦) حيدر جواد كاظم جاسم الشافعي، **نبيه بري ودوره السياسي حتى عام ١٩٩٢**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤، ص ٢٠٠.

Michael Nicholson, Rationality and the Analysis of International Conflict (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), pp. 12–13.

(٧٧) ريتشارد مورفي , أصبح سفيرًا في موريتانيا بعدما رشحه الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام ١٩٧١، وفي عام ١٩٧٤ شغل منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية في سوريا، ثم الفلبين والسعودية، وفي عام ١٩٨٣ تولى منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون جنوب آسيا والشرق الأدنى، وفي عام ١٩٨٨ قاد المفاوضات مع الرئيس السوري حافظ الأسد لإيجاد مرشح مقبول للرئاسة اللبنانية , إبراهيم محمد جبار الويس، **حركة (أمل) ودورها السياسي في لبنان ١٩٧٥ – ١٩٨٩**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ص ١٩٢.

(٧٨) القوات اللبنانية , جاء تأسيس القوات اللبنانية على يد بشير الجميل عام ١٩٧٦ بعد إشتداد الخناق على الطائفة المارونية في بيروت الغربية لاسيما بعد تعرضها لهزائم عسكرية خلال حرب السنتين، وتكونت هيكلية القوات من عناصر أحزاب وميليشيات مسيحية مختلفة، مثلت الفترة ١٩٧٦ – ١٩٨٢، مرحلة صعود للقوات بفضل سياسة توحيد البندقة المسيحية التي إتبعها المؤسس بشير الجميل، وتعاونت هذه القوات مع (إسرائيل)،

وبعد إغتيال مؤسسها برزت خلافات حادة بين قادتها، وتولى ايلي حبقية رئاسة الحزب، وفي عام ١٩٨٢ تولى سمير جعجع قائدًا للقوات اللبنانية، وسلمت القوات أسلحتها بعد إتفاق الطائف عام ١٩٨٩، وتحولت إلى حزب سياسي عام ١٩٩٤م , عمر إبراهيم محمود العلاف، **حزب القوات اللبنانية ودوره السياسي والعسكري (١٩٨٣ – ١٩٩٠)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ٢٠٢٠، ص ١٨٠.

(٧٩) عبدالله الحاج حسن، **تاريخ لبنان المقاوم في مئة عام ١٩٠٠ – ٢٠٠٠**، ط١، دار الولاء، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٨٢.

(٨٠) صفاء فاضل سلمان، **المواقف الإقليمية في لبنان للمدة الواقعة بين ١٩٩٠ – ٢٠١١**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ٦٨.

(٨١) هي الوزارة السادسة والخمسون وإستمرت من ٢٢ أيلول إلى ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٩، إذ تكونت من رئيس الحكومة و٥ وزراء، وتكونت من العماد ميشيل عون رئيسًا لمجلس الوزراء ووزيرًا للدفاع والإعلام، العقيد عصام أبو جمره نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير البريد والمواصلات والتعاونيات والإقتصاد والتجارة، واللواء محمود طي أبو ضرغم وزير الأشغال العامة والنقل والسياحة والعمل، والعميد تبيل فريطم وزير الخارجية والتربية الوطنية والفنون الجميلة، والعقيد لطفي جابر وزير الموارد المائية والكهربائية والزراعية، للمزيد ينظر : جان ملحه، **حكومات لبنان : ٦٥ حكومة في ٦٠ سنة البيانات الوزارية والوزراء ١٩٤٣ – ٢٠٠٣**، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٠.

(٨٢) جريدة النهار، العدد ١٧١٣٧، ٢٣ أيلول ١٩٨٨.

(٨٣) سعد نصيف جاسم، **الحزب التقدمي الإشتراكي في لبنان وموقفه من الطائف ١٩٨٩**، مجلة، مجلة كلية التربية، العدد ٤، مج١، ٢٠١٥، ص ٢١٧؛ F.O.973/654,British Embassy ,**Lebanon after The TAIP AGREEMENT**,11-April1990.

(٨٤) باسم أحمد هاشم الغانمي، موقف مجلس النواب اللبناني من الحرب الأهلية اللبنانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤، ص ٢٩٥.

(٨٥) حسين علي كردي حمود الجبوري، **رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤ – ٢٠٠٥**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١١م، ص ٧٤.

(٨٦) منى جلال عواد المشهداني، **إشكالية الاستقرار السياسي في لبنان بعد إتفاق الطائف عام ١٩٨٩**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ١٣٦.

(٨٧) باسم ريحان مغامس الشميساوي، **الموقف السعودي من الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥م – ١٩٨٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ذي قار، ٢٠١٣م، ص ١٨٦.

(٨٨) صباح الأحمد (١٩٢٩ – ٢٠٢٠) , ولد في ١٦ حزيران عام ١٩٢٩، في مدينة الجهراء شمال غرب العاصمة الكويتية، تلقى تعليمه في المدرسة المباركية، وفي عام ١٩٥٦ أصبح عضوًا في اللجنة العليا ووزيرًا للإرشاد والأنباء عام ١٩٦٢، ووزيرًا للخارجية عام ١٩٧٨، ولغاية ٢٠٠٦، وفي نفس العام أصبح أميرًا للكويت, عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **الموسوعة السياسية**, ج٣، دار الهدى للنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٥.

(٨٩) الأخضر الإبراهيمي , سياسي ودبلوماسي جزائري مثل جبهة التحرير الوطني الجزائري في جاكرتا عام ١٩٥٤ – ١٩٦١، وأصبح سفيرًا للجزائر في مصر والسودان بين عامي ١٩٦٣ – ١٩٦٩، وممثلًا في الجامعة العربية (١٩٦٣ – ١٩٧٠)، في عام ١٩٧٠، أصبح سفيرًا في بريطانيا، ووزيرًا للخارجية الجزائرية ١٩٩١ – ١٩٩٣، وأصبح مبعوث الأمم المتحدة إلى لبنان ١٩٨٩ – ١٩٩٢، مبعوثًا للأمم المتحدة في اليمن عام ١٩٩٤، وأصبح مبعوث الأمم المتحدة إلى العراق عام ٢٠٠٤، الكيالي وآخرون , المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٩٠) جريدة النهار، العدد ١٧٢٢٩، ١٣ كانون الثاني، ١٩٨٩.

(٩١) تمثلت الأطراف اللبنانية المجتمعة مع اللجنة السداسية في تونس بالعماد ميشال عون والرئيس سليم الحص والرئيس حسين الحسيني ودار الاجتماع بحثًا عن إيجاد مخرج للأزمة اللبنانية وإزالة خطر التقسيم، فقد طالب ميشال عون بالسيطرة على بيروت الكبرى فضلًا عن سيطرة الجيش التي تحت زعامته عليها، وإنهاء الإحتلالات على لبنان وبرمجة الانتخابات، بينما دعا حسين الحسيني وسليم الحص إلى تزامن الإصلاحات والإنتخابات الرئاسية فضلًا عن مطالبتهما بضمانات لتعديل الدستور، ولم ينجح الاجتماع بسبب إن كل طرف مستبد برئيه، عارف العبد، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير متكامل، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٠٠.

Vamic D. Volkan, “An Overview of Psychological Concepts Pertinentto Interethnic and/or International Relationships,”in Volkan (et al.), op. cit., pp. 38–39

(٩٢) باسم أحمد هاشم الغانمي، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٩٣) د، ك، و، تقارير وكالة الأنباء العراقية، قسم المعلومات، رقم الملفة ٢٣٤ / ١١٤ العنوان , **الموقف من الوضع الداخلي للدولة**، المرجع : رويترز العدد ١٤، بتاريخ ١٠ تموز ١٩٨٩، ٣٣؛ صفاء فاضل سلمان، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٩٤) د، ك،و، تقارير وكالة الأنباء العراقية، قسم المعلومات، رقم الملفة ٠٣٠ / ١١٤ الموضوع : مجلس الوزراء، المرجع : أ، ف، ب، العدد ٣، بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٨٩، ٢٧.

(٩٥) كريم بقرادوني، **لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج**، ص ١٩٩.

(٩٦) البير منصور، **الانقلاب على الطائف**، ط١، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٣.

(٩٧) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٩٨) كريم بقرادوني، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٩٩) النهار، العدد ١٧٢٥٠، ٧ شباط ١٩٨٩.

Nazli Choucri, "Analytical and Behavioral Perspectives: Causes of War and Strategies for Peace," in W. Scott Thompson and Kenneth M. Jensen (eds.), Approaches to Peace: An Intellectual Map (Washington, DC: United States Institute of Peace

(١٠٠) نصر الله بطرس , ولد في العام ١٩٢٠، في بريفون كسروان، أكمل دراسته الإبتدائية والتكميلية في بعرمون ١٩٣٣ – ١٩٣٦، وفي المدرسة الإكليريكية البطريكية المارونية ما بين عامي ١٩٣٧ – ١٩٣٩، ودرس في الجامعة اليوسوعية المشرق ١٩٤٠ – ١٩٤٣، وفي العام ١٩٥٠، أصبح بدرجة كهنوت وفي العام ١٩٨٦، أصبح بطريك الكنيسة المارونية في لبنان وسائر المشرق حتى عام ٢٠١١م: ميشال العويط، **وصيتي إلى الموارنة**، تقديم , بشارة بطرس الراعي، ط١، دار النهار، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٣٦.

(١٠١) نبيل هيثم، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

(١٠٢) جورج بكاسيني، **أسرار الطائف : من عهد أمين الجميل حتى سقوط الجنرال (مع وثائق ومحاضر)**، ط١، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٣، ص ٨٣.

(١٠٣) فهد بن عبد العزيز (١٩٢١ – ٢٠٠٥) , ولد عام ١٩٢١، أصبح وزيرًا للمعارف عام ١٩٥٣، وفي عام ١٩٦٢، أصبح وزيرًا للداخلية في عهد الملك فيصل، ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء ١٩٦٧، وأصبح وليًا للعهد عام ١٩٧٥، في عهد الملك خالد ورئيسًا للوزراء، وفي عام ١٩٨٢ أصبح أميرًا للمملكة العربية السعودية، للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج٤، المرجع السابق، ص ٦١١.

(١٠٤) الحسن الثاني (١٩٢٩ – ١٩٩٩) , ولد عام ١٩٢٩م، في مدينة الرباط، ، تولى رئاسة أركان الجيش المغربي عام ١٩٦١، وهو الملك السابع عشر من الأسرة العلوية الحاكمة للمغرب، في العام ١٩٧٥ أصبح وليًا للعهد، وعام ١٩٦٠ رئيسًا للوزراء، ونصب ملكًا للمغرب عام ١٩٦١، للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج٢، المرجع نفسه، ص ٥٣٣.

(١٠٥) الشاذلي بن جديد (١٩٢٩ – ٢٠١٢) , ولد عام ١٩٢٩ في ولاية عنابة شرق الجزائر، عسكري وسياسي جزائري، في عام ١٩٥٤ إنخرط بالجيش الفرنسي وعمل ملازمًا، إنضم إلى جبهة التحرير الوطني عام ١٩٥٥، أصبح مقربًا من الرئيس الجزائري هواري بومدين بعدما تدرج في المناصب العسكرية، عين عضوًا في مجلس قيادة الثورة بعد إنقلاب بومدين، في شباط، ١٩٧٩ أصبح رئيسًا للبلاد، سعد توفيق عزيز عبدالله البزاز، الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد (١٩٧٩ – ١٩٩٢) أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠١٠، ص ٢٢؛ عبد الوهاب الكيالي، ج٣، المرجع نفسه، ص ٤٢٦.

(١٠٦) البير منصور، المرجع السابق، ص ٢٧.

(107) - F.O.973/654,British Embassy ,Lebanon after The TAIP AGREEMENT,June1991.

(١٠٨) جريدة النهار، العدد ١٧٣٦٨، ٢٣ تموز ١٩٨٩؛ البير منصور، المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٠٩) محمد علي تميم، **المملكة العربية السعودية والحرب الأهلية ١٩٧٥ – ١٩٨٩**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج٢٠، العدد٨، ب ٢٠١٣، ص ١٢٩؛ Ohannes Geukjian , Lebanon after The Syrian Withdrawal , Rutledge , London , 2016. Without Numeric Pages.)

(١١٠) البير منصور، المرجع السابق، ص ٢٩؛ F.O.973/654,British Embassy ,Lebanon after The TAIP AGREEMENT,26-June1991

(١١١) زواد حفيظة، **إتفاقية الطائف ١٩٨٩، نهاية الحرب الأهلية اللبنانية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، ٢٠١٥ – ٢٠١٦، ص ٦٠.

(١١٢) كريم بقراودني، المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(١١٣) سعود الفيصل (١٩٤٠ – ٢٠١٥) , ولد في مدينة الطائف عام في ٢ كانون الثاني ١٩٤٠، وهو ابن الملك فيصل بن عبد العزيز، أكمل دراسته الإبتدائية في مدرسة الأمراء النموذجية في الطائف، ثم أكمل الثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٩٦٤، حصل على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة برنستون الأمريكية، عامًا .وائل ناصر حسين الإسماعيلي، **سعود الفيصل ودوره في السياسة الخارجية السعودية حتى عام ١٩٨٩**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠١٨.

(١١٤) سعيد سليمان، المرجع السابق، ص ٢٧.

Louis Kriesberg and Stuart J. Thompson (eds.), Timing the De-Escalation of International Conflicts (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1991).

(١١٥) نعيم قاسم، **حزب الله , المنهج، التجربة، المستقبل**، ط٥، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٦٣؛ he .of Spirt, ewellyn I T Phdeix, Beirut and story of Lebanon Btauris, 2010,p 12

(١١٦) عباس قاسم فرج الموازني، **حزب الله ودوره السياسي في لبنان ١٩٨٩ – ٢٠٠٠**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٢٠، ص ٩٢؛ F.O.973/654,British Embassy ,Lebanon after The TAIP AGREEMENT,22 .October1989.

(١١٧) رينية معوض : ولد في زغرتا في ١٧ آذار ١٩٢٥، بدأ حياته الدراسية في مدرسة زغرتا، إنتقل بعدها إلى مدرسة الفرير ١٩٣٤، في طرابلس ثم تابع علومه التكميلية في مدرسة الفرير في بيروت، ثم إنتقل إلى مدرسة عينطورة للآباء اللعازاريين إذ نال منها شهادة البكالوريا، درس الحقوق في الجامعة اليسوعية وتخرج منها عام ١٩٤٨، إنتخب نائبًا عام ١٩٥٧ عن زغرتا ثم أعيد إنتخابه في ١٩٦٩، ١٩٦٤، ١٩٦٨، ١٩٧٢،

ولغاية إنتخابه عام ١٩٨٩، عين وزيرًا للبريد والبرق قبلها عام ١٩٦١، ووزيرًا للعمل والشؤون الاجتماعية ١٩٦٩، ووزيرًا للتربية عام ١٩٨٠، شارك في مؤتمر الطائف ١٩٨٩، وأُنتخب رئيسًا للجمهورية في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩، عدنان محسن ظاهر، رياض الغنام، المرجع السابق، ١٦٩.

(١١٨) إقرار وثيقة الوفاق الوطني، الدور التشريعي السابع عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثانية، ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(١١٩) سعد نصيف، المرجع السابق، ص ٢٢١.

(١٢٠) كريم بقرادوني ، مرجع سابق، ٥٨؛ شفيق الحوت، عشرون عامًا في منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٣ – ١٩٤؛ جيمي كارتر، دم إبراهيم، ص ١١٠.

(١٢١) شفيق الحوت، الفلسطينيين بين التيه والدولة، ٢٨؛

Carol Rosenberg, “War in the Gulf,” Knight-Rider News Service, February 17, 1991, Amman, Jordan; Arafat’s widely publicized statement to Radio Monte Carlo on February 24-25, 1991.

(١٢٢) شفيق , عشرون عامًا في منظمة التحرير، ١٩٣ – ١٩٤.

(١٢٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٥، وثيقة رقم ١٢٢ / ١٣٩.

(١٢٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٥، وثيقة رقم ١٣٤ / ١٤٥.

(١٢٥) محمد السماك، القرار العربي في الأزمة اللبنانية، ص . ص ١٩٤ – ١٩٨.

(١٢٦) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٥، ص ١٨٤.

(١٢٧) صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، ص ٢٥٧.

Volkan, “An Overview of Psychological...,” op. cit., pp. 40-41; Mack, “The Enemy System,” op. cit., pp. 57-69; Moses, “On Dehumanizing the Enemy,” op. cit., pp. 111-118; Mack, “The Psychodynamics of Victimization...”, op. cit., pp. 119-129.

(١٢٨) غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية، ص ٦٤١.

(١٢٩) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٥، وثيقة رقم ٥٧٦٧٤٤٣.

(١٣٠) غسان سلامة، مرجع سابق، ص ٦٤١.

(١٣١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦، ص ١٢٩.

(١٣٢) صلاح خلف, مرجع سابق , ص. ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

(١٣٣) عارف العبد, مرجع سابق، ص ١٢٣.

(١٣٤) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦، ص ١٢٩.

(١٣٥) صلاح خلف, مرجع سابق، ص. ص ٢٦٥ – ٢٦٦.

(١٣٦) المملكة العربية السعودية وفلسطين بحوث ودراسات، ج ٢ص٣٢٧.

(١٣٧) صحيفة القدس المقدسية، ١٩٧٦/٦/٢٢م، ع٢٤٣٣، ص٥.

(١٣٨) غسان سلامة , السياسة الخارجية السعودية، ص ٦٦٤.

(١٣٩) شهربات السياسة الدولية، ع٤٦، ١٩٧٦م، ص ١٨٩.

(١٤٠) غسان سلامة, السياسة الخارجية السعودية، ص ٦٦٨.

(١٤١) صحيفة القدس المقدسية، ١٩٧٦/٦/١٧م، ع٢٤٢٨.

(١٤٢) نفسه، ١٩٧٦/٦/١٨م، ع ٢٤٢٩.

(١٤٣) محمد عنان, السعودية وهموم العرب، ص ١٦٦.

(١٤٤) صحيفة الشعب المقدسية، ١٩٧٦/٧/١١م، ع ١١٨٣.

(١٤٥) صحيفة الشعب المقدسية ، ١٩٧٦/٧/١٤م، ع١١٨٧.

(١٤٦) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٦، وثيقة رقم ١٠٥ / ١٤١.

(١٤٧) عصام الجرار, **قوات الردع العربية من تشرين أول إلى كانون ثاني ١٩٧٦**، شؤون فلسطينية، ع٦٣ – ٦٤، ١٩٧٧م، ص ٢١٩.

(١٤٨) صحيفة القدس المقدسية، ١٩٧٦/٩/٢٩م، ع٢٥٣٠.

(١٤٩) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦، ص ١٣٠.

(١٥٠) محمد السماك، مرجع سابق، ص١٨٤..

(١٥١) وليام كوانت, عملية السلام، ص ٢٣٩.

(١٥٢) صحيفة القدس المقدسية، ١٩٧٦/١١/١٩م، ع٢٥٥٠.

(١٥٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦، ص١٣١؛ أسعد عبد الرحمن، **الخلافات السياسية القومية في العالم العربي ١٩٤٥ – ١٩٧٧**، شؤون فلسطينية، ع٨١ – ٨٢، ١٩٧٨، ص ٢١٠.

(١٥٤) كريم بقرادوني, مرجع سابق ، ٦٦.

(١٥٥) كريم بقردواني, المرجع السابق، ص ٧٣ – ٧٤.

(١٥٦) محمد السماك، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(١٥٧) المرجع السابق، ص ١٩٤.

طبيعة التجاوزات على المواقع الآثارية في مدينة سامراء العباسية (دراسة توثيقية)

د. زكريا هاشم احمد الخضر
جامعة سامراء – كلية الآداب

أ . د. قاسم حسن عباس آل شامان السامرائي

الباحث يحيى زكريا هاشم أحمد
جامعة سامراء – رئاسة الجامعة

الاستلام: ٢١/ ٢/ ٢٠٢٤
قبول النشر: ١٤/ ٣/ ٢٠٢٤

الايميل:
zakria.ha.ah@uosamarra.edu.iq

الملخص

تعرضت المواقع الآثارية في مدينة سامراء إلى تجاوزات خطيرة على مدى القرون التي تلت هجرانها، فقد امتدت إليها أيدي العابثين لتجتزأ منها شيئاً فشيئاً وتحولها إلى آكام وتلال من الأنقاض والأتربة تنتشر على مساحة واسعة من الأرض، ورغم ذلك بقيت هناك العديد من الشواخص التي قاومت أيدي العابثين حتى منتصف القرن العشرين إذ شهدت تصاعداً في مسلسل التجاوزات نتيجة التوسع والنمو الحضري للمدينة فتم تجريف مساحة واسعة من أجل توسيع الرقعة الجغرافية للمدينة، واستمرت تلك التجاوزات إلى حدود الثمانينات، حينها انتبهت الحكومة على اهمية المواقع الاثارية فعملت على منع التجاوزات واصدرت اللوائح الكفيلة بذلك، لكن الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، كان منعطفاً خطيراً في مسيرة تلك التجاوزات ففتح المجال بشكل واسع أمام العابثين ليمارسوا ابشع انواع التجاوزات وأكثرها خطورة على مدى التاريخ الطويل للمدينة، ونقدم في هذه الدراسة توثيقاً شاملاً لطبيعة تلك التجاوزات ومدى تاثريها على الواقع الآثاري في المدينة.

الكلمات المفتاحية:

سامراء، قصر الخليفة، قصر بلكوارا، قبة الصليبية، المتوكلية

Title:
Violations on archaeological sites in the Abbasid city of Samarra (Documentary study)

Received: 21/ 2/ 2024

Accepted: 14/ 3/ 2024

Email:
zakria.ha.ah@uosamarra.edu.iq

Abstract:

The archaeological sites in the city of Samarra have been subjected to serious encroachments over the centuries following its abandonment. The hands of vandals gradually encroached upon it, bit by bit, transforming it into heaps and mounds of rubble and dust scattered over a wide area of land. Nevertheless, there are still many landmarks that resisted the vandals' hands until the mid-twentieth century. However, there was an escalation in encroachments due to the expansion and urban growth of the city, resulting in the excavation of a wide area to expand the city's geographical area. These encroachments continued until the 1980s when the government realized the importance of archaeological sites and worked to prevent encroachments by issuing appropriate regulations. However, the American occupation of Iraq in 2003 marked a dangerous turning point in the course of these encroachments, opening the door widely for vandals to practice the worst types of encroachments, posing the greatest danger throughout the city's long history. This study provides a comprehensive documentation of the nature of these encroachments and their impact on the archaeological reality in the city.

Keywords:

Samarra, Caliph's Palace, Belkwara Palace, Kubat Al-Slebea, Al-Mutawakkiliyah.

المقدمة:

شهدت المدة التي تلت هجران مدينة سامراء العباسية عديد من اعمال النقض والتخريب للمباني والمنشآت المختلفة، أدت إلى زوال أغلب منشآتها ومبانيها التي كانت تنتشر على رقعة واسعة من الأرض المطلة على ضفة نهر دجلة الشرقية، وبالرغم من ذلك فقد بقيت بعض منشآتها شاخصة لتمتد إليها أيدي المنقبين في بداية القرن العشرين لإماطة اللثام عن واحدة من أكبر مدن القرون الوسطى واكثرها أبهة وفخامة، ومع ذلك لم يتوقف مسلسل التخريب والتجاوزات رغم إصدار الحكومات العراقية المتعاقبة لوائح وقرارات صارمة للحفاظ على ما تبقى من أطلال المدينة، فقد شهدت المدة ما بين (١٩٥٠ – ١٩٨٠م) إزالة مساحات واسعة وتجريفها نتيجة النمو الحضري المطرد الذي شهدته المدينة خلال تلك المدة، وتلتها بعد ذلك هزَّة عنيفة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣م)، فاتسمت تلك المرحلة بالإهمال والتداعي والتجريف والطمس من قبل جهات متعددة رسمية وغير رسمية ساهمت بتشكيل الواقع المرير الذي تعيشه المواقع الأثرية في المدينة اليوم، ومن خلال هذه الدراسة تم الكشف عن أبرز تلك المظاهر وهي:

العشوائيات السكنية، والتي انتشرت في نواحي المدينة مستغلة الفضاءات القريبة من المواقع الأثرية، ومن أبرزها عشوائيات تل الاصيبعين، و**الأحياء المنظمة غير الرسمية**، وقد امتدت على مساحات من الأرض كان جزء منها أراض آثارية، في شمال المدينة وجنوبها أطلق عليها تسمية (الدوانم)، كما شكّلت **الأحياء المنظمة الرسمية**، خطراً آخر هدد المواقع الآثارية وقد ظهر حي واحد منها أنشأ بين حي الزراعة والحي الصناعي، على امتداد وادي الموح، أطلق عليه اسم حي السلام، و**الأراضي الزراعية** إلى تجريف مساحات واسعة من الآثار في مناطق مختلفة من المدينة، **والمشاريع الحكومية**، ومن أهمها الجسر الجنوبي، وبناية جامعة سامراء الجديدة، وشارع الخمسين، ومشروع المجاري الكبير، أما **مديرية بلدية سامراء**، فقد ساهمت بجزء من عملية التجاوزات وإزالة بعض المواقع الأثرية بحجج مختلفة، ففي المنطقة الشمالية من سامراء ضمن ما يسمى بالمنطقة الخضراء، أنشأ مرآب خاص خاص لزوار العتبة العسكرية بعد تجريف جزء من منطقة الخرائب تقدر مساحتها بنحو (٣٠٠٠م^{٢}).

وبذلك تأتي هذه الدراسة للكشف عن جم وطبيعة تلك التجاوزات وتضعها أمام أيدي المسؤولين في محاولة للحد من تلك الظاهرة التي لا تزال مستمرة حالياً دون توقف، الأمر الذي

لا يمكن معه وضع أرقام حقيقية للمساحة المجرفة من منطقة الآثار، إلا أن تقديرات الدراسة توصلت إلى أرقام تقريبية تصل إلى ما يقارب من (٢١٩٠٨٠٠٠م٢) وهو ما يثير المخاوف في إزدياد تلك التجاوزات بقادم الأيام.

تمهيد:

تعد آثار مدينة سامراء العباسية من أبرز وأهم المواقع الأثرية ليس على مستوى العالم العربي أو الشرق أوسطي فحسب بل تتعدى تلك الأهمية لتصل إلى العالمية من حيث المساحة الشاسعة التي تشغلها تلك الآثار، ونمطية الطراز المعماري المميز الذي امتازت به أبنيتها، فضلاً عن العديد من أطلال الأبنية الضخمة ذات المساحات الكبيرة والتي تعكس الامكانيات الكبيرة التي كان يتمتع بها معماريو سامراء خلال العصر العباسي، لا سيما وأن المدينة بنيت كعاصمة للدولة العربية الإسلامية خلال الربع الأول من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وعلى ذلك يمكن تعليل وجود الأبنية الكبيرة والضخمة والتي بلا ريب كانت تتمتع بخصائص الفخامة والترف وفق امكانيات ذلك العصر.

تم بناء المدينة سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م) بإشراف وتنفيذ كادر من المهندسين والفعلة المختصين بأعمال التخطيط والإنشاء والتشييد (المسعودي، ٢٠٠٥، ٤/٥٤؛ الخضر، ٢٠١٨، ٤٣)، إلى جانب توفير كل ما يساهم في تطبيق فكرة بناء مدينة ذات مخطط يعالج بعض المشاكل الخططية التي ظهرت ببغداد في وقت سابق (الطبري، ١٩٦٩، ٩/ ١٨؛ المسعودي، ١٩٣٨، ٣٠٨؛ ابن الثير، ١٩٩٣، ٦/ ١٥؛ ابن دحية، ١٩٤٦، ٦٥)، فظهرت المدينة بشوارعها العريضة والطويلة وأبنيتها الواسعة وأحيائها المعزولة والتي خططت وفق التقسيم العرقي للجيش العباسي آنذاك، فظهر المخطط العام لها بشكل طولي يمتد من الشمال إلى الجنوب على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة (الأحمدي، ٢٠٠٦، ٢٢).

وقد مرت المدينة بثلاث مراحل توسعية، المرحلة الأولى (٢٢١- ٢٣٢هـ/ ٨٣٥- ٨٤٤م) وتتمثل بعهدي الخليفتين المعتصم بالله والواثق بالله، ثم الموحلة الثانية (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٤- ٨٥٩م)، ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة التدهور والاضمحلال (٢٤٧- ٢٧٩هـ/ ٨٥٩- ٨٩٢م) (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، ٣/ ١٧٦).

وبالرغم من قصر عمر المدينة الذي تجاوز النصف قرن بقليل، إلا أن التوسع العمراني للمدينة ترك لنا آثاراً تمتد على مساحة كبيرة من الأرض على الضفة الشرقية لنهر دجلة تتجاوز

(٣٠ كم)، وضمت خرائب وأطلال المدينة العديد من المواقع الآثرية المهمة والتي توزعت ما بين القصور والجوامع والمتنزهات والبرك وأماكن السباق والملاعب، فضلاً عن بعض الدور المهمة للأعيان وكبار رجال الدولة (لوح ١).

وقد جرت عمليات تنقيب للكشف عن تلك المواقع مع بداية القرن العشرين حين قامت بعثة فرنسية برئاسة فيوليه عام ١٩١٠ بالتنقيب في أطلال المدينة، فتم الكشف عن بقايا قصر الخليفة وهي أكبر منشأة معمارية لا تزال بقاياها قائمة (Northedge, 2007, 19)، ثم تبع ذلك تنقيبات البعثة الألمانية برئاسة هرتسفيلد الأعوام ١٩١١– ١٩١٣، وفيها تم الكشف عن أغلب أقسام قصر الخليفة، والمسجد الجامع، وقصر بلكوارا في الجنوب، وقبة الصليبية في الجانب الغربي، وبعض الدور السكنية في نواحي مختلفة من المدينة (Herzfeld, 1912, 9, 25, 34, 53, 72).

بعد ذلك تولت المديرية العامة للآثار القديمة في العراق مسؤولية التنقيبات فتم الكشف خلال الأعوام ١٩٣٦– ١٩٤٠ عن مواقع قصر الحويصلات شمال غرب المدينة، وبعض الدور السكنية التي تتوزع شمال وجنوب المدينة (مديرية الآثار القديمة، ١٩٤٠، ١٢، ٣٢، ٤٧، ٥٥، ٧٨).

وفي ستينيات القرن العشرين تم التنقيب في تل الصوان جنوب المدينة فأظهرت نتائج التنقيبات هناك موقعاً كاملاً يعود لعصور ما قبل التاريخ (Abu Es-Soof. 1964. 17؛ يوخنا، ١٩٨٦، ٢٢).

وعلى إثر ذلك بدأت الحكومة العراقية في تحديد تلك المواقع التي تم الكشف عنها كمواقع آثارية وتاريخية فعملت على حمايتها وصيانتها وتأهيل البعض منها كمواقع سياحية.

المبحث الأول: طبيعة التجاوزات على المواقع الآثارية حتى عام ٢٠٠٣

شهدت سامراء خلال القرن التاسع عشر تحولات مهمة من الناحية الإدارية والسكانية، ففي عام ١٨٣٠ تم إحاطتها بسور محكم لوقايتها من أخطار قبائل البدو التي غالباً ما كانت تهاجم المدينة (الدجيلي، ١٩١١، ١٣٥؛ الدراجي، ٢٠١٦، ٨٤؛ Jones, 1848, 128)، ثم أصبحت قضاءً تابعاً لولاية بغداد عام ١٨٦٩م (السامرائي، يونس، ١٩٦٨، ٣/ ٧٩)، وتبع ذلك تطوراً عمرانياً واسعاً شمل كافة انحاء المدينة من منشآت عامة كسراي الحكومة والأسواق والمساجد

والخانات والحمامات، ومنشآت خاصة تمثلت بمنازل الأهالي، وغيرها (السامرائي، يونس، ١٩٦٨، ٢/٢٢١؛ السامرائي، مجيد، ٢٠١٣، ٣٥).

وشهد ذلك القرن استقراراً نسبياً في الأوضاع الأمنية والاقتصادية، انعكس على الواقع الاجتماعي لسكان العراق بشكل عام، فأصبحت الطرق المؤدية إلى المدينة آمنة نسبياً مما شكَّل عامل جذب للاستيطان فيها، كما أسهم في تعزيز ذلك الجذب أهمية المدينة من الناحية الدينية كونها تضم مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، فامتد العمران حول المرقد بشكل شبه دائري.

وظلّت المدينة محصورة ضمن نطاق ذلك السور، تحيط بها مساحات شاسعة من الخرائب والأطلال (لوح ٢ أ)، حتى عام ١٩٣٦م، حين أمرت الحكومة العراقية آنذاك بهدم السور لغرض التوسع بالأحياء السكنية (الحسني، ١٩٥٧، ١٤٢)، ومعها بدأت عمليات التجريف للتلال الأثرية ومواقع التراث العالمي، ويمكن تقسيم التجاوزات على المواقع الآثارية وجدولتها حسب تتبعها التاريخي خلال المدة ١٩٣٦– ٢٠٠٣ كما يلي:

أولاً – المرحلة الأولى ١٩٤٠– ١٩٧٠م:

بدأ التوسع الحضري للمدينة خلال هذه المرحلة يتجه في البداية نحو الغرب حيث الضفة الشرقية لنهر دجلة، فتم بناء حي سكني واسع، ومجمع للدوائر الحكومية، وحديقة عامة، فضلاً عن شق الطريق الرئيس الموصل من الباب الغربي للمدينة (باب الكاطون) وحتى الجسر الذي أنشأ ليربط بالضفة الغربية للمدينة، فتسبب بتجريف كامل للتلال الأثرية في منطقة القاطون (تمتد من الباب الغربي للمدينة وحتى الجرف الصخري المطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة)، ثم تلا ذلك زحفاً عمرانياً على الجهات الأخرى خلال الخمسينات، في مناطق باب الناصرية في شمال المدينة مباشرة، والباب الملطوش في الجنوب، وهناك نشأ حي سكني كبير، ومنطقة خيط المنطرد في الجهات الشرقية منها، إذ أنشأت الحكومة مدرستين الأولى عام (١٩٥٣م)، والثانية عام (١٩٥٦م) مما تسبب في تجري وإزالة منطقة واسعة التلال الآثارية المحيطة بالمدينة (لوح ٢ ب).

وبذلك بلغت المساحة الإجمالية لمنطقة الآثار المزالة بفعل ذلك التوسع حسب الجدول (١):

المنطقة	المساحة المزالة / م^{٢}	التاريخ
الغربية (القاطون)	٥٦١,٠٠٠	١٩٣٦- ١٩٦٠
الشرقية (البو باز)	٦٠,٠٠٠	١٩٥٠- ١٩٦٠
الجنوبية (البو رحمان)	٤٠٠,٠٠٠	١٩٥٥- ١٩٦٠
الشمالية (التجنيد)	٤٥٠,٠٠٠	١٩٥٥- ١٩٦٠

جدول (١) يبين المساحة الإجمالية المقدرة للآثار المزالة نتيجة النمو الحضري للمدينة حسب برنامج (Google Earth)

وتم التجاوز على العديد من المواقع بعضها تم الكشف عنها خلال تنقيبات المواسم ١٩٣٦- ١٩٤٠م، وحسبما يلي:

الجهة الغربية: تم الكشف عن (١٢) موقعاً تم تحديدها كمواقع أثرية لا يسمح بالتجاوز عليها حسب نشرة المديرية (مديرية الاثار العامة، ١٩٤٠، ٣).

الجهة الجنوبية: تمت إزالة كاملة للدارين (٩)، و(١٠) اللتان كان موقعهما بالقرب من الباب الملطوش.

الجهة الشرقية: إزالة كاملة للمحافر (أ، ب، ج، ز) والتي كانت تقع إلى الشرق من المدينة قرب باب بغداد (مديرية الاثار العامة، ١٩٤٠، ٤٦)، فضلاً عن مواقع أخرى لم يتم التنقيب فيها أبرزها خيط المنطرد.

ثانياً – المرحلة الثانية ١٩٧٠- ١٩٨٠م:

ومع بداية السبعينات أصبحت المدينة تمتد على مساحة كبيرة من منطقة الخرائب (السامرائي مجيد، ٢٠١٦، ٣٥)، إذ شهدت المدينة نمواً حضرياً واسعاً نتيجة الطفرة الكبيرة في الاقتصاد العراقي وما صاحبها من عمليات تنموية شملت كل مرافق الدولة، مما ساهم بتنامي ظاهرة الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة، فتطلب الأمر نمواً حضرياً مضاعفاً في المدينة، فتم انشاء احياء جديدة مثل حي السكك جنوب المدينة، وأحياء المعتصم والحداحدة في شرقها، فأصبح المخطط العام للمدينة يمتد جنوباً حتى حدود وادي الموح، وبذلك تم تجريف مساحات كبيرة من أطلال المدينة العباسية والتي تمتد إلى مسافة تربو على الكيلو مترين طولاً وبعرض يتجاوز الكيلو متر الواحد، ومن أهم المواقع التي أزيلت جراء ذلك التوسع هي: المحافر (د، هـ،

و) وهي عبارة عن محافر تم الكشف عنها خلال مواسم ١٩٣٦- ١٩٤٠ قرب منطقة وادي الكرينة إلى الجنوب الغربي من مركز المدينة (مديرية الاثار العامة، ١٩٤٠، ٤٨- ٥٠).

كما تم التجاوز على واحدة من أهم المناطق الأثرية وهي منطقة الصفوف والتي تقع إلى الغرب من المسجد الجامع (جامع الملوية)، بعد فتح الشارع الرئيس الرابط بين سامراء وقضاء الدور، وانشاء ساحة مسيجة على أنقاضها تقع قبالة الجامع، كما أدى فتح الشارع إلى تجريف مساحة واسعة من المنطقة الأثرية شمال الجامع (لوح ٣).

وفي شمال المدينة ظهرت بعض العشوائيات السكنية لأهالي منطقة الحاوي التي غمرت بمياه سدة سامراء، فانتقلوا للسكن هناك وتقع بمحاذاة الجهة الشمالية للمدينة وعرفت بالمنخربة، ثم منطقة التجنيد، وأدى بناء الدور العشوائية في تلك المنطقة إلى إزالة العديد من الشواهد الأثرية فيها.

بحيث بلغت المساحة الاجمالية للتجاوزات على الآثار خلال تلك المرحلة كما مبين بالجدول (٢):

المنطقة	المساحة المزالة/ م^2	الاحياء المستحدثة
الغربية (القاطون)	١٢٠,٠٠٠	الاعمار، دوائر حكومية
الشرقية (البو باز)	٥٠٠,٠٠٠	المعتصم، والحداحدة
الجنوبية (البو رحمان)	١,٤٠٠,٠٠٠	الزراعة، السكك
الشمالية (التجنيد)	٧٢٠,٠٠٠	المنخربة، دوائر حكومية، منتجع ترفيهي

جدول (٢) يبين إجمالي المساحات الآثارية المزالة نتيجة النمو الحضري للمدينة (١٩٧٠ – ١٩٨٠م) حسب برنامج (Google Earth)

ثالثاً – المرحلة الثالثة ١٩٨٠- ٢٠٠٣م:

وخلال عقد الثمانينات أدركت الحكومة ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار مواقع التراث الحضاري للمدينة في وضع المخطط العام للنمو الحضري فيها فعملت على تحديد أهم تلك المواقع التي لا زالت قائمة، ووضعت لها الأسيجة لمنع الأهالي من التجاوز عليها ومن أهمها: موقع الاصيبعين، والسور الوسطاني جنوب المدينة، وبيت الزخارف، والدور رقم (١، ٢، ٣، ٤)

في شمال المدينة، فضلاً عن تحديد المواقع المهمة والشاخصة فيها مثل قصر الخليفة، وجامع الملوية، وقصر العاشق، وسور الجالسية، وغيرها من المواقع الكبيرة.

ومن ضمن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة في الحفاظ على تلك المواقع أن وجهت بتغيير مسار النمو الحضري والمخطط العام للمدينة باتجاه الشرق حيث المساحات الواسعة والخالية من الآثار، وأوقفت العمل باتجاه الجنوب والذي تنتشر فيه مساحات آثارية واسعة تمتد حتى مسافة (١٠كم) إلى الجنوب من مركز المدينة (السامرائي، مجيد، ٢٠١٦، ٤١)، كما عملت على نقل أصحاب العشوائيات في منطقة المنخربة (التجنيد) بعد تخصيص قطع أراض لهم داخل المدينة في أحياء العرموشية والجبيرية الأولى (حي المستنصر)، إلا أنها في الوقت ذاته تركت المجال أمام المزارعين للعمل بأراضيهم التي تتخلل مناطق الآثار على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة لمسافة تربو على (٣٠كم) شمال وجنوب المدينة، مما أثر سلباً على واقع الآثار العباسية في المنطقة، ففي جنوب المدينة وبالتحديد في مناطق الجبيرية وجنوبها حتى منطقة المنكور (بلكوارا)، شهدت الآثار تجريفاً تاماً لغرض توفير مساحات من الأراضي المخصصة للزراعة، وتسبب ذلك بإزالة عدد من المعالم الأثرية هناك مثل سور الجبيرية والذي كان يمثل دار الأفشين القائد التركي، وبعض التلال الأثرية المحيطة بسور الجالسية (لوح ٤).

وفي شمال المدينة تسبب المزارعون بتجريف بعض معالم حلبات السباق، والتي تقع إلى الشرق من قصر الخليفة، ولا سيما حلبة السباق ذات الأربعة دوائر (لوح ٥).

كما شهدت هذه المرحلة انشاء الحي الصناعي في جنوب المدينة الذي كان سبباً بإزالة مساحة كبيرة من منطقة الآثار قُدرت بنحو (٤٥٠,٠٠٠م^{٢}) (لوح ٦)، وفي ذات الوقت من هذه المرحلة كان من المستغرب أن الحكومة نفسها عمدت على إنشاء استراحة سياحية في منطقة الآثار الأبرز في المدينة جنوب غرب سور عيسى مباشرة (لوح ٧).

لم تشهد فترة التسعينات تغيرات مهمة على مستوى النمو الحضري للمدينة بسبب الحصار الاقتصادي الذي فُرِضَ على العراق على مدى هذا العقد بكامله، وبالتالي فأن التجاوزات على آثار المدينة مر بفترة جمود، ما عدا بعض الحالات التي حدثت من قبل الأهالي ولا سيما المزارعين منهم، وهذه التجاوزات ذات نطاق محدود، ظهرت بعضها في جنوب المدينة عند سور الجالسية.

المبحث الثاني: طبيعة التجاوزات على المواقع الآثارية بعد عام ٢٠٠٣م

شهد العام ٢٠٠٣م منعطفاً مهماً في تاريخ العراق المعاصر، فبعد تعرضه للغزو الأمريكي تراجعت بسببه الحركة التنموية في كل المجالات بالرغم من الزيادة الغير مسبوقة في ميزانية العراق، فقد شهدت السنوات التي تلت ذلك العام انتكاسة في المجال الاداري مما ترك أثراً سلبياً على واقع النمو الحضري في مدينة سامراء وبالتالي تعرضت المواقع الأثرية إلى هزَّة عنيفة من خلال الإهمال والتداعي والتجريف والطمس، ساهمت جملة من العوامل بتشكيل الواقع المرير الذي تعيشه مواقع التراث العالمي في المدينة اليوم ومن أبرزها:

أولاً – العشوائيات السكنية: بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣، بدأت العشوائيات تظهر كواقع سكنية في المدينة وانتشرت في نواحيها المختلفة مستغلة الفضاءات بين الأحياء النظامية والساحات الخضراء داخلها، ومن أبرزها عشوائيات منطقة الاصيبعين التي شهدت زحفاً سكنياً على مدى سنوات حتى جرفت أجزاء كبيرة منها أدت لإضاعة ملامح المنطقة الأثرية بشكل كبير (لوح ٨).

ثانياً – الأحياء المنظمة غير الرسمية: أنشأت تلك الأحياء على مساحات من الأرض كان جزء منها أراض آثارية، في شمال المدينة وجنوبها أطلق عليها تسمية (الدوانم)، وامتدت الشمالية منها بجوار الشركة العامة لصناعة الأدوية حتى وصلت إلى قرب تل العليج وتسببت بمحو كامل لآثار حلبة السباق ذات الأربع دوائر، مع أجزاء واسعة من المنطقة الشرقية للخرائب، بلغت مساحة الحي المذكور ما يقارب (١,٨٧ كم^{٢}) بمحيط يبلغ نحو (٦,٢٠٠م) (لوح ٩).

أما الجنوبية فقد أنشأ حي جديد يمتد من شرق الجبيرية الأولى (حي المستنصر) باتجاه الجنوب الغربي بمساحة كبيرة بلغت نحو (٢,٣ كم^{٢}) تسبب بتجريف منطقة كبيرة من الخرائب (لوح ١٠).

ثالثاً – الأحياء المنظمة الرسمية: وقد ظهر حي واحد منها أنشأ بين حي الزراعة والحي الصناعي، على امتداد وادي الموح، أطلق عليه اسم حي السلام، بلغت مساحة الحي نحو (١٠٥.٠٠٠م٢)، وقد كشفت التحريات قبل البدء بإنشاء الحي عن وجود آثار لأبنية عباسية، وبعض مجاري المياه المعقودة بالآجر (لوح ١١).

رابعاً – الأراضي الزراعية: كانت تلك الأراضي واحدة من أهم العوامل التي أدت إلى تجريف مساحات واسعة من الآثار في مناطق مختلفة من المدينة، ففي الجنوب تم تجريف مئات

الدونمات من منطقة الآثار لتوفير أكبر مساحة ممكنة من الأرض لأغراض الزراعة، أدت تلك العملية إلى محو شبه كامل للطلال في تلك النواحي، ولاسيما في منطقة جبيرية الشط، والحويط، وخر الصف، والمنكور، ومحيط سور الجالسية، والمشرحات، وخيط البطاوي، والخراب العالي.

أما في مناطق شمال المدينة فقد شمل التجريف مناطق أثرية مهمة منها المنطقة المحصورة بين تل الوزير وتل طوقان، ومنطقة سور الشيخ ولي، ومنطقة اشناس، ونواحي جامع أبي دلف، والمتوكلية، والقصر الجعفري.

وتظهر الصور الجوية حجم التجريف الذي أصاب منطقة الآثار، وهي كما يلي:

١. **جبيرية الشط:** يظهر حجم التجريف الهائل الذي أصاب الآثار في منطقة جبيرية الشط، من خلال المقارنة بين صورة عام ١٩٥٣، وصورة عام ٢٠٠٤م، وكان سور الجبيرية من أبرز الشواخص التي تم تجريفها وهو يمثل بقايا السور الخارجي لقصر الأفشين (لوح ٤).

٢. **الحويط:** إزالة كاملة لمنطقة الحويط التي تقع إلى الشرق من سور الجبيرية، من خلال تسوية الأرض بالكامل لأغراض الزراعة والبناء بعد تحويل الموقع إلى بستان (لوح (٤).

٣. **الأودية الجنوبية:** بالمقارنة ما بين صور عام ١٩٥٣م، وصور عام ٢٠٢٠م، يلحظ اختفاء كامل لبعض الأودية الطبيعية التي تصب في الجهة الشرقية من نهر دجلة ومنها خر الصاف، وخر الصخيرة، وغيرها (لوح ١٢).

٤. **المنكور (قصر بلكوارا):** يقع جنوب مدينة سامراء بنحو (١١ كم)، وهو بقايا قصر كبير، بمساحة مربعة طول ضلعه (١١٥٠م) بمساحة إجمالي تزيد على مليون متر مربع، تعرضت بقايا القصر لتغيير كبير في معالمه، وشمل التجريف نواحي عديدة من الموقع تمت تسويتها لأغراض الزراعة (لوح ١٣).

٥. **سور القادسية:** يقع إلى الجنوب من سامراء بنحو (١٤كم)، أولت الحكومة العراقية قبل عام ٢٠٠٣م، هذا الموقع عناية كبرى، فخضع للحماية طيلة سنوات حكمها، إلا أن الأوضاع العامة في العراق ما بعد ٢٠٠٣م، سمحت للعديد من المزارعين بالتجاوز شيئاً فشيئاً على الأراضي المحيطة بالموقع، مما تسبب بتجريفها بالكامل (لوح ١٤).

٦. **خيط البطاوي:** عبارة عن سور من اللبن يمتد على طول الجهة الشرقية من منطقة الآثار لمسافة تربو على (١٠ كم)، تمت إزالة ما تبقى منه بعد عام ٢٠٠٣ حتى أصبح ما تبقى منه لا يتجاوز أكثر من بضعة مترات.

٧. **مجرى نهر القائم:** يمتد إلى الشمال من سور القادسية، تعرض للتجريف شملت عمليات دفن المجرى وإزالة أكتافه (لوح ١٥).

خامساً – المنشآت الحكومية: أقدمت الحكومة على تنفيذ بعض المشاريع الخدمية في المدينة كان البعض منها مقاماً على أراض آثارية، ومن أهمها:

١. **الجسر الجنوبي:** بدأ العمل به حدود عام ٢٠٠٦، ثم توقف بسبب الأوضاع الأمنية، إلى أن أعيد العمل به عام ٢٠٠٩، تم افتتاحه عام ٢٠١٣، تسبب مشروع الجسر ومقترباته بإزالة مساحة كبيرة من الآثار التي تقع في جهته الشرقية (لوح ١٦).

٢. **بناية جامعة سامراء الجديدة:** وتقع في الجنوب الشرقي من المدينة على الطريق المؤدي إلى الضلوعية، أحيط الموقع بالسور الخاص بها على مساحة امتدت لتشمل جزء كبيراً من أراضي حير الوحوش، ومنطقة المشرحات الأثرية، وبلغت مساحتها الاجمالية نحو (٢,٧٥ كم^{٢}) بمحيط بلغ طوله (٦,٨٠٠ م) (لوح ١٧).

٣. **شارع الخمسين:** وهو الطريق الرئيس للمدينة المرتبط بالجسر الجنوبي، أدى فتح مسار الشارع إلى اختراق المنطقة الأثرية الممتدة من جنوب الحي الصناعي وحتى حدود الجبيرية الثالثة، وبعرض خمسين متراً وامتداد طولي يتجاوز (١٥٠٠م) (لوح ١٦).

٤. **مشروع المجاري الكبير:** بدأ العمل في المشروع عام ٢٠١٤، وتسبب في التجاوز على منطقة الآثار في حي السكك والجبيرية الأولى.

سادساً – الاجهزة الأمنية: ساهمت الأجهزة الأمنية بتجريف مساحات شاسعة من أراضي الآثار، لغرض انشاء المقرات العسكرية ونقاط المراقبة وما تحتاجه من طرق وغيرها، ومن أهمها:

١. مجمع عسكري في منطقة المنخربة شمال المدينة، واستقطاع جزءً كبيراً من منطقة الآثار جنوب قصر الخلافة، بلغت المساحة المزالة لإقامة المجمع (٤١٦,٥٠٠م^{٢}) بمحيط طوله (٣,٠٩٦م) (لوح ١٨).

٢. مقر عسكري قرب السور الوسطاني جنوب المدينة، في منطقة الآثار مما تسبب بإزالة مساحة كبيرة من منطقة الآثار، وتوزعت نفاط المراقبة في منطقة الاصيبعين داخل المدينة، ومدق الطبل شمال المدينة، ومنطقة المتوكلية على امتداد الشارع الرئيس بين سامراء وقضاء الدور.

٣. تحويل قبة الصليبية في الجانب الغربي من سامراء إلى ثكنة عسكرية، واستغلالها كمخزن للقوة المرابطة هناك مما تسبب بإحداث أضرار بليغة بالمبنى (لوح ١٩).

سابعاً – مديرية بلدية سامراء:

ساهمت مديرية بلدية سامراء بجزء من عملية التجاوزات وإزالة بعض المواقع الأثرية بحجج مختلفة، ففي المنطقة الشمالية من سامراء ضمن ما يسمى بالمنطقة الخضراء، أنشأ مرآب خاص يبدو أنه خاص لزوار العتبة العسكرية بعد تجريف جزء من منطقة الخرائب تقدر مساحتها بنحو (٣٠٠٠م^{٢}) (لوح ٢٠).

ثامناً – الهيئات الدينية:

أقدمت إحدى الهيئات الدينية على تحويل جزء من المواقع الأثرية إلى مزار ديني في موقع قصر الخليفة، وهو عبارة عن بناية تحت أرضية (سرداب) يقع بالجهة الشرقية من القصر، وحولت مساحة كبيرة من الفناء الرئيس للقصر إلى حديقة بعد غرسها بالأشجار (لوح ٢١).

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة التي استعرضت طبيعة تأثير النمو الحضري في مدينة سامراء على مواقع التراث العالمي تم التوصل إلى جملة من النتائج يمكن حصرها بما يلي:

– تكمن أهمية أطلال وخرائب مدينة سامراء العباسية ضمن التراث العالمي في أنها تمثل واحدة من أكبر المستوطنات الحضري التي أنشأها الإنسان خلال العصور الوسطى، حيث امتدادها الواسع على مساحة كبيرة من الأرض.

– وتمثل هذه المدينة، في حقل الدراسات العلمية، نقطة تحول رئيسة في تطور الفكر الخططي في التاريخ الإنساني، فقد تركت جملة من الخصائص التي أثرت فيما بعد في عدد من المدن التي بنيت لاحقاً.

– بدأت مدينة سامراء الحديثة تنمو وتتطور على بقعة محددة من سامراء العباسية تتمثل بمرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، ثم أحيطت بسور شبه دائري خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر.

– ظلَّ سور سامراء محدداً للنمو الحضري للمدينة حتى عام ١٩٣٦ حين تم هدمه والسماح للأهالي بالبناء خراج السور فبدأ النمو الحضري بشكل مطرد على المناطق الأثرية في المدينة.

– مرت التجاوزات على المواقع الآثارية بمراحل عديدة، فقد شهدت المرحلة الأولى ١٩٣٦– ١٩٧٠ نمواً للمدينة في الاتجاهات الثلاث الغربية والشرقية والجنوبية، في حين ظلّ النمو في الجهات الشمالية محدوداً نسبياً.

– شهدت مرحلة السبعينات من القرن العشرين توسعاً كبيراً في النمو الحضري للمدينة، فبدأت تتضاعف الأحياء السكنية فيها مما أثر سلباً على مساحات الأراضي الأثرية فيها.

– وفي مرحلة الثمانينات بدأت الحكومة العراقية تهتم بشكل واضح بآثار المدينة فعملت خلال وضع المخططات الأساس للمدينة مراعاة تلك المناطق ومحاولة تغيير مسار النمو الحضري فيها، وبالفعل توجهت الأحياء المستحدثة خلال تلك المرحلة نحو الشرق بعيداً عن منطقة الآثار في جنوب المدينة.

– كان العام ٢٠٠٣ منعطفاً مهماً في تاريخ العراق المعاصر، فبعد الغزو الأمريكي دخل النمو الحضري في مدينة سامراء مرحلة من العشوائية واللانظام وفقدان الرقابة الحكومية والتخطيط المسبق، وبذلك بدأت جهات مختلفة رسمية وغير رسمية بعمليات تجريف واسعة لمناطق الآثار في المدينة مما أدى إلى اندثارها بشكل غير مسبوق.

لوح (١) منطقة الخرائب في مدينة سامراء ١٩٥٣م

(١) الجامع الكبير، (٢) مدينة سامراء، (٣) حلبة السباق، (٤) سور عيسى، (٥) خيط المنطرد، (٦) الباب الملطوش، (٧) الاصيبعين، (٨) وادي الموح.

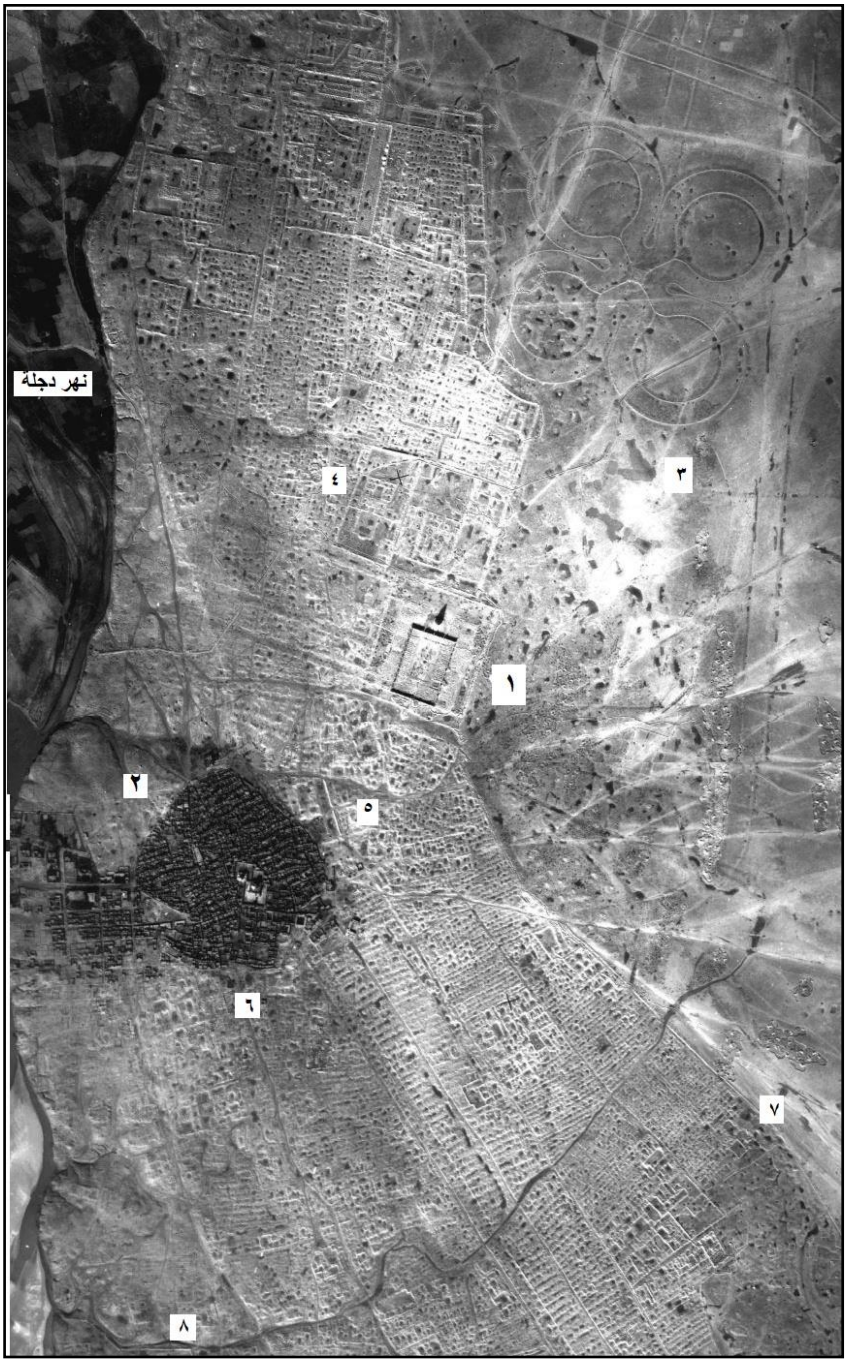

نقل بتصرف عن:

(Northedge. 2015. 3/ 770 – 771)

لوح رقم (٢)

أ – صورة جوية لمدينة سامراء عشرينيات القرن العشرين

ب – التوسع العمراني للمدينة عام ١٩٥٣ بعد هدم السور.

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 465, 798)

لوح رقم (٣)

جرت عملية إزالة كاملة لمنطقة الصفوف غرب المسجد الجامع وكانت بالأصل المنطقة التجارية في قلب المدينة العباسية

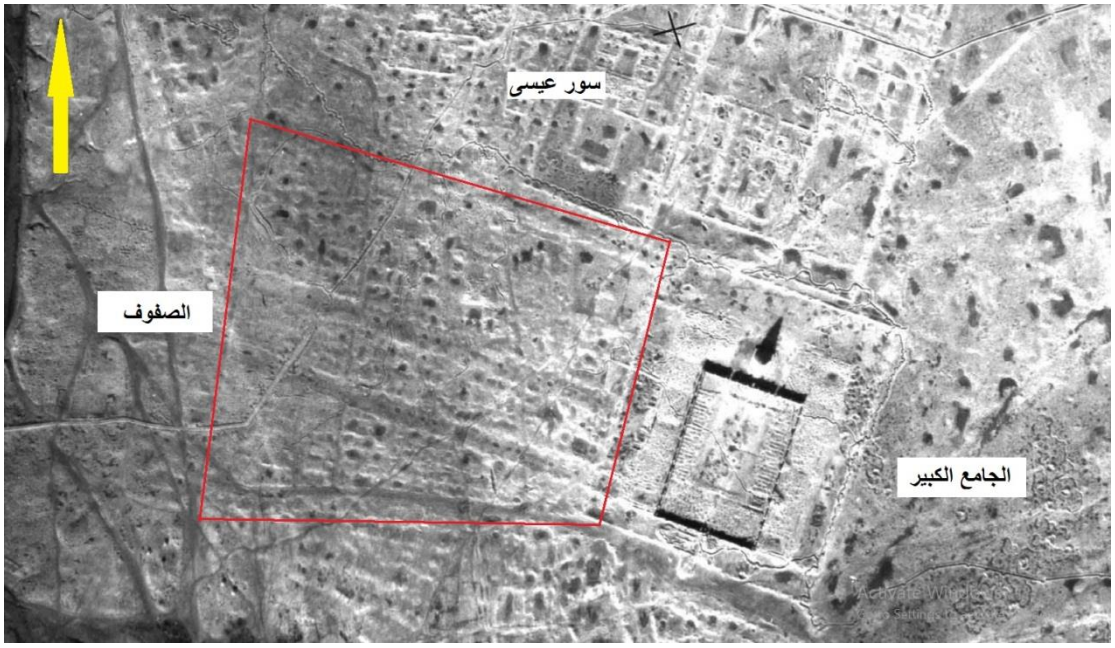

صورة عام ١٩٥٣ تظهر فيها آثار منطقة الصفوف واضحة المعالم

صورة حديثة تظهر الزحف العمراني على منطقة الصفوف

لوح رقم (٤)

موقع سور الجبيرية ومحيطه جنوب سامراء ما بين (١٩٥٣- ٢٠٠٤)

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 798)& Google Earth

لوح رقم (٥)

حلبات السباق شمال المدينة (١٩٥٣– ٢٠٠٤)

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 798)& Google Earth

لوح رقم (٦)

الحي الصناعي جنوب المدينة (١٩٥٣– ٢٠٠٤)

تظهر في الصورة ١٩٥٣ آثار بناية كبيرة غير معرفة جنوب وادي الموح تمت إزالتها بالكامل فضلاً عن مساحات شاسعة من الخرائب

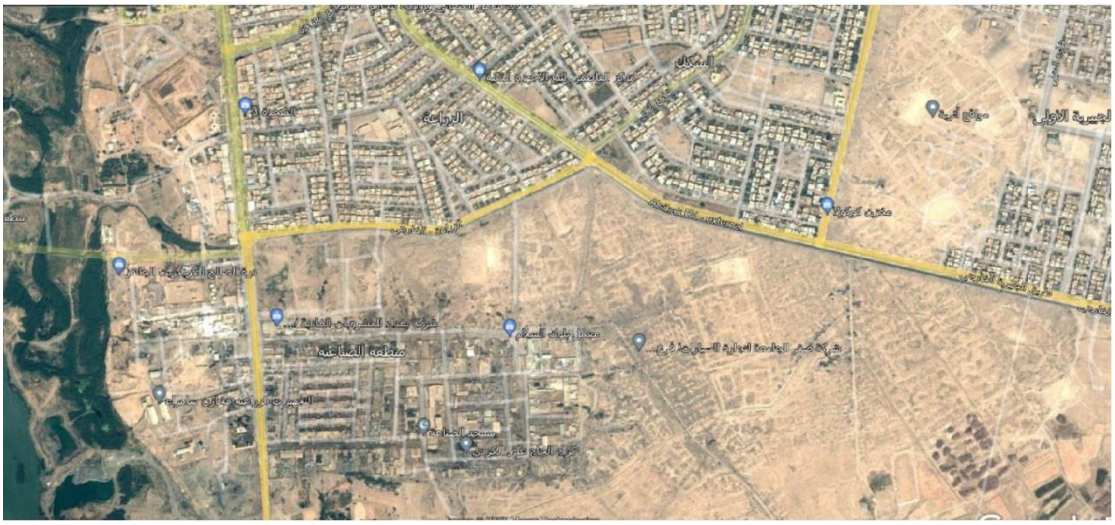

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 798)& Google Earth

لوح رقم (٧)

إنشاء استراحة حديثة على مساحة من منطقة الآثار تقدر بأكثر من ٥٠٠٠ متر مربع

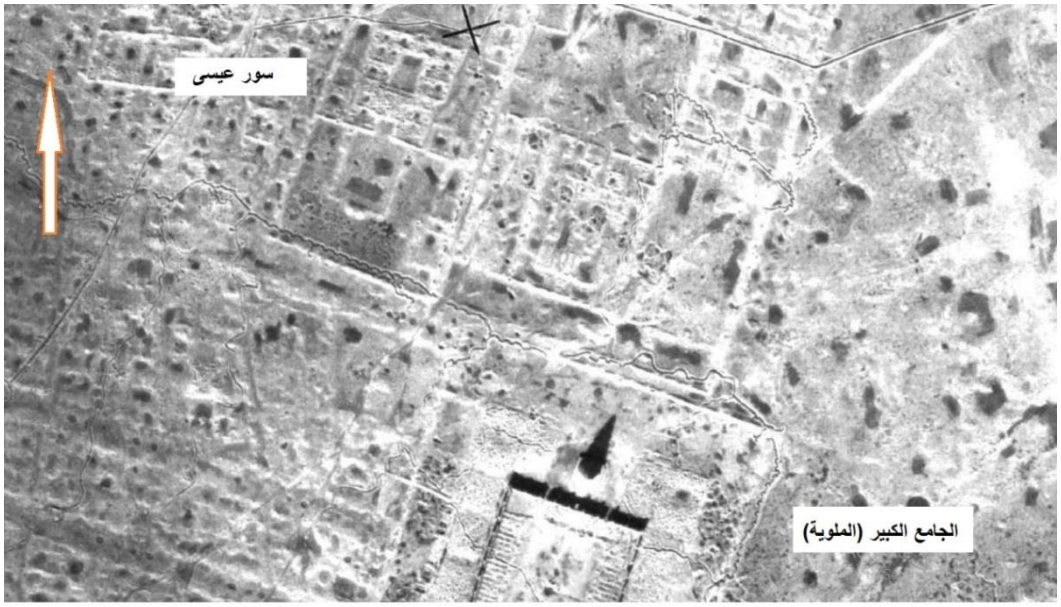

نقلاً عن:

Republic of Iraq. (2006)

لوح رقم (٨)

منطقة الاصيبعين (٢٠٠٤– ٢٠٢٢)

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (٩)

حي الدوانم شمال مدينة سامراء بعد تجريف بقايا حلبات السباق

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١٠)

حي الدوانم الجنوبية شمل جزء من منطقة الآثار

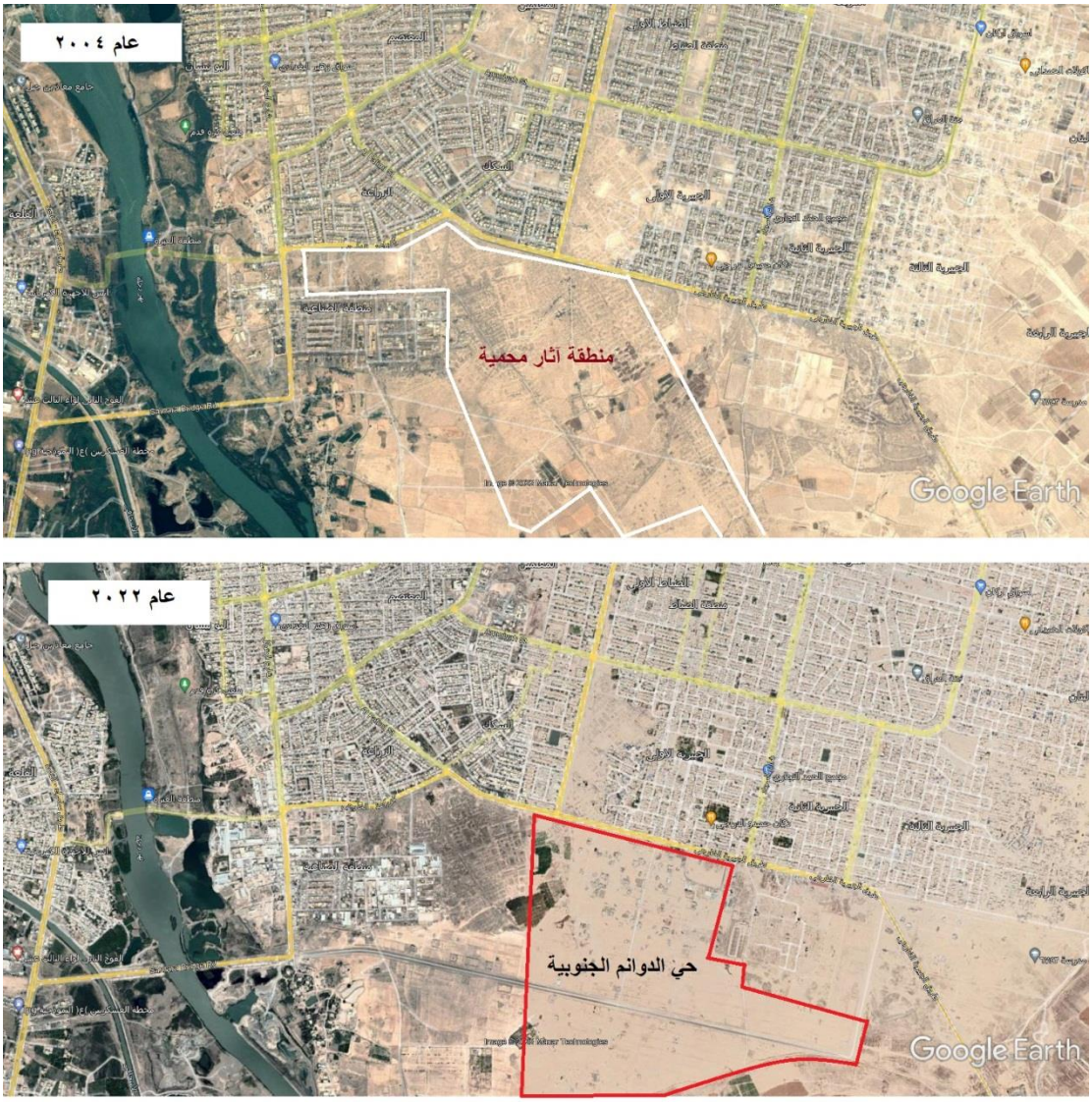

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١١)

استحداث حي السلام على جزء من منطقة الآثار المحرمة ٢٠١١م.

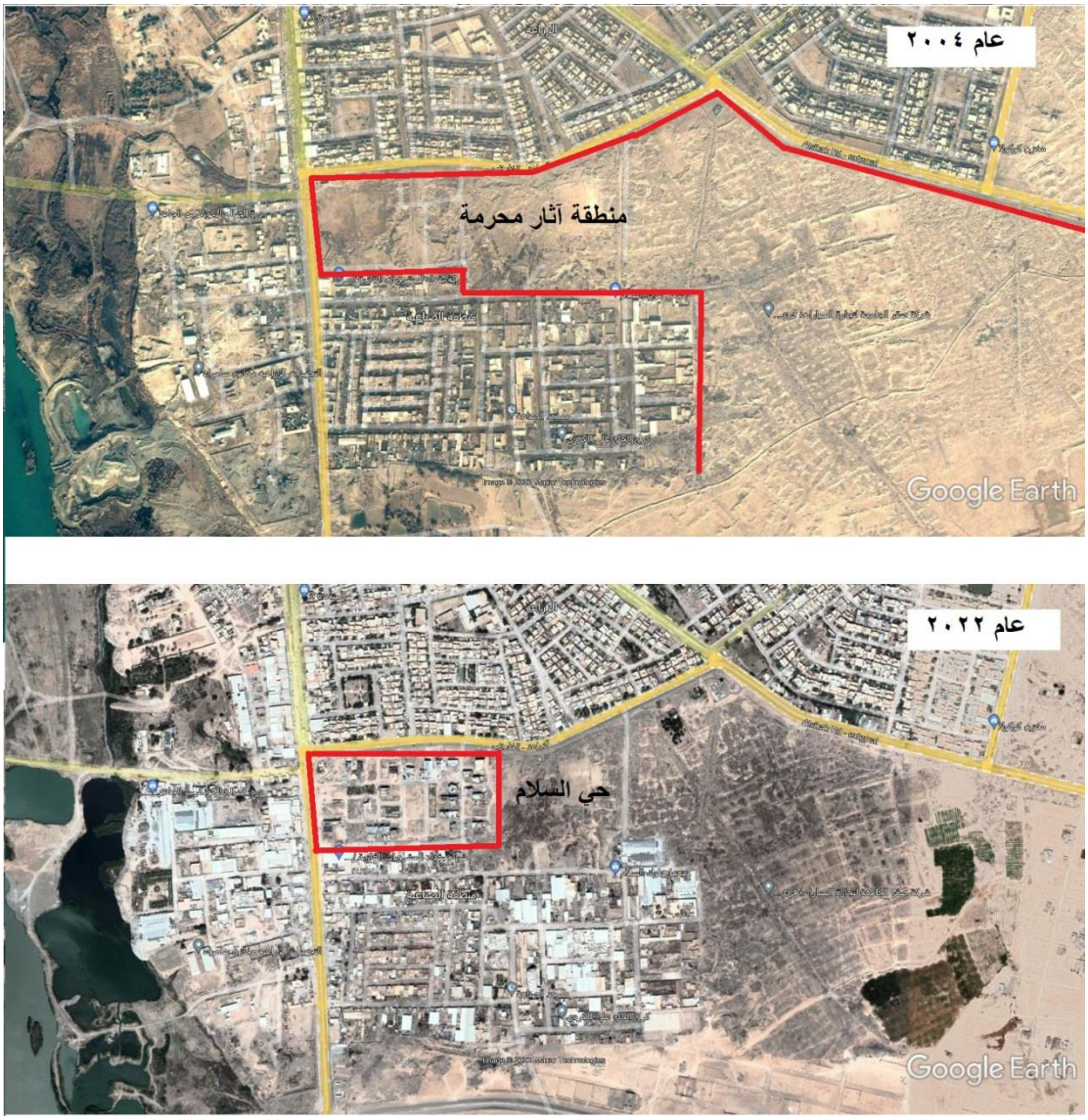

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١٢)

الأودية الجنوبية

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 661)& Google Earth

لوح رقم (١٣)

منطقة المنكور (قصر بلكوارا) ما بين (١٩٥٣- ٢٠٢١)

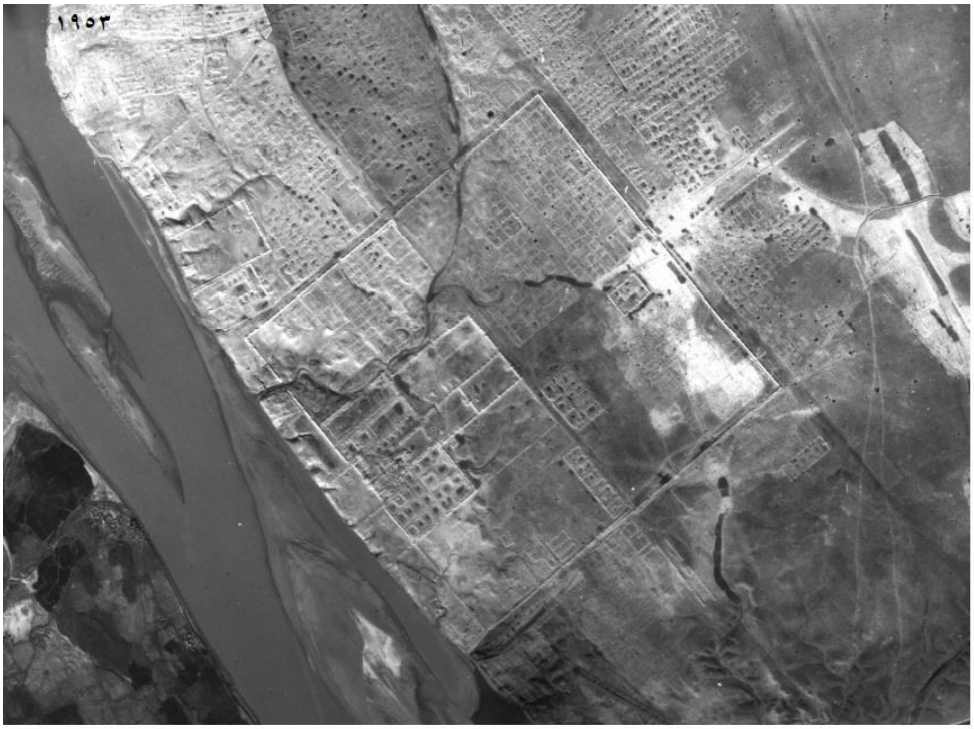

نقلاً عن:

(Northedge. 2015. 3/ 661)& Google Earth

لوح رقم (١٤)

تجريف المواقع الآثارية المحيطة بسور القادسية وتحويلها إلى مناطق زراعية

الجهات المحيطة بالسور

لوح رقم (١٥) التجاوزات على مجرى نهر القائم

أ – ٢٠١٠م

ب – ٢٠١٦م

ج – ٢٠٢١م

نقلاً عن: Google Earth

لوح رقم (١٦)

الجسر الجنوبي وشارع الخمسين

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١٧)

جامعة سامراء وحير الوحوش

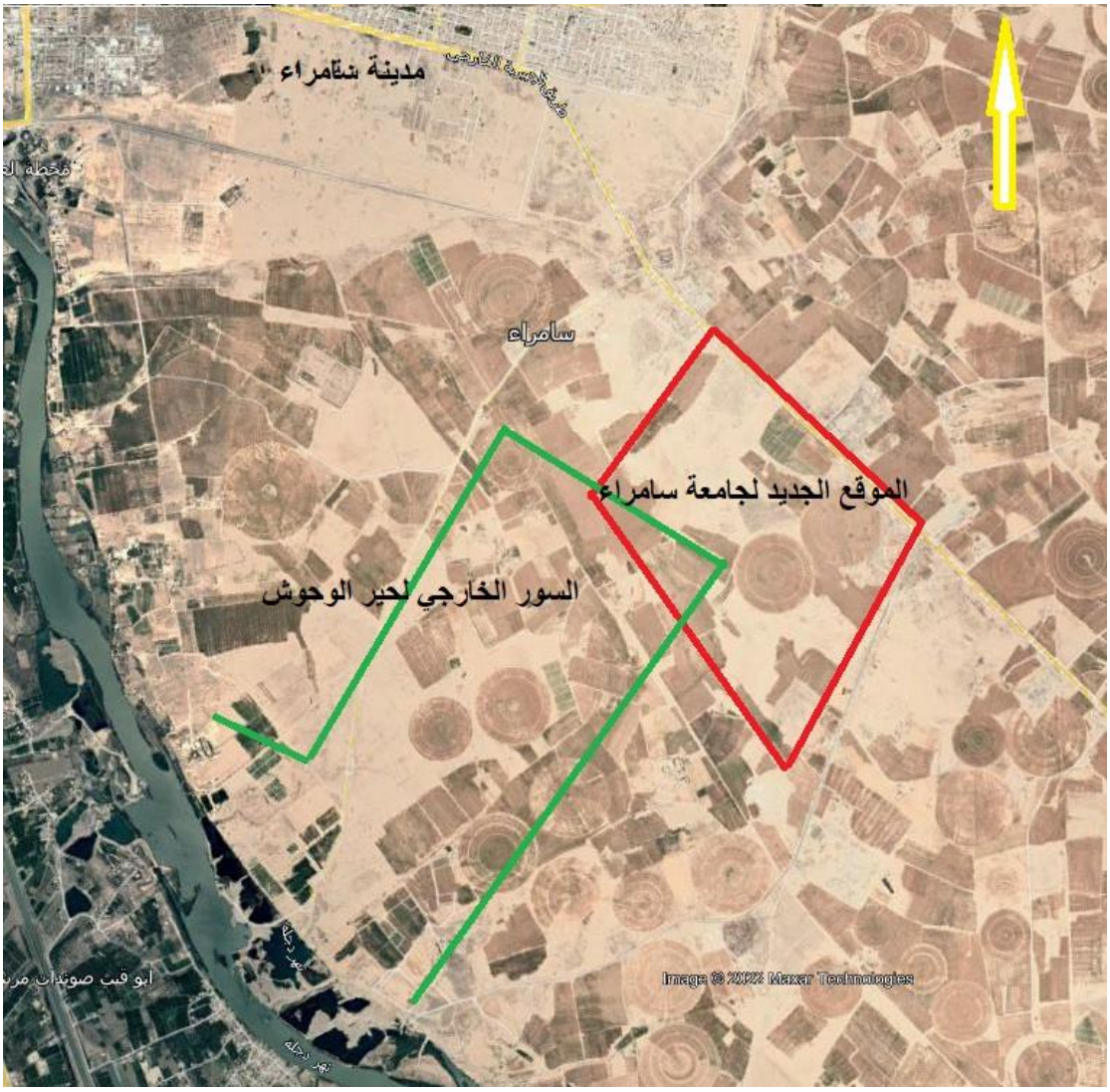

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١٨)

مجمع عسكري شمال المدينة

أ – صورة عام ٢٠٠٤

ب – صورة عام ٢٠٢١

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (١٩)

قبة الصليبية غرب سامراء

أ – قبة الصليبية عام ٢٠٠٤

ب – قبة الصليبية عام ٢٠٢١

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (٢٠)

إنشاء مرآب للسيارات في منطقة الآثار شمال مدينة سامراء

أ – صورة عام ٢٠٠٤ وتظهر فيها منطقة الآثار

ب – صورة عام ٢٠٢١ تظهر معالم التجريف بعد إنشاء مرآب للسيارت

نقلاً عن:

Google Earth

لوح رقم (٢١)

وطبيعة التغيرات التي طرأت على موقع قصر الخليفة ما بين ٢٠٠٤ – ٢٠٢١م، ومنها تحويل جزء من القصر إلى مزار ديني

أ – صورة لقصر الخليفة عام ٢٠٠٤م.

ب – صورة لقصر الخليفة عام ٢٠٢١م.

نقلاً عن:

Google Earth

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر العربية والمعربة

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (١٩٩٧) الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

٢. الأحمدي، خلود محمد، (٢٠٠٦) سامراء عاصمة الخلافة العباسية (٢٢١- ٢٧٩هـ/ ٨٣٦-٨٩٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا.

٣. الحسني، عبد الرزاق، (١٩٥٧) العراق قديماً وحديثاً، ط٧، بغداد، العراق.

٤. الخضر، زكريا هاشم أحمد (٢٠١٨) خطط سامراء وإشكالية تحديد المواضع بين النصوص التاريخية والدراسات الآثارية، عمان، الأردن، دار دجلة.

٥. ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (١٩٤٦) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق، عباس العزاوي، بغداد، العراق، مطبعة المعارف.

٦. الدراجي، سعدي إبراهيم، (٢٠١٦) أسوار مدينة سامراء في العصر العثماني، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي- جامعة بغداد، عدد (٥٦).

٧. السامرائي، مجيد ملوك، (٢٠١٣) سامراء وتطورها الحضاري، بعقوبة، العراق، مطبعة جامعة ديالى.

٨. السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، (١٩٦٧) تاريخ مدينة سامراء، بغداد، العراق.

٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٩) تاريخ الرسل والملوك, تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم, ط٢، القاهرة، مصر، دار المعارف.

١٠. كاظم الدجيلي، (١٩١١) ماذا يُرى اليوم في سامراء، مجلة لغة العرب، مج٤.

١١. مديرية الآثار القديمة، (١٩٤٠)، حفريات سامراء (١٩٣٦-١٩٣٩)، بغداد، العراق، مطبعة الحكومة.

١٢. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (١٩٣٨) التنبيه والإشراف، تحقيق، عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، مصر، دار الصاوي.

١٣. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٢٠٠٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، كمال حسن مرعي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.

١٤. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (١٩٧٧) معجم البلدان، بيروت، لبنان، دار صادر.

١٥. يوخنا، دوني جورج، (١٩٨٦) عمارة الألف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

ثانياً: المصادر الأجنبية

16. Abu Es-Soof, B. (1964). The excavations at Tall Es-Sawwan, First preliminary report. Sumer, Vol 11. P,17- 41.

17. Herzfeld, E. (1912). Erster vorlaufiger Bericht uber die Ausgrabungen von Samarra. Berlin, Germany.

18. Jones, J, F. (1848). Journal of a Steam Voyage to the North of Baghdad in April 1846., Journal of the Royal Geographical Society, Vol 18. P182- 213.

19. Northedge, A. (2007). The Historical Topography of Samarra. London, UK. British School of Archaeology in Iraq.

20. Northedge, A. (2015). Archaeological Atlas of Samarra, London, UK. British School of Archaeology in Iraq.

21. Republic of Iraq. (2006). Samarra Archaeological City. Baghdad.

القسم الثاني

أوراق أكاديمية

يعنى هذا القسم من المجلة بعرض ملخصات الرسائل والأطاريح المجازة من الجامعات العربية في مجال التاريخ

ملخص أطروحة الدكتوراه

العلاقات الفرنسية الإسبانية وتداعياتها على الأوضاع السياسية في المغرب ١٩١٢ – ١٩٥٨

د. حياة اجعير

جامعة عبد المالك السعدي – تطوان – المغرب

Ajairhayat27@gmail.com

يندرج موضوع البحث في سياق مقاربة إشكالية الميكانيزمات المتحكمة في تطور **العلاقات الفرنسية الإسبانية في المغرب** منذ توقيع معاهدة الحماية، والتعرف على العوامل الدولية، الإقليمية، والداخلية المؤثرة في هده العلاقات ، بالإضافة إلى الوقوف على أبرز التحديات التي واجهت علاقات فرنسا بإسبانيا في المغرب ، واستعراض انعكاساتها على العمل الوطني السياسي والمسلح.

ولقد كان ولا يزال أحد المواضيع المهمة، التي تحتاج إلى دراسات علمية عميقة. وإسهاما في تحقيق تلكم الغاية؛ يأتي هذا العمل، نظرا لندرة الدراسات السابقة إن لم تكن منعدمة حوله حسب علمنا.

ومن خلال هذا البحث عملنا على رصد جوانب من هذه العلاقات التي ربطت فرنسا بإسبانيا، والتي كانت تخضع لأبعاد دولية ولمتغيرات جيوسياسية، ما يهمنا في الموضوع، هو مدى تأثيرها على الأوضاع السياسية الداخلية في المغرب، لأن مسار هذه العلاقات شكل إحدى الركائز التي بني عليها تطور العمل الوطني السياسي والمسلح المغربي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها ساعدتنا على تعميق الفهم والتدقيق في طبيعة العلاقات والارتباطات بين الوطنيين وفرنسا وإسبانيا وذلك عن طريق تسليط الضوء على طبيعة التنافس والمصالح المتضاربة بين الأطراف المعنية، كما أن أهميته تتجلي في راهنية موضوع العلاقات الفرنسية الإسبانية، أولا بحكم الإرث التاريخي الدي تركته هده العلاقات في قضية الصحراء المغربية وبغية فهم الوضع الراهن في هذه المشكلة، لذلك حاولنا مقاربة العوامل الفاعلة والملفات المركزية في هذه الأزمة، وانعكاس ذلك على قضية الصحراء بعد عملية إيكوفيون

ونتائجها، والمشاكل التي خلفتها وراءها، كمقدمة لاستشراف مستقبلها. كما أن التنافس الفرنسي الإسباني علي المغرب دفع بشكل أو بآخر إلى التساؤل حول تفاعلات هذه الظاهرة ودوافعها ونتائجها من أجل الوصول لفكرة عامة تلخص وتحلل وتبين لنا طرق الاستفادة من خلق علاقات دبلوماسية بين المغرب وفرنسا وإسبانيا في الفترة الراهنة بدل تلقي سلبيات هذه العلاقات فقط

ويمكن تصنيف العلاقات الفرنسية الإسبانية إلى نوعين: النوع الأول هو علاقات التحالف التي كانت تبرمها الدولتان،والتي كانت تمثل خيارا سياسيا ضروريا لا مفر منه لكلا الطرفين فحاجة كل من فرنسا وإسبانيا لحليف وشريك سياسي، كان لمواجهة التهديدات التي كانت تفرضها الظروف الداخلية للمغرب. وبالتالي فهذا النوع من العلاقات كان يتم غالبا للقضاء على المقاومة المغربية سواء أكانت مسلحة أم سياسية، والتضييق عليها .

أما النوع الثاني من العلاقات، فكانت علاقات الفتور والتوتر بين فرنسا وإسبانيا، والتي كانت تفرضها مجموعة من الأزمات بين البلدين، وهو وضع استغله الوطنيون المغاربة.

وقد استفادت الحركة الوطنية من هذه التوترات وتحديدا من المنطقة الشمالية في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي والنصف الاول من الأربعينيات ١٩٣٧والخمسينيات، كما استفاد العمل المسلح من هده التوترات عندما تغاضت إسبانيا بسبب توتر علاقاتها مع فرنسا، عن تأسيس جيش التحرير في شمال المغرب. فكانت المنطقة الشمالية هي مصدر إمدادهم بالأسلحة. لكن هناك محطات وقرارت مفصلية في تاريخنا تغافل فيها المفاوضون المغاربة عن توتر العلاقات الفرنسية الإسبانية، واستغلالها لتقوية موقف المغرب في المفاوضات المغربية الفرنسية الإسبانية مثلا.

لذلك نعتقد أن علاقة إسبانيا بفرنسا تبقى نموذجا للعلاقات التي سادت خلال القرن العشرين، والتي لا بد أن تحظى باهتمام الباحثين، لذا ارتأينا في أطروحتنا دراسة هذه العلاقات التي ميزت الإمبريالية الأوربية في شمال إفريقيا بتواجد دولتين محتلتين للمغرب.

ومن هنا يعتبر موضوع العلاقات الفرنسية الإسبانية في المغرب موضوعا مغريا لمجموعة من الباحثين المشتغلين في مجالات معرفية متنوعة فقد جمع بين العلاقات الدولية ، العلوم السياسية، وعلم التاريخ وعلى هذا الأساس؛ وفي تقديرنا المتواضع، ارتأينا أن نقارب هدا الموضوع وهو في نظرنا في غاية الأهمية من الناحية التاريخية ولندرة الدراسات التي تناولته من

جهة ثانية، وهذا ما يزيد من أهميته التاريخية. ، إذ يمتاز بتنوع وثائقه ومصادره سواء الفرنسية أو الإسبانية أو الوطنية رغم قلتها.

أما اختيارنا للفترة المدروسة وهي ١٩١٢-١٩٥٨ ، فيعود أولا تاريخ توقيع معاهدة الحماية على المغرب في ١٩١٢ وبالتالي وبداية العلاقات الفرنسية الإسبانية. فيما ١٩٥٨ تمثل نهاية التحالفات الفرنسية الإسبانية في المغرب في عملية إيكوفيون.

ولمحاولة معالجة إشكالية الأطروحة، حاولنا تلخيصها في السؤال المركزي التالي: ماهي انعكاسات العلاقات الفرنسية الإسبانية على الأوضاع السياسية في المغرب؟

وضمن هذا الإشكال المحوري هناك أسئلة فرعية تفرض نفسها على الأطروحة، حاولنا مناقشتها ومنها:

- ما طبيعة العلاقات التي ربطت بين فرنسا وإسبانيا؟
- ماهي الأسباب والعوامل المتحكمة في مسار علاقتهما؟
- وما مدى تأثير الوضعية العامة في المغرب عليها؟
- وكيف انعكس توتر العلاقات بين الجانبين خلال الفترة المدروسة على الحياة السياسية في المغرب؟

ولمناقشة هذه القضايا؛ حاولنا اتباع منهجية علمية، وصفية نقدية، تستجيب لقواعد منهج البحث التاريخي الحديثة، وذلك عبر مساءلة الوثائق ومقارنتها للإجابة عن إشكالية البحث.

فإذا كانت العلاقات بين مختلف دول العالم قد نالت حصة الأسد من الدراسات، فإن العلاقات الإسبانية الفرنسية في المغرب لم تحض باهتمام الباحثين، سوى دراسات قليلة مثل دراسة "جون ألونغري" المعنونة بـ: «العلاقات الفرنسية الإسبانية ومسألة المغرب، فرنسا وإسبانيا في المغرب»

«Les Relations franco-espangnoles et L'affaire du Maroc : la France et L'Espagne au Maroc»

والتي اهتمت بفترة زمنية معينة، حيث تناول فيها علاقات فرنسا وإسبانيا خلال القرن ١٨م و١٩م إلى غاية توقيع معاهدة الحماية. أيضا نجد دراسات ميشال كاطالا Michel Catala المهتم بالعلاقات الفرنسية الإسبانية، وقد اطلعنا على كتابه المعنون بـ:

» la France, l'Espagne et l'indépendance du Maroc: ١٩٥١ -١٩٥٨«

ومقاله المعنون بـ:

« La Place du Maroc dans les relations franco- epagnoles de 1939 à1945»

أما المكتبة المغربية، فقد تعززت بكتاب محمد بن سعيد آيت إيدر: «التحالف الفرنسي الإسباني في عملية إيكوفيون». وبالإضافة إلى كل هذه الدراسات، نجد دراسات تناولت في بعض محاورها موضوع العلاقات الفرنسية الإسبانية.

إن الوصول إلى بحث علمي أكاديمي يتطلب التوفر على مادة مصدرية خامة، ولن يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى المصادر الدفينة من وثائق الأرشيف الفرنسي والإسباني والوطني المتصلة بالموضوع، لذلك اعتمدنا على مجموعة من الوثائق:

١- **<u>الوثائق الأجنبية:</u>**

- وثائق الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانت.

les Archives diplomatiques de Nantes AMAE-N

- وثائق الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بلاكوغنوف بباريس.

Les Archives diplomatiques de La Courneuve, Paris. AMAE-P

- وثائق محفوظات أرشيف ما وراء البحار إكس أون بروفانس بمرساي

les Archives d'outre-mer. Aix-en-Provence. Maeseille(CAOM)

- وثائق الأرشيف العام الإسباني بألكالا دي هيناريس

Archivo General de la Administración. Alcalà de Henares (AGA)

وثائق وكالة الاستخبارات الأمريكية

Central Intelligence Agency(CIA)

- أرشيف فاريلا

Archivos Varela (AV)

- وثائق الأرشيف الوطني الإنجليزي

Foreign Office of Britain (F.O)

- الوثائق الديبلوماسية لوزارة الخارجية الفرنسية

Documents Diplomatiques Français (DDF)

بالنسبة للأرشيف الدبلوماسي الفرنسي، فقد قمنا بزيارة للمركز، واستطعنا الحصول على وثائق جديدة تهم الفترة الزمنية المدروسة أغنت موضوع أطروحتنا وهي تتضمن مواضيع مهمة.

كما قمنا لزيارة التي قمنا بها للأرشيف العام الإسباني بألكالا دي هيناريس (Archivo General de la Administración)، فقد استطعنا الحصول على وثائق تتضمن مواضيع متنوعة

وبحكم أن الولايات المتحدة الأمريكية لعبت دورا مهما في المغرب منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية، فقد كان لابد من الاطلاع على بعض الوثائق، التي استطعنا الحصول عليها من موقع وكالة الاستخبارات الأمريكية. وتناولت هذه الوثائق توتر العلاقات الفرنسية الإسبانية في الخمسينيات، خاصة مرحلة ما بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، وإيواء إسبانيا في منطقة حمايتها لاجئين من المنطقة السلطانية، كما تناولت استعمال إذاعة تطوان للتشويش على فرنسا، ولتحسين صورة إسبانيا أمام الدول العربية.

وأغنينا بحثنا بوثائق من الأرشيف الوطني الإنجليزي التي استطعنا الاطلاع عليها، خاصة التنافس الإنجليزي الفرنسي منذ احتلال الجزائر، فقد تناولت هذه الوثائق الاتفاقيات التي وقعتها مع فرنسا في بداية القرن العشرين.

واعتمدنا كدلك على الوثائق التي تنشرها وزارة الخارجية الفرنسية، وهي عبارة عن مراسلات للوزارة وتهم فترات زمنية محددة.

٢- **الوثائق الوطنية:**

بالنسبة للوثائق الوطنية، فقد اعتمدنا بشكل خاص على وثائق زكي مبارك التي أمدنا بها قبل وفاته، والتي تهم الفترة ما بين ١٩٥٥-١٩٥٦، وكذا وثائق أرشيف بوبكر بنونة ، والتي تناولت فترة البدايات الأولى للحركة الوطنية.

ولفهم وتحليل الوثائق المتوفرة لدينا، و سياق كتابتها كان لابد من الاطلاع على كتابات أخرى تناولت موضوع العلاقات الإسبانية الفرنسية خلال فترة الحماية بالمغرب، وكذا الأوضاع السياسية في الداخل المغربي، وذلك لوضع الوثائق في سياقها التاريخي والزمني. وقد فضلنا أن نبدأ بقراءة القريب جداً إلى موضوع بحثنا قراءة مستفيضة وعميقة، فقد تعززت الساحة الوطنية بمذكرات المقاومين والزعماء السياسيين الذين عايشوا تلك الفترة، وقد تضمنت هذه المذكرات

معلومات مهمة حول موضوعنا خاصة فيما يخص المقاومة وجيش التحرير وبعض أحداث الأربعينيات والخمسينيات.

ولا يخفى على الدارسين أهمية المجلات والجرائد والدوريات في تحليل وتفسير بعض الأحداث،

خاصة الصحافة المنشورة في تلك الفترة سواء الفرنسية أو الإسبانية أو الوطنية، وقد اعتمدنا بالأساس على:

- Bulletin périodique de la presse espagnole
- Bulletin périodique de la presse anglaise
- وهي تشمل كل ما يتعلق بالصحافة الإسبانية والإنجليزية من تصريحات المسؤولين الإسبان والبريطانيين وأحداث لفترات معينة. كما اطلعنا على مجموعة من المقالات المنشورة في الجرائد والمجلات المتاحة للتحميل في موقع المكتبة الوطنية الفرنسية
- Bibliotèque Nationale Francaise (BNF)

والمكتبة الوطنية الإسبانية:

- Biblioteca Nacional de España(BNE)

وهذا وقد فرضت علينا هذه الدراسة تقسيم الأطروحة إلى ثلاثة أبواب، يتضمن كل باب تقديما وخلاصة.

فقد عنونا **الباب الأول بـ:"المغرب نقطة الاحتكاك بين إسبانيا وفرنسا"**، وحاولنا من خلاله رصد البدايات الأولى للعلاقات الفرنسية الإسبانية في المغرب، وهو مقسم إلى فصلين اثنين.تطرقنا في الفصل الأول إلى الأوضاع العامة في المغرب قبل توقيع معاهدة الحماية، وكذا التطورات المرتبطة بالمنافسة بين القوى الاستعمارية حوله، ثم تناولنا محطات التقارب والتباعد في الاتفاقيات الفرنسية الإسبانية وصولا إلى اتفاقية ٢٧ نونبر ١٩١٢، أما الفصل الثاني فكان حول السياقات العامة لصعوبة التعايش الفرنسي الإسباني في المغرب بسبب مسألة الملفات الشائكة بين فرنسا وإسبانيا التي استمرت طيلة فترة الحماية. ومسألة استعمال وسائل الإعلام واحتضان المعارضين كأوراق ضغط من الجانبين لانتزاع تنازلات حول القضايا العالقة بين الطرفين .

أما **الباب الثاني فكان بعنوان "العمل المسلح بين عسر التعايش الفرنسي الإسباني وصناعة التحالفات بينهما"**، والذي تم فيه تحليل العلاقات الفرنسية الإسبانية، وأهم تداعياتها على العمل المسلح. وقد وقسمنا هذا الباب إلى فصلين، تناولنا في الفصل الأول مرحلة حرب الريف، أما الفصل الثاني فتم التركيز فيه على جيش التحرير بشمال وجنوب المغرب.

وخصصنا **الباب الثالث والأخير للحركة الوطنية وعنوناه بـ: "الحركة الوطنية، آفاق ورهانات على تقلبات قواعد اللعبة في العلاقات الدولية"** وقسمنا هذا الباب إلى فصلين، الفصل الأول ركزنا فيه على منصة الانطلاق للحركة الوطنية وبداياتها الأولى خاصة في فترة الحربان الأهلية الإسبانية والعالمية الثانية كمؤشرين لتأزم العلاقات الفرنسية الإسبانية، فيما كان الفصل الثاني عن تكييف مطالب الحركة الوطنية مع الأوضاع العالمية الجديدة، خاصة وأن تغير موازين القوى في المنتظم الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، أدى إلى بروز الثنائية القطبية، هذه الظروف الدولية استغلتها الحركة الوطنية في بلورة مطلب الاستقلال بدل مطلب الإصلاحات. وقد ختمنا موضوع بحثنا بخلاصات واستنتاجات.

ملخص اطروحة الدكتوراه

التاريخ الدولي للحماية الدستورية لحقوق الانسان والقانون الدولي واثره على التاريخ السياسي في الأردن

د. يوسف فايز الدلابيح

Yousef99faiez@gmail.com

ارتبطت قضايا حقوق الإنسان بأطر فكرية وعقائدية وتاريخية مختلفة، اذ مرت حقوق الإنسان بمراحل زمانية متعاقبة، وحظيت باهتمام وعناية العديد من الشرائع والديانات اذ جاء في كتاب الله العزيز: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٠].

واثرت قضايا حقوق الإنسان في المجالات الفكرية والفلسفية والسياسية والدستورية والقانونية، وقننت حقوق الإنسان في اطار دولي من خلال مجموعة الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، ووفرت اليات دولية لحماية هذه الحقوق، والزمت الدول ان تدرج في دساتيرها ما يحمي الإنسان، وذلك بموجب اتفاقيات دولية ابرمت في اطار الامم المتحدة.

وفي الأردن، عمل النظام السياسي وعبر تاريخه على إدراج حقوق الإنسان في دساتيره المتعاقبة، وجعل من احترام حقوق الإنسان وتعزيزها عبر الاليات المتعددة التشريعية والمؤسساتية وغيرها، معيارا أساسياً في مسيرة الاصلاح والتقدم.

ولهذا فان موضوع التاريخ الدولي للحماية الدستورية لحقوق الإنسان والقانون الدولي وأثره على التاريخ السياسي في الأردن من الموضوعات التي تحمل التساؤلات الاتية:

- ما هو مفهوم حقوق الإنسان؟ وما هو التأصيل الفلسفي التاريخي لهذه الحقوق؟
- ما هي الحضارات التي تطورت فيها حقوق الإنسان؟ وما هي المرحلة الدولية (التاريخ الدولي) لحقوق الإنسان؟
- ما هو النظام الدولي لحماية حقوق الإنسان والقانون الدولي؟
- ما هي الحقوق المحمية في الدستور الأردني؟ وما هو موقف الدستور من القانون الدولي وحقوق الإنسان؟

- ما هو السياق التاريخي لسلوك النظام السياسي الأردني تجاه حقوق الإنسان والقانون الدولي؟

وتستند الدراسة الى فرضيتين مفادهم، ان الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان مستمد من الجذور التاريخية لهذه الحقوق في الحضارات المختلفة على امتداد التاريخ الإنساني، مما أدى هذا الاهتمام إلى تنظيم وتأطير هذه الحقوق في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية المستمرة في إطار القانون الدولي، وبذلك تم تعزيز الحماية الدستورية لحقوق الإنسان والقانون الدولي، وان هناك إدراك لدى الدولة الأردنية، عبر تاريخها السياسي، بضرورة توفير الحماية الدستورية اللازمة لحقوق الإنسان وحرياته والمكرسة في القانون الدولي.

كما تتمثل مشكلة الدراسة الرئيسية في الإجابة على التساؤل التالي: ما هي مراحل تطور الحماية لحقوق الإنسان والقانون الدولي في التاريخ الدولي؟ وما هي الحماية التي وفرت لحقوق الإنسان والقانون الدولي في التاريخ السياسي الأردني؟

وتنبثق أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تعالجه، وهو التاريخ الدولي للحماية الدستورية لحقوق الإنسان والقانون الدولي وأثره على التاريخ السياسي للأردن خلال الفترة ١٩٩٠-٢٠١٦، إذ حظيت مواضيع حقوق الإنسان والقانون الدولي باهتمام كبير على مر التاريخ الإنساني، وعلى مراحل تاريخية مختلفة، إلى أن باتت حقوق الإنسان والدفاع عنها محل إجماع عالمي وإحدى السمات الأساسية والمميزة في العلاقات والمعاملات السياسية للنظام الدولي المعاصر، باعتبار حقوق الإنسان مقياسا للتطور السياسي لأي مجتمع ومعيار يبين أهلية النظم السياسية في الدول المعاصرة ولذا فقد تم تأطير هذا الاهتمام في إطار القانون الدولي من خلال المعاهدات والاتفاقيات وذلك لتعزيز الحماية لهذه الحقوق، وبالتالي توجب على النظم السياسية في العالم أن تعكس هذه الحماية في تشريعاتها وأنظمتها للتواؤم مع القانون الدولي. ولذا فقد حرص الأردن، ومنذ نشأته وعبر تاريخه السياسي، على إصدار وتطوير التشريعات بما يتلاءم مع حقوق الإنسان والقانون الدولي. إضافة إلى دوره في العمل على إعلاء شأن واحترام مبادئ حقوق الإنسان في كافة المحافل الدولية. ومن هنا كان لزاما علينا إن نبرز موضوع حقوق الإنسان والقانون الدولي، تاريخيا، وان نظهر الحماية الموفرة لهده الحقوق في التاريخ الدولي، والأثر المترتب على الدولة الأردنية عبر التاريخ السياسي لها تجاه حقوق الإنسان والقانون الدولي.

والهدف الرئيسي من هذه الدراسة:

هو بيان مفهوم حقوق الإنسان والفلسفة التاريخية لهذه الحقوق، وما هو التاريخ الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي والحضارات التي تطورت فيها هذه الحقوق، وما هي الحماية الدولية الموفرة لحقوق الإنسان والقانون الدولي. وبيان الحماية الدستورية الموفرة لها وللقانون الدولي في الأردن، وتتبع مسار حقوق الإنسان والقانون الدولي عبر التاريخ السياسي الأردني.

ومن الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة:

١. **دراسة شادية العدوان (١٩٩٣):** التطور السياسي للملكة الأردنية الهاشمية (١٩٤٦-١٩٦٧) ، اطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية: تناولت هذه الدراسة التطور السياسي للمملكة الأردنية الهاشمية منذ عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٦٧، فتحدثت عن الأحوال العامة لشرق الأردن، وبحثت في البدايات الأولى لتأسيس الإمارة، وعلاقاتها مع الدولة المنتدبة، وحاولت إبراز الأثر الناشئ عن طبيعة العلاقة، على الإمارة وتطورها في جوانب متعددة كالجانب القانوني والدستوري، والقضاء، والحياة الاجتماعية، والحركة الوطنية الأردنية. وتطرقت الدراسة إلى المعاهدة الأردنية البريطانية لعام ١٩٤٦، وإلى دستور ١٩٤٧، وكذلك تناولت التطور السياسي الذي عم المملكة خلال الفترة الممتدة بين (١٩٥٧-١٩٥١)، وعرضت الدراسة طبيعة العلاقات الأردنية مع الدول العربية للفترة من عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٦٧، وتناولت، أيضاً، دور الأردن في مؤتمرات القمة العربية، وكذلك سلطات الحكم الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها إبراز دور العائلة المالكة في نشأة المملكة وتطورها، وإظهار عناصر التطور الذي مس الدستور الأردني والتعديلات التي طرأت عليه منذ عام ١٩٤٦ حتى صدور الدستور الجديد للمملكة عام ١٩٥٢ وانعكست التطور الدستوري على الحياة النيابية والسلطة القضائية في المملكة.

٢. **دراسة بلال العواد (٢٠١٠):** الضمانات الدستورية لحقوق الإنسان، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط: تعرضت هذه الدراسة لحقوق الإنسان التي نص عليها الدستور الأردني، وبحثت في الوسائل اللازمة لضمان احترام الحقوق والحريات من أي خطر يتهددها. وتناولت الرقابة القضائية على كل من السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها ضرورة إنشاء محكمة دستورية تختص بالرقابة على دستورية القوانين، والعمل على تنظيم بعض الحقوق الأساسية دستورياً كالحق في الحياة.

٣. **دراسة أحلام الشامي (٢٠١٠):** تفعيل قواعد القانون الدولي الإنساني في النظام القانون الأردني، رسالة ماجستير، جامعة جدارا : تعرضت الدراسة إلى أساليب تفعيل الاتفاقيات الدولية في الأنظمة القانونية الداخلية من الناحية النظرية، وتناولت واقع مواءمة الاتفاقيات مع التشريعات الأردنية من حيث استحداث تشريعات جديدة وإلغاء تشريعات متعارضة وتعديل لبعض التشريعات كي تتواءم مع الاتفاقيات. وهدفت الدراسة إلى بيان مواءمة قواعد القانون الدولي الإنساني في النظام القانون الوطني. وقد خلصت الدراسة إلى إن هناك جهود حثيثة يبذلها الأردن لمواءمة التشريعات الوطنية مع قواعد القانون الدولي الإنساني غير أن هناك بعض القوانين تحتاج إلى تعديل أو حتى الغاء. وأوصت الدراسة بضرورة تعديل أو إلغاء القوانين الأردنية المخالفة لقواعد القانون الدولي، وبضرورة استحداث بعض التشريعات لتتم عملية المواءمة بين قواعد القانون الدولي والتشريع الداخلي الأردني على أكمل وجه.

٤. **دراسة طارق النسور (٢٠١٤):** أثر الحماية الدولية لحقوق الإنسان على سيادة الدولة، رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية: تعرضت الدراسة لبيان مفاهيم الحق والحرية وحقوق الإنسان، وتناولت المبادئ العامة الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبحثت الدراسة في التطور التاريخي لفكرة السيادة ومفهومها وخصائصها والمبادئ القانونية للحماية الدولية لسيادة الدولة. وتعرضت الدراسة إلى العلاقة القانونية بين الحماية الدولية لحقوق الإنسان والحماية الدولية لسيادة الدولة، وناقشت الدراسة أثر الحماية الدولية لحقوق الإنسان على سيادة الدولة في ضوء إبعادها القانونية والموضوعية، وبحثت في الطبيعة القانونية للعلاقة بين الدولة ومواطنيها، والتطور في الاختصاص الدولي لحماية حقوق الإنسان.

خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات منها تأكيد دور الأمم المتحدة في تعميق وتأصيل الاحترام الدولي لحقوق الإنسان، وضرورة قيام الأمم المتحدة بالعمل على توجيه جميع الدول من أجل التصديق على جميع الاتفاقيات الدولية الناظمة لقوق الإنسان والتأكيد على عدم المساس بالسيادة الداخلية للدول إلا بناء على اسنادات قانونية صادرة من قرار الأمم المتحدة. وبعد عرض الدراسات السابقة تبين لنا أنه لايوجد دراسة علمية سابقة تعرضت لموضوع الدراسة الشامل والذي يعنى بتتبع مسار التاريخ الدولي للحماية الدستورية لحقوق الانسان والقانون الدولي واثره على التاريخ السياسي الاردني.

ومن أجل الإحاطة بالموضوع من جميع زواياه المطروحة اتبعنا أسلوب الاعتماد على أكثر من منهج، اذ استخدمنا المنهج التاريخي، لكون التاريخ يشكل احد أركان هذه الدراسة ولان الزمن هو المتغير الرئيسي الواضح في هذه الجزئية حين تناولنا المراحل التاريخية المختلفة لحقوق الإنسان والقانون الدولي والتطورات التي شهدها الأردن عبر تاريخه السياسي فيما يتعلق بتوفير الحماية اللازمة لحقوق الإنسان.

ومن اجل عرض وبيان النصوص والقواعد القانونية التي تناولت الحديث عن حقوق الإنسان سواء على الصعيد الدولي مثل المعاهدات والاتفاقيات الدولية أو على الصعيد المحلي كالدستور الأردني. ووصف وتحليل المبادئ والنصوص القانونية الواردة فيها، ولبيان الآثار السياسية والقانونية المتعلقة بموضوع الدراسة، فقد وجدنا من المناسب استخدام المنهجين القانوني والوصف التحليلي، ومن أجل تحقيق عمق المعالجة، والوصول إلى الحقيقة المجردة في بيان مدى استجابة النظام السياسي الأردني للمتغيرات والمتطلبات الدولية والمحلية تجاه حقوق الإنسان والانعكاسات المترتبة على ذلك باتخاذ القرارات والسياسات التي تعكس هذه الاستجابة، تم استخدام منهج تحليل النظم حيثما اقتضى الحال.

وتم القاء الضوء على هذا الموضوع غبر فصول الاطروحة الثلاثة، فاستعرضت مفهوم حقوق الإنسان وفلسفتها التاريخية ومن ثم حقوق الإنسان في العصور المختلفة وصولا إلى التاريخ الدولي لحقوق الإنسان في القانون الدولي في فصلها الاول.

أما الفصل الثاني فقد تمحور حول حماية حقوق الإنسان عبر التاريخ الدستوري للدولة الأردنية، فتناولت الاطروحة تعريف الدستور والحماية القانونية ومن ثم ناقشت النصوص الموفرة لحقوق الإنسان عبر التاريخ الدستوري الأردني، وصولا إلى بيان قيمة المعاهدات المتعلقة بحقوق الإنسان على مستوى التشريعات الوطنية وفقا للدستور.

وفي الفصل الثالث تم بحث تأثير الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان والقانون الدولي على مدى التاريخ السياسي في الأردن، اذ بذل النظام السياسي الأردني، وعبر تاريخ الدولة، عناية خاصة بحقوق الإنسان، من خلال اطلاقه للعديد من المبادرات السياسية التي اكدت مدى الاهتمام بحقوق الإنسان واحترامها، والية تعزيزها وحمايتها، وتوصلت الاطروحة إلى نتائج تم تضمينها في خاتمة الأطروحة.

ملخص اطروحة الدكتوراه

الغرب الإسلامي والخلافة العباسية إلى نهاية القرن ٥هـ/ ١١م

دراسة في العلاقات السياسية والتأثيرات الفكرية

د. عبد السلام محمد أحمد الصباري

جامعة إب – الجمهورية اليمنية

Dr. abdulasalam@gmail.com

المقدمة :

يندرج الموضوع الذي اخترناه للبحث والدراسة والموسوم بـ : **((الغرب الإسلامي والخلافة العباسية إلى نهاية القرن ٥ هـ/ ١١م دراسة في العلاقات السياسية والتأثيرات الفكرية))** في إطار التأسيس والتأصيل للوحدة والتكامل بين جناحي دار الإسلام ومعرفة الروابط والصلات التاريخية بينهما نشأة وتطوراً، بالوقوف على مراحل التحول والانتقال في تأريخ الغرب الإسلامي الوسيط إلى المجال العربي الإسلامي الشرقي، وما ترتب على ذلك من التزامات دينية وأخلاقية طوعية تجاه المشرق وما نتج عنه من روابط وثيقة في مستوياتها السياسية والفكرية العقدية من أجل الإسهام في إعطاء صورة واضحة عن طبيعة التفاعل السياسي والفكري والمذهبي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، الذي كان حاصلاً بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه خلال الحقبة المدروسة، ويعمل على سد ثغرة أو يرمم حلقة من الحلقات المخرومة في تاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب بشكل عام، والغرب الإسلامي والخلافة العباسية على وجه الخصوص.

وقد تم الوقوف على الجهود التي بذلتها الخلافة العباسية في سبيل الحفاظ على وحدة الدولة (الأمة) بالإبقاء على الجناح الغربي من دار الإسلام في دائرة نفوذها.

وعلى الرغم من المدة الزمنية الحرجة التي شهدتها طبيعة العلاقات بين مركز الخلافة في المشرق وبلاد الغرب الإسلامي، فإن المتتبع للعلاقات بين جناحي دار الإسلام مغرباً ومشرقاً، يلحظ عدم انتظامها وسيرها على وتيرة واحدة؛ بل تخللتها منعطفات خطيرة كادت أن تعصف بها

تلك المنعطفات الخطيرة ارتبطت بتفاعل وطموح القوى والزعامات المحلية ونزعتها الاستقلالية من جهة، وبمركز الخلافة وولاتها في الأقاليم من جهة أخرى، علاوة على ذلك فإن البعد الجغرافي للمغرب قد شكل مرتعا خصبا لأصحاب الدعوات المذهبية والسياسية المناهضة للخلافة المركزية في المشرق.

وفي أواخر العصر الأموي ثار الخوارج من طنجة في المغرب الأقصى سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، بسبب ظلم الولاة الأمويين وتعسفهم، وسرعان ما تداعت الثورة في الغرب الإسلامي كله، وكان للدعاة الخوارج القادمين من العراق دور بارز في تحريض أهالي المنطقة على الثورة ضد الأمويين، فخرج المغرب عن النظر السياسي المشرقي الرسمي بدمشق .

وعشية إعلان الخلافة العباسية في العراق سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، كان الغرب الإسلامي غير مكترث بالأحداث التي طرأت في المشرق، وكانت تتوزعه القوى السياسية التالية :الخوارج الإباضية في إقليم طرابلس وأحوازها ، والأسرة الفهرية بإفريقية (تونس)، ووقع المغرب الأوسط والأقصى تحت نفوذ الخوارج الصفرية وبعض الزعامات القبلية المحلية، في حين كانت تتعارك بالأندلس العصبيتان اليمانية والقيسية .

وكان من الطبيعي أن تؤول كافة الأقاليم الإسلامية التي وصل إليها النفوذ الأموي إلى العباسيين، ومنها الغرب الإسلامي الذي ظل بمنأى عن النفوذ العباسي عند قيام دولتهم.

على أي حال بدأ الاهتمام العباسي بالمغرب منذ عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح، الذي ضم ولاية إفريقية إلى عمه صالح بن علي والي مصر وفلسطين، وأوكل إليه مهمة بعث أول جيش عباسي إلى المغرب، وعززه بجيش من العراق، وبلغ الجيش العباسي أرض سرت الليبية سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، ولكن وفاة الخليفة في السنة نفسها، اوقفت تلك المحاولة ورجع الجيش العباسي إلى مصر .

وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦– ١٥٨هـ/ ٧٥٤– ٧٧٥م) زاد الاهتمام العباسي بولاية المغرب، وتمكن من ضم المغرب الأدنى وإلحاقه ببغداد، وصار والي إفريقية والمغرب كله يُعين على كرسي القيروان من بغداد كما كان من دمشق سابقاً.

وتفيد بعض الروايات أن الزعيم القبلي إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي بوليلي في المغرب الأقصى قد بايع العباسيين واستمر على ذلك حتى قدوم إدريس بن عبد الله العلوي سنة

١٧٢هـ/ ٧٨٩م، فبايعه وخلع الطاعة العباسية، ثم رجع إلى طاعة العباسيين مرة أخرى في عهد إدريس الثاني، فدفع حياته ثمنا لذلك التحول .

أما الأندلس فتذكر معظم الروايات أن عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٩م) دعا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حتى استوثق له الأمر فقطع الدعاء له .

وبعد قيام الإمارة الأموية في الأندلس تتابع قيام الإمارات المستقلة عن العباسيين بالغرب الإسلامي، فقامت الإمارة الخارجية الصفرية المدرارية بسجلماسة جنوب المغرب الأقصى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٨م، والإمارة الإباضية في تاهرت بالمغرب الأوسط سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م، وتلاهما قيام الدولة العلوية الإدريسية بوليلي وفاس في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩م.

في حين بقي المغرب الأدنى يتداوله الولاة العباسيون من بغداد حتى أسند الخليفة هارون الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب ولاية إفريقية سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، وبعث إليه بعهده، فصارت ولاية إفريقية وراثية في عقبه مع ولاء للعباسيين، وبقيت على ذلك إلى أن تم القضاء عليها من طرف الفاطميين سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م، وقد تحدثت الدراسة عن العلاقات السياسية الودية والعدائية بين تلك الإمارات والخلافة العباسية.

وبقيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م، وتسمي عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين (بأمير المؤمنين) وقعت القطيعة السياسية التامة بين المغرب وبغداد، وصار التجاذب السياسي القطبي حول الشرعية والأحقية في الحكم في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بين العباسيين في بغداد والفاطميين في المغرب، وتلى ذلك إعلان عبد الرحمن الناصر الأموي الخلافة في قرطبة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، وتسمى كذلك (بأمير المؤمنين).

وبالتالي توزع دار الإسلام خلال القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بين ثلاث خلافات واستمرت القطيعة السياسية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية حتى الثلاثينيات من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، مع المعز بن باديس بإفريقية، ثم مع المرابطين في المغرب والأندلس، وتمت إعادة ربط الغرب الإسلامي بالعباسيين روحيا وسياسيا من جديد .

وقد كان للعلماء والدعاة السنة دور بارز في خلق التحول الروحي المذهبي والسياسي بالغرب الإسلامي، نحو الخلافة العباسية وإحياء الوحدة الإسلامية على أساس المرجعية السنية، وتضييق الخناق على الشيعة العبيدية في مصر، وقد طرق البحث هذا الجانب وبين فيه الروابط

والصلات بين أتباع المذهب السني في العراق والغرب الإسلامي، وبالذات علماء المذهب السني المالكي من فقهاء ودعاة .

مع ذلك توج الجهد السني بالظهور السلجوقي في المشرق والقضاء على البويهيين ودخول بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٦م، وهو ما أعطى زخماً جديداً للخلافة العباسية والمد السني، وتزامن انتصار التوجه السني بالغرب الإسلامي، وتحول الزيريين بإفريقية أيام المعز بن باديس إلى الولاء لبغداد والدعاء للخليفة العباسي، وقيام الدولة المرابطية على قاعدة المذهب السني المالكي، وكان ولاؤها للخلافة العباسية منذ قيامها وبالتالي الترسيم للمذهب السني المالكي بوصفه مذهباً رسمياً وحيداً في الغرب الإسلامي كله وإلى اليوم .

وعلاوة على التجليات السياسية للعمل الدعوي المذهبي السني تتبعت الدراسة بالرصد والتقصي أعداد العلماء الراحلين من الغرب الإسلامي إلى العراق والعكس، خلال الحقبة المدروسة، وأسفرت اللائحة الأولى عن ٢٧١ راحلاً، في حين كان قوام اللائحة الثانية ١٣٥ وافداً، وحاول البحث حصر أسماء الكتب وتقييدها والروايات والأسانيد التي انتقلت من العراق إلى الغرب الإسلامي، خلال تلك المدة، وما أنتج فيها من تأليف وشروح.

وقد كشفت الدراسة عن بداية التأثيرات الفكرية والمذهبية العراقية في بلاد الغرب الإسلامي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، واستمرارها طوال مدة الدراسة .

وأثبت البحث أن الرحلة العلمية بين الغرب الإسلامي والعراق كانت أهم عوامل التواصل العلمي والفكري والمذهبي والتأثير المتبادل بين المنطقتين على كافة المستويات .

وبرهنت الدراسة على إصرار النخبة العلمية في الغرب الإسلامي على التواصل وتقوية الصلات مع نظيرتها المشرقية في تلك الأزمنة الغابرة على الرغم من بعد الشقة وطول المسافات، وانعدام وسائل التكنولوجيا والاتصال والمواصلات الحديثة، في وقت كانت القطيعة السياسية وتعدد الكيانات الحاكمة والخلافات المذهبية جاثمة على مجموع دار الإسلام الكبرى.

ويعد ذلك إسهاماً ولبنة في معرفة تاريخ الإسلام العلمي والثقافي في العصر الوسيط، من خلال إبراز جهود وإنتاج أولئك العلماء والفقهاء والدعاة والأدباء وغيرهم ممن أسهموا في إثراء الحياة العلمية والثقافية والفكرية بما حملوه من علوم ومعارف وأفكار ومذاهب وروايات وأسانيد وكتب ومؤلفات، رسخت الروابط والعلاقات بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، بعيدا عن الأطر الرسمية وتوجهها .

الاختيار ودوافعه :

يرى بعض الباحثين أن الدولة العباسية مشرقية النشأة والهوى، فركزت عنايتها واهتمامها بالمشرق دون المغرب، وتظهر هذه الآراء قدرا كبيرا من الصواب بحكم نشأة الدولة العباسية وعوامل قيامها، لكن التحليل المتأني والمعمق للمادة المصدرية، والوقوف على الجهود التي بذلتها الخلافة العباسية في سبيل مد نفوذها إلى المغرب والحفاظ على وحدة الدولة (الأمة) تقود البحث إلى مسار آخر، ويمكن من خلالها إعادة النظر في هذه الآراء والمبالغة التي اتسمت بها .

والواقع أن الخلافة العباسية انشغلت في مستهل نشأتها بتثبيت أركان حكمها في المشرق، بالقضاء على أطماع القادة من الفرس والخراسانيين ومن أبناء عمومتهم العلويين، فمثلت تلك الانشغالات والمشاكل علاوة على البعد الجغرافي للمغرب عوائق حقيقية للخلافة العباسية .

والمتأمل في الصيرورة التاريخية للأحداث وتلاحقها وتطورها في عنصري الزمان والمكان مدار البحث، يقف على الأهمية التي تكمن وراء تناولهما بالبحث والدراسة بحكم الفضاء الجغرافي (الجيوستراتيجي) للمنطقتين ووزنهما الحضاري على المستوى العالمي عبر التاريخ الإسلامي المديد وإلى الزمن الراهن .

إن البحث في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط وعلاقته بالمشرق يحتاج إلى فتح آفاق جديدة تسهم في إزالة الغموض الذي يكتنف الجوانب السياسية والفكرية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية.

في هذا السياق، تندرج هذه المحاولة التي اخترناها موضوعا للبحث، وإيمانا منا بأهمية الموضوع وجدته وآليت على نفسي الاشتغال عليه وأحسب أنه من المواضيع التي لم تنل ما تستحقه من البحث والدراسة والاهتمام .

الدراسات السابقة:

ثمة ندوات ومقالات ودراسات لامست أو تقاطعت مع هذا الموضوع وأفادته في بعض جوانبه، وتطرقت إلى العلاقات بين المشرق والمغرب الإسلاميين بشكل عام، قد تحدثنا عنها وأشرنا إليها في أجزاء البحث.

لكن لم نعثر، بحسب اطلاعنا، على دراسة علمية أكاديمية، أو بحث معمق خصص لدراسة هذا الموضوع الذي نحن بصدده وعالج تلك الحقبة بما يفضي إلى تكوين تصور

شمولي للعلاقات السياسية والروابط والتأثيرات الفكرية والثقافية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية ونظرة هاته الأخيرة إلى الجناح الغربي من دار الإسلام، بعيداً عن الرؤى التجزيئية وتقطيع المواضيع وإتلاف الروابط بين أحداث التاريخ الإسلامي وجغرافيته.

أهداف البحث والإشكالات المطروحة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقات والروابط التي كانت قائمة بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية نشأة وتطورا في مستوياتها السياسية والفكرية العقدية، وكذلك رصد وتتبع أسماء العلماء الذين رحلوا من الغرب الإسلامي إلى العراق والعكس، بما يسهم في إعطاء صورة واضحة عن طبيعة التفاعل السياسي والفكري والمذهبي والاجتماعي والاقتصادي الذي كان حاصلا بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه خلال الحقبة المدروسة، واستمرارية التواصل بينهما رغم فترات القطيعة السياسية .

يأتي ذلك في إطار التأسيس والتأصيل للوحدة والتكامل بين جناحي دار الإسلام وتأريخية الروابط والصلات بينهما والبناء عليها من خلال معرفة الخيوط الرابطة الناظمة لصيرورة التاريخ الإسلامي وحركيته وتطوره، وتفسير وتفكيك بعض إشكالياته وقضاياه بشكل عام.

منهج البحث :

منطلق هذا البحث مقاربة تاريخية بالاعتماد على حشد هائل من المصادر المتنوعة، وأتباع منهجية استحضار النص التاريخي وتكثيف الاستشهاد به بمنطق وأدوات المؤرخ واحتياطاته المنهجية وطرقه في القراءة والتحليل والتحري في التعامل مع النصوص والروايات التاريخية قدر المستطاع وعدم الانسياق الكلي وراءها ومقاربتها ومقارنتها ونقدها وإبداء الرأي بشأنها حيثما أمكن .

كما وقع الاعتماد على المنهج الإحصائي التحليلي في تتبع ورصد وجرد أعداد العلماء الراحلين بين المنطقتين لمعرفة التأثيرات الفكرية والثقافية والمذهبية بينهما .

مصادر البحث:

المصادر الأساسية :تنوعت المصادر التي غذت هذا البحث تبعا لتنوع موضوعاته وقضاياه، فعلى المستوى النمطي للمصادر : تأتي كتب التاريخ العام، وكتب الطبقات والتراجم

والسير والفهارس والبرامج والمناقب، وكتب المسالك والممالك وفتوح البلدان، وكتب الفرق والملل والنحل وكتب الأنساب وغيرها .

ويمكن التمييز بين مجموعتين أساسيتين هما : المصادر المشرقية والمصادر المغربية والأندلسية، وتعد المجموعة الثانية ذات أهمية قصوى في بناء أغلب أقسام الدراسة بالأخص القسم المتعلق بالعلاقات العلمية والتأثيرات الفكرية ، وتكتسب المجموعة الأولى أهمية كبيرة في تغطية جوانب الموضوع وإسهامها التكميلي للمعطيات .

على كل حال توافر من مجمل هذه المصادر مادة تاريخية جيدة مكنت من بناء الموضوع وترتيبه وتنسيقه وهيكلته بالشكل الذي بين أيدينا، ويمكن الحديث عن هذه المصادر بتركيز واقتضاب على النحو الآتي :

أ – **المصادر الزيدية اليمنية:** تكتسي هذه المصادر أهمية بالغة في إثراء فصول الدراسة وإنارتها لاسيما الفصل المتعلق بالأدارسة والعباسيين، ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب "**أخبار فخ**" لمؤلفه أحمد بن سهل الرازي كان حياً سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).

ومن المزايا التي اختص بها أخبار فخ احتفاظه بالرسالة التي بعث بها الإمام إدريس إلى القبائل المغربية يبين فيها أحقيته وآل بيته بالإمامة، والخلافة وهي من الوثائق الرسمية النادرة في الشأن الإدريسي .

ويبدو أن المصادر الزيدية اللاحقة تناقلتها عنه فقد جاءت في كتاب " **الشافي**" للإمام عبد بن حمز (ت، ٦١٤هـ/ ١٢١٨م) بسنده إلى الرازي، وأوردها حميد المحلي (ت، ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) في مصنفه "**الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية**"، وفي كتاب سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم الموسوم "**الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة** " لمطهر الجرموزي.

ب المصادر الشيعية: قدمت معلومات مهمة عن بدء الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب وتحولها إلى تنظيم عقائدي وعسكري تمكن من الإطاحة بكل الدويلات القائمة في بلاد المغرب يأتي في مقدمتها رسالة " **افتتاح الدعوة**"، للقاضي النعمان (ت، ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) وله أيضا كتاب" **المجالس والمسايرات**"، وثمة مصدر شيعي متأخر هو كتاب "**عيون الأخبار**"، للداعي اليماني إدريس عماد الدين (ت، ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م) ويعد موسوعة مهمة في معرفة التاريخ الفاطمي .

ج – المصادر الإباضية: تتمحور موضوعات هذه المؤلفات حول المذهب الإباضي وتاريخه ورجاله في المغرب وعلاقتهم بالمشرق وتفيد في معرفة دخول التأثيرات الفكرية والمذهبية العراقية المبكرة إلى بلاد الغرب الإسلامي والصراع الفكري والمذهبي الذي كان سائدا في المغرب، وقدمت معلومات مهمة عن استقرار أعداد كبيرة من العراقيين في المغرب .

ومن هذه المؤلفات "**أخبار الأئمة الرستميين**"، لابن الصغير (ت ، أواخر ق٣ هـ/ ٩ م) وكتاب "**سير الأئمة وأخبارهم**"، لأبي زكرياء الورجلاني (ت، ٤٧١هـ/ ١٠٧٩م) ويمثل كتاب "**السير** " لأبي العباس الشماخي (ت، ٩٢٨هـ/ ١٥٢٧م) تاريخاً شبه متكامل لإباضية المغرب .

د– كتب التاريخ العام : قدمت كتب الحوليات التاريخية معلومات مهمة فيما يتعلق بعمليات الفتح لبلاد الغرب الإسلامي، وأعداد الجيوش واستقرار الفاتحين بها وتعاقب الولاة عليها .

ويأتي في هذا السياق كتاب" **التاريخ**"، لخليفة بن خياط (ت، ٢٠هـ/ ٨٥٥م)، وكتاب "**فتوح إفريقية والمغرب**"، لابن عبد الحكم المصري (ت، ٢٥٧هـ/ ٨٧٧م)، وكتاب " **فتوح البلدان**"، للبلاذري (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

ولم يُعن الطبري (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، كثيراً بأخبار المغرب إلا أنه يعد أول مؤرخ شرقي أورد رواية متماسكة في مؤلفه الشهير " **تاريخ الأمم والملوك**" تتحدث بصورة صريحة عن الأسباب العميقة لثورات الخوارج في بلاد المغرب سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، وبيَّن دور دعاة الخوارج العراقيين في ذلك.

وقد تناقلت المصادر – فيما يبدو عنه هذه الرواية فأوردها ابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في مصنفه " **الكامل في التاريخ**"، وابن عذارى المراكشي كان حياً سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٣م)، في كتابه " **البيان المغرب**"، وابن خلدون (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) في كتابه " **التاريخ**".

أما المؤلفات الأندلسية فمنها " **أخبار مجموعة**" ، لمؤلف مجهول من أهل القرن ٤هـ/ ١٠م، وكتاب" **تاريخ افتتاح الأندلس**"، لابن القوطية (ت، ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، وكتاب " **المقتبس**"، لأبي مروان ابن حيان القرطبي (ت، ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م).

ويمكن أن نضيف من المؤلفات المغربية القطعة المنشورة من كتاب " **تاريخ إفريقية والمغرب**"، للرقيق القيرواني (ت، ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م)، وكتاب " **المعجب**"، لعبد الواحد المراكشي (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وكتاب " **أعمال الأعلام**"، لابن الخطيب (ت، ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م)،

وكتاب " **بغية الرواد**"، ليحيى بن خلدون (ت، ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، وكتاب "**الأنيس المطرب**"، لابن أبي زرع الفاسي (ت، ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، وكتاب "**جذوة الاقتباس**"، لابن القاضي المكناسي (ت، ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، وكتاب "**جنى زهرة الأس**"، للجزنائي (ت، أواخر ق ٨هـ/ ١٤م)، وكتاب "**المؤنس**"، لابن أبي دينار القيرواني (ت، ١٠٩٢هـ/ ١٩٨١م).

ومن المصنفات المشرقية: كتاب "**الاخبار الطوال**"، لأبي حنيفة الدينوري (ت، ٢٨١هـ/ ٨٩٤م)، وكتاب " **التاريخ**"، لليعقوبي (ت، بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، وكتاب "**أخبار العباس وولده**" لمؤلف مجهول (من أهل القرن ٣هـ/ ٩م)، وكتاب " **الوزراء والكتاب**"، للجهشياري (ت، ٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، وكتابي "**مروج الذهب**"، و"**التنبيه والإشراف**" للمسعودي (ت، ٣٤٥هـ/ ٩٥٧م)، وكتاب "**تاريخ العباسيين**" لابن وردان، وكتابي " **مقاتل الطالبيين**"، و"**الأغاني**"، لأبي الفرج الأصبهاني (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، وكتاب " **المنتظم** "لابن الجوزي (ت، ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وكتاب " **نهاية الأرب**"، للنويري (ت، ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، وكتاب "**صبح الأعشى**"، للقلشندي (ت، ٨٢١هـ/ ١٤١٤م).

هـ - كتب الجغرافية والبلدان: قدمت هذه المصنفات بيانات قيمة عن موارد الدولة الإسلامية وخطوط المواصلات ومحطاتها الرئيسة والمدن ،المهمة والعادات والمذاهب، ومن خلال هذه القائمة استطعنا بلورة صورة واضحة المعالم وحدود الغرب الإسلامي في العصر الوسيط .

ومن هذه الكتب: كتاب "**الأعلاق النفيسة**"، لابن رستة (ت، ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، **ومختصر "كتاب البلدان"** لابن الفقيه الهمداني (ت، ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، وكتاب " **البلدان**"، لليعقوبي، وكتاب "**المسالك والممالك**"، لابن خرداذبة (ت، ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، وكتاب "**مسالك الممالك**"، للاصطخري (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٨م)، وكتاب "**صورة الأرض**"، لابن حوقل البغدادي (ت، ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، وكتاب " **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" للمقدسي البشاري (ت، ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م).

ومن الإنتاج الجغرافي في الغرب الإسلامي كتاب "**المسالك والممالك**"، لأبي عبيد الله البكري (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، ومصنفات " **نزهة المشتاق**"، و"**أنس المهج وروض الفرج**"، للشريف الإدريسي السبتي (ت، ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م).

ز- **كتب التراجم والطبقات والفهارس:** زودت البحث بمعلومات غنية ومفيدة، تمكن من خلالها استخلاص قوائم إحصائية بأعداد العلماء الراحلين من الغرب الإسلامي إلى العراق ،والعكس، معززة بمعطيات قيمة عن تواريخ الرحلة والميلاد والوفاة والمحطات التي مر أو توقف فيها الراحل في الحواضر العلمية الإسلامية والعلماء والشيوخ الذين التقى بهم، والكتب والأسانيد والتأثيرات المذهبية والفكرية والثقافية التي حملوها إلى أوطانهم .

ومن المؤلفات المغربية في هذا الشأن كتاب " **طبقات علماء إفريقية وتونس**"، لأبي العرب التميمي (ت، ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م)، وكتاب "**طبقات علماء إفريقية وقضاة قرطبة**"، لمحمد بن حارث الخشني (ت، ٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، وكتاب "**رياض النفوس**"، لأبي بكر المالكي (ت، ٤٩٤هـ/ ١١٠١م)، والموسوعة المالكية "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**"، للقاضي عياض اليحصبي (ت، ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م)، وكتاب "**معالم الإيمان**"، لابن الدباغ (ت، ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م).

ومن المؤلفات الأندلسية كتاب "**تاريخ العلماء**" لابن الفرضي (ت، ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، وكتاب" **الصلة**"، لابن بشكوال (ت، ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م)، وكتاب "**التكملة لكتاب الصلة**" لابن الأبار (ت، ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، ليذيل عليهما ابن عبد الملك المراكشي (ت، ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م) في مصنفه الحافل "**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**"، وابن الزبير (ت، ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) في كتابه " **صلة الصلة**".

ويندرج في هذا السياق كتاب "**طبقات اللغويين والنحويين**" لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ت، ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، وكتاب " **طبقات الأطباء والحكماء**" لابن جلجل (ت، ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، وكتاب "**طبقات الأمم**"، لصاعد الأندلسي (ت، ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م)، وكتاب "**جذوة المقتبس**" للحميدي (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م)، وكتاب "**بغية الملتمس**" للضبي (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، وكتاب "**الذخيرة**" لابن بسام (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وكتاب "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**"، لابن أبي أصيبعة (ت، ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)، وكتاب "**المغرب في حلي المغرب**"، لابن سعيد المغربي (ت، ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م)، وكتاب "**نفح الطيب**" للمقري التلمساني (ت، ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

ومن كتب الطبقات والتراجم المشرقية: كتاب "**تاريخ مدينة السلام**" للخطيب البغدادي (ت، ٤٦٣هـ/ ٩٧١م)، وكتاب "**تاريخ دمشق**" لابن عساكر (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، وكتاب "**سير أعلام النبلاء**"، للذهبي (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وكتاب " **إنباه الرواة**"، للقفطي (ت، ٦٤٦هـ/

١٢٤٨م)، وكتاب "**الوافي بالوفيات**"، للصفدي (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، وكتاب "**النجوم الزاهرة**"، لابن تغري بردي (ت، ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، وكتاب "**وفيات الأعيان**" لابن خلكان (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وكتاب "**بغية الوعاة**" للسيوطي.

أما كتب الفهارس والمشيخات فيأتي في مقدمتها: **فهرس** ابن عطية (ت، ٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، و**فهرسة** ابن خير الإشبيلي (ت، ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، وكتاب "**الغنية**" للقاضي عياض، وكتاب "**المعجم**" لابن الأبار .

ح – **كتب الفرق والملل والنحل:** تفيد هذه الكتب في معرفة انتقال المذاهب والفرق الإسلامية والتأثيرات الفكرية بين المشرق والمغرب، ومن أهم هذه المصنفات: كتاب "**مقالات الإسلاميين**"، لأبي الحسن الأشعري (ت، ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م)، وكتاب "**التبصير في الدين**"، لأبي المظفر الإسفراييني (ت، ٤٧١هـ/ ١٠٧٩م)، وكتاب "**الفرق بين الفرق**" لعبد القاهر البغدادي (ت، ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م)، وكتاب "**مقالات الإسلاميين**" لأبي القاسم البلخي (ت، ٣١٩هـ/ ٩١٣م)، وكتاب "**طبقات المعتزلة**" للقاضي عبد الجبار (ت، ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م ، وكتاب "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**" لابن حزم (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، على النحو الآتي :

المقدمة: تناولت أهمية الموضوع ودواعي اختياره وحظه من الدراسة، وأهداف البحث وإشكالياته وصعوباته والمنهج المتبع في الدراسة والمصادر الأساسية والثانوية للبحث وتقييمها ونقدها ومدى أفادتها لمحاور البحث .

الباب الأول : خصص للعلاقات السياسية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية إلى قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب، وتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول : العلاقة بين الغرب الإسلامي والمشرق قبل الخلافة العباسية .

الفصل الثاني : العلاقات السياسية الودية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية .

الفصل الثالث : العلاقات السياسية العدائية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية .

الفصل الرابع : الظهور العلوي الإدريسي بالمغرب الأقصى والمخاوف الحقيقية عند العباسيين .

الباب الثاني : تناول العلاقات السياسية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية منذ قيام الخلافة الفاطمية إلى نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، واشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القطيعة السياسية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية مع إعلان الدولة الفاطمية واستمرارية التأثيرات الفكرية والمذهبية العراقية .

الفصل الثاني : التحول السني في الغرب الإسلامي وإعلان الولاء لبغداد ودور التأثيرات الفكرية والمذهبية العراقية في ذلك .

الفصل الثالث : المرابطون والولاء للخلافة العباسية والتأثيرات الفكرية العراقية .

الباب الثالث : درس التأثيرات الفكرية والثقافية العراقية في الغرب الإسلامي من خلال الرحلة العلمية المتبادلة بينهما، واشتمل بدروه على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الرحلة العلمية من الغرب الإسلامي إلى العراق خلال المدة من القرن (٢-٥ هـ/ ٨- ١١م).

الفصل الثاني : الرحلة العلمية المعاكسة من العراق إلى الغرب الإسلامي خلال الفترة من القرن (٢ – ٥ هـ/ ٨ – ١١م)، وذيلت الفصلين بجداول إحصائية في الملاحق .

الفصل الثالث : الكتب العراقية المنقولة إلى الغرب الإسلامي خلال الفترة من القرن (٢ – ٥ هـ/ ٨ – ١١م).

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والاستخلاصات على النحو الآتي :

النتائج :

أولاً : فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية

١ – أوضحت الدراسة اعتناء الخلافة العباسية بالمغرب منذ الوهلة الأولى من قيامها، وصارت إفريقية تابعة لبغداد وخاضعة لتعاقب الولاة منها .

٢ – كشفت الدراسة عن العلاقات الودية والعدائية بين الغرب الإسلامي والخلافة العباسية، وعن محاولة العباسيين مد نفوذهم إلى ما وراء إفريقية لكن محاولاتهم اصطدمت بمقاومة الخوارج والقبائل المحلية.

٣ – بينت الدراسة جهود الخلفاء العباسيين ومحاولة مد نفودهم إلى الأندلس والقضاء على الإمارة الأموية بها، لكن محاولاتهم باءت بالفشل .

٤ – أبان البحث عن التبدل في السياسية العباسية نحو المغرب مع الظهور العلوي الإدريسي الطامح إلى التقدم نحو الشرق فتنازلت الخلافة عن إفريقية (تونس) لصالح الأغالبة، لصد الخطر العلوي المداهم من الغرب .

٥ – اتضح من خلال البحث أن إدريس بن عبد الله كان له رحلتان إلى المغرب، الأولى بتكليف له من أخيه محمد النفس الزكية، والثانية بعد وقعة فخ .

٦ – من النتائج التي خلص إليها البحث أن وفاة إدريس كانت في أواخر سنة ١٧٩هـ/ ٨٩٦م، أو أوائل سنة ١٨٠هـ/ ٨٩٧م، وأن إدريس الأصغر ولد في حياة أبيه.

٧ – أظهرت الدراسة استمرار ولاء إفريقية الأغلبية للخلافة العباسية في بغداد حتى سقوطها على يد الفاطميين .

ثانيا : فيما يتعلق بالتأثيرات الفكرية والمذهبية

١– كشفت الدراسة عن البدايات المؤسسة للتأثيرات الفكرية والمذهبية العراقية على بلاد الغرب الإسلامي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، مع قدوم دعاة الخوارج الإباضية والصفرية ودعاة المعتزلة من مدينة البصرة العراقية إلى المغرب، ورحلة عدد من طلبة العلم المغاربة إليها.

٢– أظهرت الدراسة أن الإمارة الأغلبية بإفريقية كانت تتبنى المذهب الفقهي الحنفي الرسمي للخلافة العباسية.

٣– بينت الدراسة أن العراق منذ أواسط القرن ٥هـ/ ١١م، تربع على عرش المذهب المالكي، وتصدر علماؤه زعامة المذهب مشيخة وإنتاجا علميا في الفقه والأصول والكلام، وفي الاحتجاج للمذهب والذب عنه، وكانت هذه المدة الزمنية زاخرة بالعلاقات بين بغداد والقيروان وما والاها غرباً.

٤– أثبت البحث الدور الحاسم للمذهب السني المالكي في الحيلولة دون انتشار المذهب الشيعي الفاطمي في الغرب الإسلامي، واستمد قوة جديدة من صلته الوطيدة بالمدرسة المالكية البغدادية التي تشربت بالأشعرية مع ابن مجاهد الطائي والباقلاني، وفي إفريقية مع أبي إسحاق القلانسي وابن زيد القيرواني وتجسد مع العلماء المبعوثين إلى إفريقية من طرف القاضي الباقلاني.

٥- كشفت الدراسة عن قوة التأثيرات العراقية والفكرية والثقافية والمذهبية في بلاد الغرب الإسلامي من خلال اللوائح التحليلية والجداول الإحصائية، فأسفرت اللائحة الاولى عن حصر ٢٧١ راحلاً من الغرب الإسلامي إلى العراق خلال مدة الدراسة، في حين أسفرت اللائحة الثانية للوافدين من العراق إلى الغرب الإسلامي خلال الفترة ذاتها عن إحصاء ١٣٥ وافداً، وحاولت الدراسة حصر وتقييد أسماء الكتب والأسانيد التي انتقلت من العراق إلى بلاد الغرب الإسلامي خلال مدة الدراسة.

٦- برهنت الدراسة على إصرار النخبة العلمية في الغرب الإسلامي على التواصل وتقوية الصلات مع نظيرتها في المشرق في تلك الأزمنة الغابرة، على الرغم من بعد الشقة وطول المسافات في وقت كانت القطيعة السياسية وتعدد الكيانات الحاكمة والخلافات المذهبية تجثم على مجموع دار الإسلام.

مما يدعو إلى ضرورة استثمار ذلك الرصيد التاريخي والمخزون الفكري والثقافي والبناء عليه، للعمل على تعزيز وتعميق التواصل والروابط بين العالم العربي الإسلامي مشرقاً ومغرباً، بعدِّه أحد القنوات الفاعلة للسير نحو التعاون والتكامل المنشود، وإحدى وسائل المواجهة للتحديات التي تحيط بالأمة العربية والإسلامية من كل حدب وصوب.

ما سبق أهم مجريات البحث ونتائجه التي استخلصناها واستطعنا بلورتها بهذه الصورة.

والحمد لله في الاولى والآخرة.

القسم الثالث

نظام ونشاطات هيئة المؤرخين والآثاريين العرب

النظام الأساسي لهيئة المؤرخين والآثاريين العرب

يتكون النظام الأساسي للهيئة المؤرخين والآثاريين العرب من ستة فصول وخمسة وثلاثين مادة تحدد طبيعة عمل ومهام الهيئة ونشاطاتها وهيكليتها الإدارية، وفيما يلي عرضا لهذه المواد:

الفصل الأول – التعاريف

المادة (١):

يقصد بالكلمات التالية الواردة في هذا النظام المعاني المبينة إزاءها:

الهيئة : هيئة المؤرخين والآثاريين العرب

المؤتمر: المؤتمر العام للهيئة.

المجلس الاداري: مجلس الهيئة.

الرئيس: رئيس الهيئة.

نائب الرئيس: نائب رئيس الهيئة.

المقرر العام: المقرر العام للهيئة.

العضو: عضو الهيئة.

الفصل الثاني – تعريف الهيئة

المادة (٢):

الهيئة منظمة علمية وثقافية وفكرية مستقلة غير حكومية وغير حزبية وغير سياسية ، تضم المؤرخين والآثاريين العرب ، من اجل دراسة التاريخ العربي الاسلامي وتراثه وآثاره بمنهج علمي يتوافق مع الوقائع والحقائق الموثقة ، ومن خلال البحوث والندوات . وتسعى الهيئة إلى استقطاب المؤرخين والآثاريين العرب من الدول العربية والعالم .

المادة (٣):

تتخذ الهيئة مقراً لها في

المادة (٤): رؤية الهيئة

تقوم استراتيجية الهيئة على بناء أسس لمدرسة عربية حديثة في كتابة التاريخ وتدوينه، تستلهم قيم الحضارات العربية وتستحضر محطاتها المشرقة عبر التاريخ، وتواكب اساليب البحث العلمي المعاصر ، بعيداً عن التوجهات المذهبية والطائفية والعنصرية، مع مراعاة الخصوصية الوطنية لتاريخ البلدان العربية .

المادة (٥): أهداف الهيئة

– استقراء التاريخ العربي الاسلامي وقراءة النص التاريخي قراءة علمية جديدة تقود الى مفاهيم تنسجم مع تطور البحث التاريخي المعاصر دون الانقطاع عن المبادئ العربية الاسلامية التي قامت عليها حضاراتها وعطاءاتها الفكرية في العلوم المختلفة.

– الارتقاء بالدراسات التاريخية من مستوى السردية و الترجيحات التقليدية والتحليل بالرأي المجرد ، الى المستوى الحديث الذي بلغه التطور البحثي في تناول التاريخ ، و الذي يعتمد المناهج العلمية في كتابة التاريخ و إثبات أحداثه ، و التي من شأنها أن ترتقي بالدراسة التاريخية الى مصاف العلوم ذات المصداقية. علاوة على الاهتمام بفلسفة التاريخ التي كان العرب سباقون الى تأصيلها.

– ان تحرير التاريخ من السطحية واظهار الاتجاهات الانسانية الاصيلة فيه واستحضار احداثه المشرقة هي حالة صحية توفر للامة العربية القدرة على التصدي والاعتزاز بالنفس باتجاه توظيف طاقاتها نحو النهوض من جديد ، لان العودة الى التاريخ المشرق واستحضاره هي ليست حالة سلفية او غيبية وانما هي كتابة التاريخ برؤية عربية ترتبط بواقع الامة وتطوره التاريخي ، و بنظرة افقية شاملة لحركة التاريخ العربي تراعى فيها الخصوصية الوطنية التي تنضوي تحت خيمة الامة.

– ان تشتت كتابة التاريخ العربي الحديث بين جناحي الوطن العربي مغربه ومشرقه قد قاد الى اللبس في مفهوم العروبة والاسلام والربط بينهما , فقد كان لطبيعة الصدام وعملية التحدي الاجنبي والتصدي له في التاريخ الحديث الاثر الكبير في تعدد مناهج التاريخ العربي في المغرب العربي عنه في المشرق العربي .فالمواجهة بعد سقوط الاندلس كانت في المغرب العربي الكبير مع الغرب الاوربي الذي تلبس بلباس الدين المسيحي رداء لتجميع الاوربيين من اجل غزو الجناح الغربي من الوطن العربي , فكان لابد من التأكيد على الجهاد والاسلام في التصدي لذلك التحدي. اما الجناح الشرقي

فكان في المرحلة نفسها من التاريخ الحديث يواجه تحديا اجنبيا عنصريا باسم الاسلام , فكان لابد من التأكيد على العروبة لجمع الشمل والتصدي لحماية الهوية العربية الاسلامية. فالهجمة على الوطن العربي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كانت شاملة والتصدي والمقاومة كانت شاملة ايضا لكن الاسلوب والتعبير اختلفا كل حسب واقعه وظروفه , ومع ذلك لم يجد العرب في المشرق في العروبة حياة بدون الاسلام ومبادئه, ولم يفكر العرب في المغرب بالإسلام مجردا عن العروبة , وهو ليس مجرد تنظير فالأمثلة الادبية والفكرية والسياسية كثيرة في هذا المجال.

– التوجه لدراسة جدية وحضارية لتاريخ العرب الحضاري قبل الاسلام لوقف التعامل معه على إنه كان فارغاً ومخجلاً ، في حين أن اختيار العرب لحمل رسالة الإسلام لم يكن لسوئهم وإنما لقدرتهم على حمل هذه الرسالة والتبشير بها ليكونوا قادة للإنسانية ليغيروا وجهها في تلك المرحلة، أما الممارسات السلبية والسيئة في حياة العرب قبل الإسلام فهي خارجة عن طبيعة الأمة ولذلك ثارت عليها وتخلصت منها في فترة قصيرة، لأن الأمة العربية هي أمة الحضارات التي ظهرت قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي الكبير، تلك الحضارات التي شيدتها الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية والتي انصهرت في بودقة العروبة والإسلام فيما بعد لتوحدها لغة الضاد.

– تسعى الهيئة إلى تعزيز الشعور لدى المواطن العربي بأهمية الآثار التي تزخر بها البلدان العربية، التي عرفت بحضاراتها العريقة منذ أقدم الأزمنة، وتعمل الهيئة على التعاون ومساندة المؤسسات الآثارية للحفاظ على الآثار وصيانتها ومنع سرقتها والاتجار بها.

– العمل من أجل الوصول إلى مبادئ عامة تقوم عليها المدرسة العربية في البحث التاريخي ومناهج التاريخ الدراسية لتأمين الفكر السليم للأجيال القادمة وبما يؤمن حصانتهم من الاتجاهات التي تتقاطع مع مستقبل الأمة العربية ومشروعها الحضاري و نهوضها من جديد.

المادة (٦) الوسائل :

بغية تحقيق أهدافها فإن الهيئة ستتبع المشاريع والوسائل العملية التالية :

١- تنظيم محاضرات و ندوات تخصصية وحلقات نقاشية ، حول المستجدات في البحث التاريخي والآثار .

٢- تحقيق التواصل مع اقسام التاريخ والآثارفي الجامعات العربية، ومع المنظمات والجمعيات والاتحادات العربية المعنية بالدراسات التاريخية والآثارية والتفاعل معها والاستفادة من خبراتها، وتشكيل فريق دائم لتنظيم التعاون معها.

٣- بناء قاعدة معلومات عن أقسام التاريخ والآثار في الجامعات والمعاهد والمراكز العربية والأجنبية، وفي المنظمات والاتحادات والجمعيات العربية والدولية، والتواصل مع علماء التاريخ والآثار البارزين ، وفتح قنوات الحوار معهم .

٤- السعي لتسجيل الهيئة في الجامعة العربية والأمم المتحدة كإحدى المنظمات غير الحكومية، والتواصل مع المنظمات الإقليمية والدولية الرسمية وشبه الرسمية، خاصة منظمة اليونسكو ، جامعة الدول العربية، مجلس التعاون الخليجي، منظمة التعاون الإسلامي، الاتحاد الأوربي، ومنظمة آسيان وغيرها.

٥- إنشاء مكتبة في موقع الهيئة الإلكتروني لتكون مصدراً للباحثين في التاريخ والآثار في الوطن العربي والعالم .

٦- إصدار مجلة محكمة باسم " المؤرخون والآثاريون العرب " لنشر البحوث والدراسات بعد تقييمها وتحديد صلاحيتها للنشر.

الفصل الثالث – موارد الهيئة المالية

المادة (٦): الموارد المالية

تتألف موارد الهيئة المالية من:

١- اشتراكات الأعضاء التي يقررها المجلس الاداري

٢-الهبات والتبرعات التي يوافق على قبولها المجلس الاداري.

٣- التبرعات الاختيارية من اعضاء الهيئة سنوياً.

الفصل الرابع – العضوية في الهيئة

المادة (٧)

أعضاء الهيئة هم:

١-الأعضاء العاملون : المؤرخون والآثاريون من أساتذة الجامعات والمعاهد والمتاحف والمراكز البحثية والباحثون في التاريخ والآثار .

٢-اعضاء الشرف : الأشخاص الاعتباريون، والخبراء العرب والأجانب المهتمون بالتاريخ العربي والحضارة العربية الاسلامية ممن يقرر المجلس منح كل منهم صفة عضو شرف .

٣-أصدقاء الهيئة : هم الشخصيات العربية والاجنبية ذات الاختصاصات المشتركة لأهداف الهيئة والداعمين لها مادياً ومعنوياً.

المادة (٨):

شروط العضوية :

١-أن يكون عربياً أو مِن الناطقين باللغة العربية من المتخصصين او المهتمين بالتاريخ والآثار والتراث الحضاري العربي الاسلامي.

٢-الإيمان برؤية الهيئة واهدافها ، والاستعداد للعمل الطوعي في صفوفها لتحقيق أهدافها .

٣-أن يدفع بدل الاشتراك السنوي الذين يحدده المجلس.

المادة (٩):

لا يحق لحامل عضوية الشرف الترشيح للانتخابات أو التصويت فيها ولا التصويت في اجتماعات الهيئة العامة.

المادة (١١):

تنتهي العضوية في الهيئة في أي من الحالات التالية:

١. الاستقالة من تاريخ قبولها أو مضي شهر على تقديمها، أيهما أقرب.
٢. عدم دفع الاشتراك السنوي لمدة سنتين متتاليتين.
٣. أتخاذ قرار من المجلس بالفصل من عضوية الهيئة بسبب الإساءة المتعمدة إلى الهيئة أو التعرض لأحد أعضائها والنيل منه.

الفصل الخامس – الهيكل التنظيمي للهيئة

المادة (١٢):

يتألف الهيكل التنظيمي للهيئة من:

أولاً– الهيئة العامة.

ثانيا– المجلس.

ثالثاً– الرئيس.

رابعاً– نواب الرئيس.

خامساً– المقرر العام.

ثامناً – الوحدات التنفيذية والإدارية .

أولاً – الهيئة العامة

المادة (١٣):

تضم الهيئة العامة الرئيس ونوابه والمقرر العام والأعضاء العاملين وأعضاء الشرف .

المادة (١٤):

تتولى الهيئة العامة ما يلي:

١. **انتخاب الرئيس ونوابه لمدة اربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .**
٢. **المصادقة على خطة الهيئة.**
٣. **المصادقة على التقرير الإداري السنوي.**
٤. **صلاحية حل المجلس بأغلبية الثلثين، وتكليف رئيس الهيئة بتصريف الأعمال إلى حين إنتخاب المجلس الجديد بأقرب اجتماع للهيئة العامة .**
٥. **تحديد مبلغ الاشتراك السنوي، وإعادة النظر في مقاديره عند الاقتضاء.**
٦. **مناقشة التقرير المالي والميزانية المالية السنوية للهيئة والمصادقة عليهما.**
٧. **المصادقة على التعديلات التي يقترحها المجلس على النظام الاساسي .**
٨. **الموافقة على فتح الفروع بناءً على توصية المجلس.**
٩. **المصادقة على المشاريع الاستثمارية التي يقترحها المجلس لتمويل نشاطات الهيئة.**

المادة (١٥):

تعقد الهيئة العامة اجتماعاً عادياً سنوياَ، ولها أن تعقد اجتماعاً غير عادي كلما تطلبت الحاجة بطلب من مجلس الهيئة أو من ثلث أعضائها.

المادة (١٦):

يكون نصاب الهيئة العامة في الاجتماع كاملاً بحضور ما يزيد على نصف عدد أعضائها ، وعند عدم اكتمال النصاب يؤجل موعد الاجتماع ٢٤ ساعة، ويعتبر النصاب في اليوم التالي مكتملاً بعدد الحضور.

المادة (١٧):

يرأس الرئيس اجتماعات الهيئة العامة، وله تكليف أحد نائبيه برئاسة الاجتماع.

المادة (١٨):

تتخذ قرارات الهيئة العامة بالأغلبية البسيطة، عدا القرارات المتعلقة بتعديل هذا النظام أو حل المجلس، فتتخذ القرارات فيها بأغلبية الثلثين، وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي فيه صوت رئيس الاجتماع.

ثانياً – المجلس

المادة (١٩):

يتألف مجلس الهيئة من الرئيس ونائبيه، والمقرر العام، واعضاء من كل بلد عربي

المادة (٢٠):

يتولى المجلس المهام التالية:

١- مناقشة وإقرار خطط الوحدات السنوية وضمان توافقها مع استراتيجية وأهداف المعهد والأنشطة السنوية والخمسية التي تحقق رؤيته.

٢- تقييم ومراجعة كفاءة تنفيذ الأنشطة والفعاليات الفصلية والسنوية والخمسية وتكييفها بما يحقق الأهداف المرسومة.

٣- مناقشة التقرير الإداري السنوي الذي يتضمن نشاطات الهيئة الإدارية والتنفيذية كافة وعرضه على الهيئة العامة للمصادقة عليه.

٤- مناقشة التقرير المالي السنوي وعرضه على الهيئة العامة للمصادقة عليه.

٥- وضع خطة للتمويل الذاتي لعمل ونشاطات الهيئة، وعرضها على الهيئة العامة للمصادقة عليها.

٦- البت في طلبات الانتساب وفق المعايير التي يقررها لذلك.

٧- تحديد بدلات الانتساب والاشتراك السنوي، والعملات التي تدفع بها، وإعادة النظر فيها عند الاقتضاء.

٨- البت في قبول التبرعات التي تقدم إلى الهيئة.

٩- مناقشة واعتماد استثمارات الهيئة والإشراف عليها وتقديم تقارير سنوية عنها إلى الهيئة العامة.

١٠- مناقشة طلبات تعديل هذا النظام وتقديم توصياته بشأنها إلى الهيئة العامة.

المادة (٢١):

تكون اجتماعات المجلس العادية نصف سنوية، ويجوز عقد اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس أو بطلب من نصف عدد أعضائه , وتتخذ قراراته بالأغلبية البسيطة، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي فيه صوت الرئيس.

ثالثاً – رئيس الهيئة

المادة (٢٢):

الرئيس هو القائم بإدارة شؤون الهيئة، وهو الناطق باسمها في حدود الصلاحيات الممنوحة له بموجب هذا النظام ، وله تخويل بعض صلاحياته إلى نائبيه او من يرتئيه من أعضاء المجلس .

المادة (٢٣):

يتولى الرئيس المهام التالية:

١- رئاسة الهيئة العامة والمجلس.

٢- تمثيل الهيئة أمام الجهات الرسمية والشعبية العربية والدولية كافة.

٣- توقيع اتفاقيات التعاون الثنائية ومذكرات التفاهم مع الجهات ذات العلاقة بعمل الهيئة.

٤- الإشراف على فعاليات ونشاطات الهيئة

٥- إصدار أوامر الصرف المالي اللازم لأعمال الهيئة وتغطية تكاليف نشاطاتها حسب الصلاحيات والحدود المنصوص عليها في التعليمات المالية المتبعة في دولة المقر.

٦- تكليف أحد نوابه تحريرياً بالقيام بواجباته عند غيابه لأي سبب كان.

٧- منح بعض صلاحياته الإدارية والمالية لنائبيه والمقرر العام، لتسهيل مهام متابعة تنفيذ القرارات الصادرة من المجلس.

المادة (٢٤):

عند شغور موقع الرئيس لأي سبب، يكلف المجلس أحد النائبين بالقيام بمهام الرئيس لحين انتخاب رئيس جديد في أقرب اجتماع للهيئة العامة ، وفي حالة اعتذارهما يكلف المجلس أحد الأعضاء بذلك.

رابعاً – نواب الرئيس

المادة (٢٥):

للرئيس ثلاثة نواب هم:

١. نائب الرئيس لشؤون الدراسات والبحوث التاريخية .
٢. نائب الرئيس لشؤون الدراسات والبحوث الآثارية
٣. نائب الرئيس للشؤون الادارية والمالية

خامساً – المقرر العام

المادة (٢٦)

للهيئة مقرر عام من احد الاعضاء ذو خبرة ، يعين من قبل رئيس المجلس.

المادة (٢٧):

يفضل في نائب الرئيس للشؤون الادارية والمالية أن يكون من أصحاب الخبرة .

المادة (٢٨)

يتولى المقرر العام المهام التالية:

أ) إعداد منهاج اجتماعات مجلس الهيئة والهيئة العامة بالتشاور مع رئيس الهيئة .
ب) تسجيل وتوثيق وحفظ محاضر اجتماعات الهيئة العامة ومجلس الهيئة الدورية.
ج) متابعة تنفيذ قرارات مجلس الهيئة والهيئة العامة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.
د) تولي اي مهام إضافية يكلف بها من رئيس الهيئة.

سابعاً – اللجان

أولاً – اللجان التنفيذية:

المادة (٣١):

تضم الهيئة اللجان التنفيذية التالية:

١. لجنة تنظيم المؤتمرات: ترتبط برئيس الهيئة ،ويتولى رئاستها أحد أعضاء المجلس من أصحاب الخبرة في هذا المجال، وتتولى التحضير لعقد المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية وورش العمل وحلقات النقاش والمحاضرات.

٢. لجنة العلاقات والتواصل العربي والدولي: ترتبط بأحد نائبي رئيس الهيئة ، ويتولى رئاستها أحد الأعضاء من أصحاب الخبرة في هذا المجال، وتتولى الواجبات التالية:

أ . التواصل مع الجهات والمنظمات العربية والدولية، الحكومية وغير الحكومية.

ب . التواصل مع الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والمؤسسات الفكرية الأخرى، والسعي لعقد الاتفاقيات الثنائية معها.

ج. التواصل مع المؤرخين والآثاريين في الدول العربية والأجنبية واستقطابهم ضمن نشاطات الهيئة.

٣. لجنة الإعلام والاتصالات والنشر: ترتبط بأحد نائبي رئيس الهيئة، ويتولى رئاستها أحد أعضاء المجلس من أصحاب الخبرة في هذا المجال، وتتولى تنفيذ الخطة الإعلامية للهيئة والنشر باسمها في كافة وسائل الإعلام العربية والدولية ، وفي شبكات التواصل الاجتماعي الخاصة بالهيئة وغيرها ، وبأشراف رئيس الهيئة ، كما تتولى إدارة وإدامة الموقع الإلكتروني وتطويره وتوثيق كافة المعلومات والنشاطات الخاصة بالهيئة إلكترونياً وفتح مكتبة الكترونية في الموقع ، واستحداث قناة الكترونية خاصة بالهيئة ، كما تتولى تصوير وتوثيق اجتماعات ومؤتمرات الهيئة وكافة نشاطاتها الفكرية والإدارية , مع الاخراج الفني لنشاطات الهيئة .

ثانياً – اللجان الإدارية: ترتبط بنائب الرئيس للشؤون الادارية والمالية

المادة (٣٢):

تضم الهيئة اللجان الإدارية التالية:

أ . لجنة الشؤون الإدارية . ويرأسها احد اعضاء المجلس ممن له خبرة ادارية تقوم بالمهام التالية:

ب . تنفيذ وإنجاز المهام الإدارية المتعلقة بعقد المؤتمرات والندوات وكافة الواجبات الادارية التي تقوم بها الهيئة .

ج . تنظيم قاعدة المعلومات الخاصة بأعضاء الهيئة وتوثيق سيرهم الذاتية والتواصل معهم اجتماعياً وفي كل ما يتعلق بشؤون الهيئة.

د . تنظيم وإدارة سجلات الموجودات الخاصة بمقرات الهيئة من أجهزة ومعدات واثاث وغيرها.

١- لجنة الشؤون المالية: يرأسها أحد أعضاء المجلس، تتولى هذه اللجنة تنظيم وإدارة الشؤون المالية للهيئة واعداد التقرير المالي السنوي، واقتراح وإدارة المشاريع الاستثمارية التي تسهم في تمويل الهيئة بإشراف مباشر من رئيس الهيئة او احد نائبيه .

٢- لجنة الشؤون القانونية: ترتبط برئيس الهيئة ويرأسها احد اعضاء المجلس ممن له خبرة في هذا المجال، تتولى هذه اللجنة متابعة الأمور المتعلقة بالوضع القانوني للهيئة وأي من فروعها، وتمثيل الهيئة أمام الجهات والهيئات الرسمية في دولة المقر وفي غيرها، وتتولى أيضاً تنظيم لائحة الاتفاقيات الثنائية ومذكرات التفاهم مع الجهات الأخرى، ومتابعة تسجيل الهيئة في جامعة الدول العربية وفي الأمم المتحدة وفي المنظمات العربية والدولية , والاشراف على ضمان تنفيذ النظام الأساسي للهيئة .

٣- لجنة إصدار مجلة الهيئة : ترتبط برئيس الهيئة، ويتولى رئاسة هيئة تحريرها، تتولى هذه اللجنة إصدار مجلة عربية محكمة دورية تحمل اسم " مجلة المؤرخين والآثاريين العرب" تعنى بنشر البحوث والدراسات التاريخية والآثارية للاعضاء، مراعية في ذلك تقويم البحوث المقدمة والتحقق من صلاحيتها للنشر وفقاً للمعايير المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة في الجامعات.

الفصل السادس – أحكام عامة

المادة (٣٣):

لتسهيل العمل بأحكام هذا النظام يصدر المجلس اللوائح التالية:

١- اللائحة المالية.

٢- لائحة تنظيم إجراء الانتخابات.

٣- لائحة تنظيم إجراءات الانتساب إلى الهيئة.

وللمجلس إصدار أي لوائح أخرى يراها مناسبة.

المادة (٣٤):

لمجلس الهيئة بالإجماع اقتراح حل الهيئة بقرار مسبب، يقدم إلى الهيئة العامة على أن يصدر قرار حل الهيئة بأغلبية ثلاثة أرباع عدد أعضائها، وفي هذه الحالة تؤول أموال الهيئة وموجوداتها إلى جهة أخرى نظيرة تحددها الهيئة العامة على سبيل التبرع.

المادة (٣٥):

يعمل بأحكام هذا النظام اعتباراً من تاريخ التصويت عليه بالموافقة من قبل الهيئة العامة.

محضر الاجتماع الأول

للجنة التأسيسية لهيئة المؤرخين والآثاريين العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ الاثنين ٢٠٢٢/٢/٢ عقدت اللجنة التأسيسية لهيئة المؤرخين والآثاريين العرب اجتماعاً افتراضياً لمناقشة أسباب تأسيس الهيئة ونظامها الأساسي، وبعد تحقق النصاب شرح أ. د محمد مظفر الأدهمي الأسباب التي دعت إلى تأسيس هذه الهيئة، وهي التصدي للاتجاهات التي بدأت تظهر على الساحة العربية لتشويه التاريخ العربي وتراثه، والتشكيك بقدسية الأديان السماوية ورسالاتها بدعوى أن الانتاج البشري في الدين قابل للتحليل والدراسة، والادعاء أن التراث العربي الإسلامي لا يتلاءم مع روح العصر من خلال ابراز المحطات السلبية على حساب العطاءات الحضارية المشرقة للأمة العربية التي يزخر بها تاريخها منذ القدم، والتي يجب استحضارها لتوعية وحماية الجيل الجديد من التخلف والتدهور والتشتت الفكري والالحاد والضياع الذي بدأ بالظهور على الساحة العربية بواسطة منظمات وقنوات تلفزيونية ومواقع التواصل الاجتماعي تحت غطاء التجديد والحداثة بتجريد التاريخ والتراث العربي من معطياته الحضارية الاصيلة، بعيداً عن القيم والمبادئ التي نشأ عليها المجتمع العربي، ومع أن التجديد والتطور ضرورة وسمة من سمات العصر إلا أنه لا يمكن أن يكون مثمراً دون الانطلاق من الماضي المشرق لأية أمة .

أما السبب الثاني الذي دفع لتأسيس هذه الهيئة العلمية المهنية الأكاديمية غير السياسية وغير الحكومية، هو معالجة الثغرة القائمة بين المؤرخين والآثاريين في المشرق والمغرب العربيين من أجل التعاون والتواصل العلمي وانجاز البحوث المشتركة التي

تثبت الترابط الوثيق في حركة التاريخ العربي على امتداد الوطن العربي منذ اقدم العصور التاريخية .

ثم تحدث بعد ذلك كل من أ.د رزوق محمد (المغرب)، وأ. د. عبدالستار درويش، وأ. د. غسان الهيتي، وأ. د. قاسم حسن آل شامان، وأ. د. قحطان البكر، وأ. د. بديع الكربولي (العراق) وأ. د جمعان الشهراني (السعودية)، وأ. د أحمد الجاسم (سوريا)، وأ. د علي بركات (اليمن)، معقبين على أهمية تأسيس هذه الهيئة ومؤكدين على أسباب التأسيس ودوافعه.

وقد عرض د. الادهمي بعد ذلك مسودة النظام الأساسي للهيئة ، وتمت مناقشة مواد الفصلين الأول والثاني والموافقة عليهما، على أمل اتمام مناقشة الجزء المتبقي في الاجتماع القادم .

وبعد انتهاء النقاش اتفق المجتمعون على الآتي :

١- تثبيت اسم التجمع على ما هو عليه (هيئة المؤرخين والاثاريين العرب).

٢- العمل للحصول على اعتراف بالهيئة كمنظمة مجتمع مدني.

٣- الانظمام إلى الالسكو واليونسكو بعد الاعتراف بالهيئة من قبل أحد البلدان العربية وتحديداً العراق والأردن لاتخاذه مقرا لها.

٤- استحداث موقع الكتروني للهيئة .

٥- العمل على اصدار مجلة محكمة لنشر بحوث الاعضاء فيها .

٦- تصميم شعار للهيئة .

٧- المباشرة بإلقاء محاضرات علمية غير تقليدية في التاريخ والآثار تنسجم مع أهداف الهيئة وتوجهاتها، وأن يباشر بها في أول اثنين من كل شهر ، على أن يعد جدول بعناوين المحاضرات خلال شهر شباط / فبراير الحالي للمباشرة بها في شهر آذار / مارس ٢٠٢٢، وعلى مدى أحد عشر شهراً من العام الحالي .

جدول بالمحاضرات الشهرية التي أقامتها هيئة المؤرخين والآثاريين العرب

(٢٠٢٢ – ٢٠٢٤)

ت	عنوان المحاضرة	اسم الباحث	العنوان	التاريخ
١	وحدة حركة تاريخ الوطن العربي بين مشرقه ومغربه في التاريخ الحديث	د. محمد مظفر الادهمي	العراق	٧ آذار/ مارس ٢٠٢٢
٢	الترابط الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين من خلال المعطيات الآثارية والادبية	د . مصطفى خاتمي	جامعة ابن خلدون – الجزائر	٩ نيسان/ أبريل ٢٠٢٢
٣	العلاقات المغربية المشرقية في عهد السلطان احمد المنصور السعدي وتوجهاته الوحدوية	د. رزوق محمد	جامعة الحسن الثاني – المغرب	٢ آيار/ مايو ٢٠٢٢
٤	العلاقة بين المكتشفات الآثارية وكتابة التاريخ	د يوسف كنجو	جامعة توبنغن – ألمانيا	١٨ تموز/ يوليو ٢٠٢٢
٥	الوشائج بين اللغتين الأكدية والأمازيغية (البربرية)	أ. د. عامر عبدالله الجُمَيلي	جامعة الموصل – العراق	١٥ آب/ أغسطس ٢٠٢٢
٦	البصمة الحضارية للمشرق العربي القديم على المغرب الاقصى	د. فيفيان حنا الشويري	لبنان	١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٢
٧	الخروقات والتجاوزات الخطيرة على الآثار الإسلامية في الوطن العربي.. سامراء انموذجا	د. زكريا هاشم أحمد الخضر	جامعة سامراء – العراق	١٧ تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠٢٢
٨	المنهج التاريخي في فكر عبد العزيز الدوري وصالح احمد العلي	أ . د . ناصر عبد الرزاق د. مارينا الشياب	جامعة الموصل – العراق الأردن	٢٦ كانون أول/ ديسمبر ٢٠٢٢
٩	المؤرخ الجزائري ابو القاسم سعدالله ومنهجه في كتابة التاريخ	أ . د. ياقوت كلاخي	جامعة ابن خلدون – الجزائر	٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٢٣
١٠	نشأة وتطور الكتابة الأبجدية	د. خالد عبد الملك النوري	جامعة الكويت – الكويت	٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٢٣
١١	ما توافقت فيه اللغة الأكدية (البابلية والآشورية) مع عربية القرآن الكريم وبعض القراءات القرآنية	أ . د. عامر عبد الله الجميلي	جامعة الموصل – العراق	٦ آذار/ مارس ٢٠٢٣
١٢	اسهامات شكيب ارسلان في النضال المغاربي ضد الاستعمار الاوربي	أ. د. فاطمة حباش	جامعة ابن خلدون – الجزائر	٢٠ آذار/ مارس٢٠٢٣
١٣	دور المشرق في دعم حركات التحرر المغاربية ومحاولة توحيدها بعد الحرب العالمية الثانية	د حياة أجعير	جامعة عبد المالك السعدي – المغرب	٣٠ آيار/ مايو ٢٠٢٣
١٤	الرحلات المغربية جسر التواصل بين المغرب والمشرق العربي . رحلة محمد حجي بو شعرة	د. كوثر أبو العيد	جامعة سيدي محمد بن عبد الله – المغرب	١٩ حزيران/ يونيو ٢٠٢٣
١٥	موقف تونس من قضايا المشرق العربي ١٩٥٦– ١٩٩١	د قتيبة علي جاسم الصبيحي	جامعة الأنبار – العراق	١٨ تموز/ يوليو ٢٠٢٣
١٦	نشأة الفكر الناصري وتطوره	د. بثينة التكريتي	جامعة تكريت – العراق	٢٢ آب/ أغسطس ٢٠٢٣

١٧	هوية غزّا في ضوء الادلة الآثارية والمصادر الكتابية القديمة: الهيروغليفية والمسمارية والمسند	أ . د. زياد عويد المحمدي	جامعة الأنبار – العراق	١٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٣
١٨	بغداد في كتاب الدوري والحسني وشتريك– دراسة مقارنة	د. زكريا هاشم أحمد الخضر	جامعة سامراء – العراق	٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٢٤
١٩	الحرب في العصور القديمة	د. خالد عبد الملك النوري	جامعة الكويت – الكويت	٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٢٤